

221

أحلى الحكايا



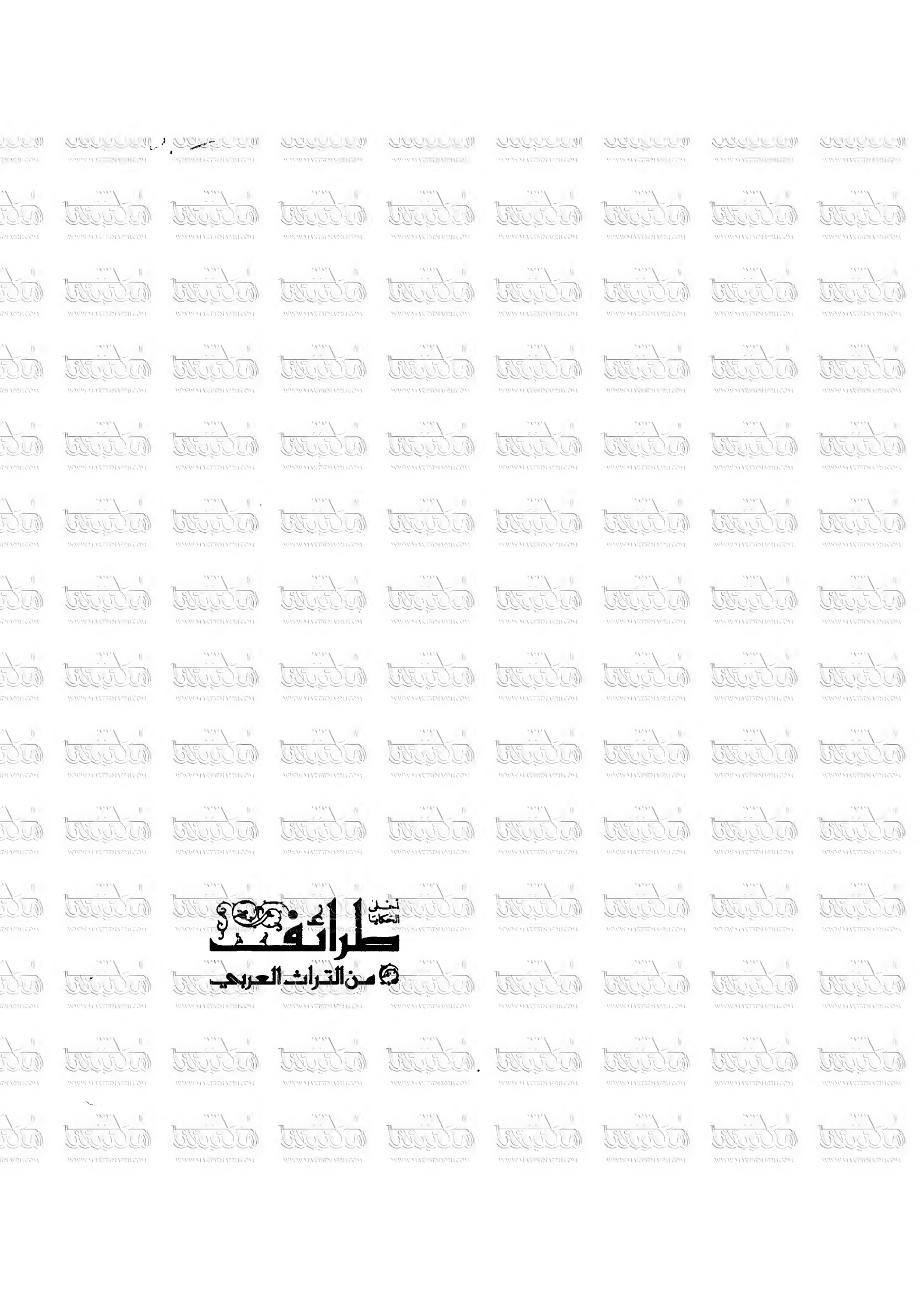
طرائف من التراث العربي

عبد الأمير علي

<http://www.makbttna221.com/>

دار  
المكر السناني





# سيرة طه

## من التراث العربي

أَخْبَلِي الْحَكَايَا

# طرائف من التراث العربي

إعداد  
عبد الأمير علي ممتا

دار الفكر اللبناني  
بيروت

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مَقْدِمَةٌ

هذا الكتاب يهدف إلى وضع طرائف التراث العربي في متناول القراء على مختلف مستوياتهم وأهوائهم، وذلك بطريقة ميسرة تقوم على التقريب والإنتقاء والاختيار، إضافة إلى الحرص الشديد على إعطاء صورة واضحة غير معقدة عن تراثنا ممثلاً بأهم الكتب الأدبية والفكرية التي تزدان بها خزانة الثقافة العربية، ككتاب «الأغاني» للأصفهاني، و«العقد الفريد» لابن عبد ربّه، و«يتيمة الدهر» للشعالبي، و«المستطرف» للأبشيهي و«نفح الطيب» للمقري، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«صبح الأعشى» للقلقشندي، وكتب الجاحظ، وكتب التراجم وغيرها من أمهات الكتب الكثيرة..

ومعلوم أن كتب التراث العربي مليئة بالقصائد والمقطوعات والقصص والروايات والنوادر والطرائف التي تجسّد بشكل فني لحظات ضاحكة تستحق التوقف عندها لفائدتها الترفيحية، ولما تنطوي عليه أيضاً من فوائد نقدية اجتماعية وأدبية وغير ذلك.

وتراثنا العربي مليء بالكتب التي تتناول الشخصيات الطريفة التي تدخل إلى الأوساط الفنية المترفة والأوساط الفقيرة وقصور الملوك ومجالس الخلفاء والقادة، هذه الشخصيات التي وهبها الله البديهة والحساسية النقدية المرهفة التي تجعلها تلتقط أحداث الحياة وأحوالها العادية فتتحوّل على يديها إلى ضحكٍ وطرائف ونوادر مفعمة بروح النقد الاجتماعي والخلقي والأدبي والسياسي.



هذه الطرائف تصوّر لنا جوانب من مظاهر الحياة الإجتماعية عند العرب،  
أعدتها بأسلوب فكاهي شيق وممتع، آملاً أن أكون وفقت إلى بعض ما نشدت وما  
اجتهدت والله الموفق.

عبد الأمير علي مهنا

بيروت في ١٩٩٠/١/١

### ذات الخمار الأسود<sup>(\*)</sup>

قدم بعض التجار مدينة رسول الله (ص) ومعه جملٌ من الخُمُر<sup>(١)</sup> السود، فلم يجد لها طالباً ولا شارباً، فكسدت عليه وضاق صدره. فقليل له: ما يُنفقها لك إلا «مسكين الدارمي»<sup>(٢)</sup> وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة. فقصده فوجده قد تزهد وانقطع في المسجد، فأتاه وقصّ عليه القصة. فقال: وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟ فقال له التاجر: أنا رجل غريب، وليس لي بضاعة سوى هذا الجمل، وتضرّع إليه، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول وعمل هذه الأبيات وشهرها وهي:

قُلْ للمليحة في الخمار الأسود      ماذا فعلتِ بناسكٍ متعبٍ  
قد كان شَمَر للصلاة ثيابه      حتى قعدت له بباب المسجد  
ردّي عليه ثيابه وصلاته      لا تقتليه بحق دين محمد  
فشاع بين الناس أن «مسكيناً الدارمي» قد رجع إلى ما كان عليه، وأحبّ واحدة ذات خمار أسود، فلم يبق في المدينة ظريفة إلا وطلبت خماراً أسود. فباع التاجر الحمل الذي كان معه بأضعاف ثمنه، لكثرة رغبتهم فيه، فلما فرغ منه عاد «مسكين» إلى تعبده وانقطاعه.

\* وقال أبو عبد الله الحامدي<sup>(٣)</sup>:

قل للمليحة في الخمار المشمشي      كم ذا الدلالُ عدمتُ كلَّ مُحَرَّشٍ  
يا من غدا قلبي؛ كنرجس طرفها      في الحبِّ لا صاحٍ ولا هو منتشي  
هذا الربيع بصحن خذك قد بدا      لمقبَلٍ ومُعَضِّضٍ ومُخَمِّشٍ  
فمتى أبيت مُعانقاً لبهاره      ولورده المستأنس المستوحش؟

(\*) راجع مصادر الطرائف في فهرس هذا الكتاب.

(١) الخُمُر: جمع خمر، وهو ما تغطي به المرأة وجهها، وهو ما تغطي به المرأة وجهها.

(٢) مسكين الدارمي: هو ربيعة بن عامر، توفي سنة ٨٩ هـ.

(٣) راجع: «البيمة» للثعالبي ٢: ٣٧٢.



## الملوك والخلفاء لا يؤاكلها خدمها

قال مخارق<sup>(١)</sup> المغني:

دخلتُ على المأمون يوماً وبين يديه طبق عليه رغيفان ودجاجة. قال: فقال لي تعال يا مخارق. قال: فصيرت بركة قبائي في منطقتي وغسلتُ يدي وجئتُ فجعلتُ أقطع بين يديه من الدجاجة وأكل حتى أتينا على الدجاجة والرغيفين جميعاً. وقمت من بين يديه فلما جلسنا للنبيذ قال لي: يا مخارق غني صوتاً كذا. فغنيتُ فعبس في وجهه وقال لعلوية المغني: غني يا علوية هذا الصوت، فغنّاه دون غنائي فضحك إليه وتبسّم ودعا له بعشرة آلاف درهم. فوضعتُ بين يديه ثم سألتُني أن أغنيه لحناً آخر فغنيتُ واجتهدتُ ففعل مثل فعله الأول وأمر علوية فغنّاه ففعل كذلك ودعا له بعشرة آلاف درهم ثم قال: غني فغنيتُ ففعل كفعله الأول ثم قال لعلوية: غني، فغنّاه فدعا له بعشرة آلاف درهم.

ثم قام إلى الصلاة فقال لي علوية وأصحابنا: ألك ذنب؟

فقلت: لا والله إلا أنني دخلتُ فدعاني إلى الغداء فأكلتُ معه.

فقال لي علوية: ويلك ألم يكن في بيتك رغيف فتأكله قبل مجيئك؟ قال: ثم انصرفنا من ذلك المجلس فأمر أن أحضر الدار كل يوم حتى حضرتُ شهراً لا يأذن لي فلما استوفيت ثلاثين يوماً أذن لي فدخلتُ وهو يتغذى وبين يديه طبق مثل ذلك الطبق وعليه دجاجة ورغيفان فسلمتُ فردّ عليّ السلام ثم قال: اذنُ يا مخارق. فقلت: يا أمير المؤمنين لا والله لا أعود لمثلها أبداً.

قال: فضحك حتى استلقى ثم قال لي: ويلك أظننتُ بي بخلاً على الطعام لا والله ولكنني أردتُ تأديبك لمن بعدي لأن الملوك والخلفاء لا يؤاكلها خدمها وأخاف أن تتعود هذا من غيري فلا يهتملك عليه. تعال الآن فكلُ في أمان. قال: قلت لا أفعل والله.

(١) مخارق: هو أبو المهنا ابن يحيى الجزار إمام عصره في فن الغناء، كان الرشيد العباسي يعجب به. توفي سنة ٢٣١ هـ.

قال: فدعا لي بطعام وحضر المغنون فقال لعلوية: غني، فغناه فأعرض عنه ثم قال لي: غني فغنيت فأمر لي بعشرة آلاف درهم ثم لم يزل يفعل كذلك حتى استوفيت ثلاثين ألفاً كما وهب لعلوية.

### ٣

#### لا يكبر الرجل عن ثلاث:

##### تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم

كان المأمون قد وكل الفراء يلقي ابنه النحو، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، فاصطلحا على أن يقدم كل واحدٍ منهما فرداً فقدماهما، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك الخبر إليه، فوجه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال: من أعز الناس؟

قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين.

قال: بلى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه ولياً عهد المسلمين حتى رضي كل واحد أن يقدم له فرداً.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكسر نفوسهما عن شريعة حرصا عليها، وقد روي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ركابيهما، حين خرجا من عنده.

فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحدين ركابيهما وأنت أسنّ منهما؟

فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعبثاً وألزمتك ذنباً، وما

وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما، ولقد ظهرت لي

مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث: عن تواضعه

لسلطانه ووالده ومعلمه العلم، وقد عوّضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار ولك

عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.



### نوادير جاحظية

\* يروي الجاحظ في كتاب الحيوان عن جماعة من أهل خراسان أنهم اجتمعوا في منزلٍ ليلاً، فأحجموا عن إنارة المصباح وصبروا على الظلمة ما أمكنهم الصبر. ولما اضطروا إلى الإنارة جمعوا النفق اللازم لذلك وأبى واحد منهم أن يشاركهم في النفقة، فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينيه بمنديل إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح فيفرجون عن عينيه وذلك حتى لا يستفيد من نوره.

\* وقد يدفعهم (أي لأهل خراسان) البخل إلى أعجب الحيل وأطرفها، من ذلك ما رواه الجاحظ من أن أناساً من أهل مرو لا يلبسون خفافهم (أحذيتهم) إلا ستة أشهر في السنة فإذا لبسوها في هذه الأشهر الستة يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر مخافة أن تنقب هذه النعال.

\* ويروي الجاحظ قصة أبي عبد الرحمن الذي كان يحب أكل الرؤوس إلا أنه لم يكن يأكل اللحم إلا في عيد الأضحى.

يقول الجاحظ إن أبا عبد الرحمن هذا كان إذا اشترى رأساً لا يقعد ابنه الأكبر معه على الخوان (طاولة الأكل) إذ أن هذا الابن ربما رافق أباه إلى بعض الولايات فيأكل اللحم هناك. أما الابن الأصغر فكان يقعد على الخوان مع أبيه ولكن بشروط ووصايا كثيرة منها:

«إعلم يا بني أن مدمن اللحم كمدمن الخمر.

إياك ونهم الصبيان.

إعلم أن الشبع داعية البشم وأن البشم داعية السقم وأن السقم داعية الموت.

ومن مات هذه الميته فقد مات ميتةً لثيمة وهو قاتل نفسه. وقاتل نفسه الأم من

قاتل غيره. ولو سألت حذّاق الأطباء لأخبروك أن عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتخمة».

\* قال الجاحظ:

كان أحدهم يستعمل لإقامة الفتيلة في المسرحة عوداً مربوطاً بخيط خوفاً من أن

يضيع هذا العود لأنه تشرب شيئاً من الدهن الذي في المرسجة. فدخل عليه شيخ من أهل مرو فأبدي عجبه من إسرافه وتفريطه وأشار عليه بأن يستعمل إبرة أو مسلة لأنها لا تشرب شيئاً من الدهن ولا يعلق عليها الدهن أما العود فيعلق عليه الدهن وتأخذ منه الريح والشمس.

\* وروى الجاحظ قال:

إن رجلاً زار قوماً فأكرموه وطيبوه فجعلوا المسك في شاربه، فحكته شفته العليا، فأدخل إصبعة فحكها من باطن الشفة مخافة أن تأخذ إصبعة من المسك شيئاً.

\* وهنا قصة الشيخ الخراساني الذي كان يأكل في بعض المواضع إذ مر به رجل فسلم عليه فردّ الشيخ السلام ثم قال: هلمّ عافاك الله. فتوجه الرجل نحوه فلما رآه الشيخ مقبلاً قال له: مكانك... فإن العجلة من عمل الشيطان.

فوقف الرجل، فقال له الخراساني: ماذا تريد؟

قال الرجل: أريد أن أتغذى.

قال الشيخ: ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي؟

قال الرجل: أوليس قد دعوتني؟

قال الشيخ: ويحك، لو ظننت أنك هكذا أحق ما رددت عليك السلام. الأمر هو أن أقول أنا: هلمّ فتجيب أنت: هنيئاً فيكون كلام بكلام. فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الإنصاف.



### من شعر الرجال أم النساء؟

كان أبو بكر الخوارزمي أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير، وكان إماماً في اللغة والأنساب، أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب، وكان مشاراً إليه في عصره.

ويُحكى أنه قصد مرةً حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان، فلما وصل إلى بابه



قال لأحد حجاجه: قُلْ للصاحب على الباب أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول،  
فدخل الحاجب وأعلمه.  
فقال الصاحب: قُلْ له: قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من  
يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب.  
فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك، فقال له الخوارزمي: ارجعْ إليه وقلْ له:  
هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟  
فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يريد أن يكون أبا بكر  
الخوارزمي، فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرفه وسرَّ به كثيراً.



### بين عمر وعليّ

ذكر أبو الفتح ابن جنيّ النحوي في بعض كتبه أن الشريف الرضي أحضر إلى  
ابن السّيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو، وقعد  
معه يوماً في حلقة، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم.  
فقال له: إذا قلنا «رأيت عمر» فما علامة النصب في عمر؟  
فقال له الرضي: بُغِضَ عليّ. فعجب السّيرافي والحاضرون من حدة خاطره.  
وذكر أنه تلقّن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة جداً.



### عشرة القول وعثرة الرّجل

قال ثعلب:  
أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من يعقوب بن  
السكيت، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله. فلما جلس عنده قال له:  
بأي شيء يحب الأمير أن نبدأ - يريد من العلوم - فقال المعتز: بالإنصاف.  
قال يعقوب: فأقوم؟  
قال المعتز: فأنا أخفّ نهوضاً منك، وقام فاستعجل فعثر بسرّاويله فسقط،

والتفت إلى يعقوب خجلاً وقد احمرَّ وجهه، فأنشد يعقوب:

يُصاب الفتى من عثرةٍ بلسانه      وليس يصاب المرء من عثرة الرجل  
فعرثته في القول تُذهب رأسه      وعرثته بالرجل تبرأ على مهل  
فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فأخبره بما جرى، فأمر له بخمسين ألف درهم وقال: قد بلغني البيتان.

## ٨

### بشار إن حكى

دخل يزيد بن منصور<sup>(١)</sup> الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميري - وكانت فيه غفلة - فقال له: يا شيخ ما صناعتك؟

فقال: أثقب اللؤلؤ.

فضحك المهدي ثم قال لبشار: أعزُّب<sup>(٢)</sup> وملك، أتنادر على خالي؟! فقال له: وما أصنع به! يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته!

## ٩

### قامت القيامة

حدّث رجل من أهل البصرة مَن كان يتزوَّج بالنهاريات<sup>(٣)</sup> قال:  
تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا، أو كنا في أسفل  
البيت وبشار في علوه مع امرأة، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار  
في الدار فارتجت الناحية بنهيقها، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل

(١) يزيد بن منصور: خال المهدي، توفي سنة ١٦٥ هـ.

(٢) اغرب: ابتعد.

(٣) النهاريات: النساء المنسوبات إلى قبيلة بني النهاري، وهي قبيلة من الاشراف باليمن.



يدققها بها دقاً شديداً فسمعت بشار يقول للمرأة: نفخ - يعلم الله - في الصُّور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يُدقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها؟! قال: ولم يلبث أن فرغت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعَدَّتْ فألقت طبقاً وغضارة<sup>(١)</sup> إلى الدار فانكسرت، وتطاير حمام ودجاج كنَّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبي في الدار، فقال بشار: صَحَّ والله الخبر ونُشِرَ<sup>(٢)</sup> أهل القبور من قبورهم أَرْفَت - يشهد الله - الأزفة<sup>(٣)</sup> وزلزلت الأرض زلزالها، فعجبتُ من كلامه وغازني ذلك، فسألتُ من المتكلم فقبل لي: بشار، فقلت: قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا غير بشار.

١٠

### ما أكثر أسئلتهم

\* كان بشار يحشو<sup>(٤)</sup> شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه:

غَنِّي للغريض يابن قنانٍ

فقبل له: مَنْ أبْن قنان هذا؟ لسنا نعرفه من مغني البصرة؟!.

قال: وما عليكم منه! ألكم عليه دين فتطالبون به، أو ثأر تريدون أن تدركوه، أو كفلتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره؟.

قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نعرفه.

فقال: هذا رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي.

فقالوا له: إلى متى؟

قال: مُدَّ يوم ولدت وإلى يوم يموت.

(١) الغضارة: القصعة الكبيرة (وعاء كبير واسع).

(٢) نشر: يُبعث.

(٣) الأزفة: القيامة.

(٤) يحشو شعره: يُدخل فيه ما لا حقيقة له.

\* قال قدامة بن نوح:

وكنّا عند بشار يوماً فطلبنا منه أن ينشدنا فأنشدنا قوله:

وجارية خلقت وحدها كأن النساء لديها خدم  
دسست إليها أبا مجلزٍ وأي فتى إن أصاب اعتزم  
فقال له رجل: ومن أبو مجلزٍ هذا يا أبا معاذ<sup>(١)</sup>؟ قال: وما حاجتك إليه؟! ألك  
عليه دين أو تطالبه بشار؟ هو رجل يتردد بيني وبين معاري في رسائل.

\* وقالوا<sup>(٢)</sup>:

جاءنا بشار بن برد يوماً فقلنا له: ما لك مغتم؟ فقال: مات حماري فرأيت في  
النوم فقلت له: لم مت؟ ألم أكن أحسن إليك! فقال:

سيدي خذ بي أتنا عند باب الأصبهاني  
تيممتني ببنانٍ وبدل قد شجاني  
تيممتني يوم رُحنا بثناياها الحسانِ  
وبغنجٍ ودلالٍ سل جسمي وبراني  
ولها خذ أسيل مثل خد الشيفران  
فلذا مت ولو عشتُ إذا طال هواني

فقل له: وما الشيفران؟

قال: ما يدريني! هذا من غريب الحمّار، فإذا لقيته فاسأله...  
وكان بشار كثيراً ما يحشو شعره بمثل هذا.

## ١١

### بشار إذا تغزل

كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف،  
وكان بشار صديقاً لسيدها ومدّاحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغني، فسرّ

(١) أبو معاذ: كنية بشار. (٢) راجع: «الأغاني»، ٣: ٢٢٩.

بحضوره وشرب حتى سكر ونام . ونهض بشار فقالت : يا أبا معاذ أحب أن تذكر  
يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي وتكتب بها إليه ، فانصرف  
وكتب إليه :

وذا دَلَّ كَأَنَّ البدر صورتها  
إن العيون التي في طرفها حَوَّرُ  
فقلتُ أحسنت يا سؤلي ويا أُملي  
يا حبذا جبل الرِّيان من جبلٍ  
قالت فهلاً فدتك النفس أحسن من  
يا قومي أذني لبعض الحيِّ عاشقة  
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمس طالعة  
يا ليتني كنتُ تُفاحاً مفلجة  
حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها  
فحرَّكت عودها ثم اثنت طرباً  
أصبحت أطوع خلق الله كلهم  
فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا  
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني  
لا يقتل الله من دامت مودته  
باتت تغني عميد القوم سكرانا  
قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا  
فأسمعيني جزاك الله إحسانا  
وحبذا ساكن الرِّيان من كانا  
هذا لمن كان صبَّ القلب حيرانا  
والأذن تعشق قبل العين أحياناً  
أضمرت في القلب والأحشاء نيرانا  
أو كنتُ من قضب الريحان ريحانا  
ونحن في خلوة مُثلتُ إنسانا  
تشدو به ثم لا تخفيه كتماننا  
لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا  
فهات إنك بالاحسان أولانا  
أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا  
والله يقتل أهل الغدر أحياناً  
ووجه بأبيات إليها ، فبعث إليه سيدها بألفي دينار وسرَّ بها سروراً شديداً .

١٢

### أغزل بيت قاله المولدون

ومن شعره ، وهو أغزل بيت قاله المولدون :

انا والله اشتهي سحر عيني      لك وأخشى مصارع العشاق

\*

## أفحمته

حدث أهل البصرة، قالوا:  
 إن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس! قال بشار:  
 أما علمت أن بيض البُزاة أثمن من سود الغربان؟  
 فقالت له: أمّا قولك فحسن في السمع، ومن لك بأن يحسن شيك في العين  
 كما حسن قولك في السمع!  
 فكان بشار يقول: ما أفحمني قط غير هذه المرأة.

## كيف مات بشار؟

حدث عمر بن شبة قال: هجا بشار المهدي فقال:  
 خليفة يزني بعَمَّاته يلعب بالدبوق<sup>(١)</sup> والصولجان  
 أبدلنا الله به غيره ودس موسى في جر<sup>(٢)</sup> الخيزران<sup>(٣)</sup>  
 وأنشدها في حلقة يونس النحوي. فسُعي إلى يعقوب بن داود، وكان بشار قد  
 هجاه فقال:  
 بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود  
 ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق والعود  
 فدخل يعقوب على المهدي فقال له:  
 يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك. فقال: بأي  
 شيء؟

(١) الدبوق: لعبة للصبيان.

(٢) الجر: الفرج.

(٣) الخيزران: أم موسى وهارون الرشيد، وهي زوجة المهدي.



فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري .  
قال له: بحياتي إلا أنشدتني .  
فقال: والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب  
عنقي .

فحلف عليه المهدي بالآيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره .  
فقال: أما لفظاً فلا، ولكني اكتب ذلك، فكتبه ودفعه إليه، فكاد ينشق غيظاً،  
وعمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، وما قصده غير بشار، فانحدر، فلما  
بلغ إلى البطيحة<sup>(١)</sup> سمع أذاناً في وقت ضحى النهار فقال: انظروا ما هذا الأذان؟  
فإذا بشار يؤذن سكران، فقال له: يا زنديق يا عاصٍ بظر أمه<sup>(٢)</sup>، عجبت أن يكون  
هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بابن نهيك فأمره  
بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراق<sup>(٣)</sup> سبعين سوطاً أتلفه فيها. فكان  
إذا أوجعه السوط يقول: حَسَّ (وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع).  
فقال له بعضهم: أنظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسَّ ولا يقول:  
باسم الله .

فقال: ويلك، أ طعام هو فاسمى الله عليه!  
فقال له الآخر: أفلا قلت: الحمد لله .  
قال: أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها!  
فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فألقى في سفينة حتى مات ثم رُمي به  
في البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها .  
قالوا: وعندما أخرجت جنازته ما تبعها أحد إلا أمة سوداء سنديّة عجباء ما  
تفصح رأيناها خلف جنازته تصيح: واسيّداه! واسيّداه .

---

(١) البطيحة: بلدة بين واسط البصرة .  
(٢) يا عاصٍ بظر أمه: سبّ كان يجري على ألسنة العرب قديماً . والبطر هو اللحم الناتئة بين شفري  
فرج المرأة .  
(٣) الحراق: سفينة فيها مراحي نيران يُرمى بها العدو .

### لا مرحباً بكما

ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة، نُحِل ودفن على حماد عجرد، فمرَّ على قبريهما أبو هشام الباهلي، فكتب عليهما:

قَدْ تَبَعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجْرَدٍ فَأَصْبَحَا جَارَيْنِ فِي دَارٍ  
صَارَا جَمِيعاً فِي يَدَي مَالِكٍ فِي النَّارِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ  
قَالَتْ بَقَاعُ الْأَرْضِ لَا مَرْحَباً بِقُرْبِ حَمَادٍ وَبَشَارِ

### لماذا مرَّ تسنيم في تلك اللحظة؟

حدث عاصم بن وهب قال:

نهق حمار ذات يوم بقرب بشار، فخطر بباله بيت من الشعر فقال:

ما قام (...) (١) حمارٍ فامتلا شبقاً إلا تحرك عرق في آستٍ (٢) تسنيم  
وتسنيم هذا صديقه ولم يكن يردّه بالهجاء، ولكنه لما بلغ إلى قوله «إلا تحرك  
عرق» قال في نفسه: في آست من؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري فسلم عليه وضحك،  
فقال: في آست تسنيم علم الله،

فقال له تسنيم: تضحك من ماذا؟ إيش ويحك!

فأنشده البيت. فقال له: عليك لعنة الله! فما عندك فرق بين صديقك وعدوك.  
أي شيء حملك على هذا!! ألا قلت: في آست حماد الذي هجأك وفضحك وأعياك  
وليت قافيتك على الميم فأعذرَكَ!

قال: صدقت والله في هذا كله. ولكن ما زلت أقول في نفسي: في آست مَنْ؟  
في آست مَنْ؟ ولا يخطر ببالي أحد حتى مررت في تلك اللحظة وسلّمت فرزقته.

(١) ما يُستقبح ذكره.

(٢) الأست: العجز والمؤخرة.

فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب السلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك.  
وجعل بشار يضحك ويصفّق بيديه وتسنيم بشتمه.

## ١٧

### أعطيتك العامرة والغامرة

قال الجاحظ: كان أبو دلامة<sup>(١)</sup> بين يدي المنصور واقفاً، فقال له: سلني حاجتك.

قال أبو دلامة: كلب أتصيّد به.

قال: أعطوه إياه.

قال: ودابة أركب عليها.

قال: أعطوه.

قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده.

قال: أعطوه غلاماً.

قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه.

قال: أعطوه جارية.

قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بدّ لهم من دار يسكنونها.

قال: أعطوه داراً تجمعهم.

قال: فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون:

قال: قد أعطيتك مائة جريب<sup>(٢)</sup> عامرة ومائة جريب غامرة.

قال: وما الغامرة؟

قال: ما لا نبات فيه.

فقال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي

وصحاري بني أسد.

(١) أبو دلامة: كان شاعراً فاسد الدين وصاحب نوادر وظرف، توفي سنة ١٦١ هـ.

(٢) الجريب من الأرض: عشرة آلاف ذراع، وقيل غير ذلك. راجع: «اللسان»، مادة: جرب.

فضحك وقال : اجعلوها كلّها عامرة .

قال : فأذن لي أن أقبل يديك .

قال : أمّا هذه فدعها .

قال : والله ما منعت عيالي شيئاً أقلّ ضرراً عليهم منها .

قال الجاحظ : فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتداءً بكلّ فسّهل القصة

به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفكاهة ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لما وصل إليه .

## ١٨

### أيقاتله دون ثأر؟

حدّث أبو دُلّامة الشاعر الظريف صاحب النوادر والطرائف قال :

أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران فحلف ليُخرجني في بعث حرب<sup>(١)</sup> ، فأخرجني مع رُوح بن حاتم<sup>(٢)</sup> المهلبى لقتال الشراة<sup>(٣)</sup> . فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه .

فضحك وقال : والله العظيم لادفعنّ ذلك إليك ولاخذنّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، أتعفيني من هذه «الورطة» ، قال : هيّا تقدّم للمبارزة .

وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : أخرج إليّ يا أبا دُلّامة .

فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي .

قال : والله لتخرجنّ .

(١) بعث : غزو ، أي سيرسله للقتال .

(٢) روح بن حاتم : أمير من الأجواد المدوحين ، كان حاجب المنصور وكان قائداً شجاعاً ، توفي سنة ١٧٤ هـ .

(٣) الشراة : الخوارج .

فقلت: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعْتُ مِنِّي جارحة من الجوع، فَمَزَّ لي بشيء آكله ثم أخرج للمبارزة. فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصفِّ.  
فلما رآني الشاري<sup>(١)</sup> أقبل نحوي عليه فَرَزَّ وقد أصابه المطر فابتلَّ، وأصابته الشمس فتقبَّض وعيناه تقدحان شرراً، فأسرع إليّ. فقلت له: على مهلك يا هذا كما أنت، فوقف.

فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟

قال: لا والله.

قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟

قال: لا والله.

قلت: أفستحلّ ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟

قال: لا. فاذهب عني إلى لعنة الله.

قلت: لا أفعل أو تسمع مِنِّي.

قال: قُلْ.

قلت: هل كانت بيننا قطّ عداوة أو ثأر؟ أو هل تعرفني بحالٍ تُحفظك عليّ، أو تعلم أن بين أهلي وأهلك دم أو ثأر؟

قال: لا والله.

قلت: هل تريد أن تقاتل مَنْ لا يريد مقاتلتك أبداً.

قال: لا والله.

قلت: ولا أنا والله وإني لأحفظ لك جميلك وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادته لك.

قال: يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف.

قلت: إن معي زاداً أحبُّ أن آكله معك وأحبُّ مواكلتك لتتولد المودة بيننا، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا.

قال: فافعل.

---

(١) الشاري: رجل من الخوارج.



فتقدّمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وتلاصقت وجمعنا أرجلنا على معارفها  
والناس قد غلبوا ضحكاً. فلما استوفينا ودّعني. ثم قلت له: إن هذا الجاهل إن  
أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب. فإن رأيت ألا تبرز اليوم  
فافعل.

قال: قد فعلت.

ثم انصرف وانصرف. فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني<sup>(١)</sup> فقلّ لغيري أن  
يكفيك قرنه كما كفيتك.  
فضحك روح حتى استلقى من الضحك وأمسك.

## ١٩

### تخلص ببلاغته وحسن اعتذاره

قال أحمد بن أبي دؤاد:

ما رأيت رجلاً عرض للموت، ورأى النطع<sup>(٢)</sup> مفروشاً والسيف مسلواً ولم  
يكثرث لذلك ولا عدل به عما أراد إلا تميم بن جميل.

وكان خرج على المعتصم في أيام دولته، ونزع يده عن الطاعة، وانقطع الى  
بعض النواحي، وقد كان عظم أمره على المعتصم، ولقد رأته لما جيء به أسيراً  
مكتوفاً واجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم؟!

وكان المعتصم قد جلس له مجلساً منكراً، وأمر الناس بالدخول، ودخل تميم،  
وحضر السياف، وفرش النطع، وكان تميم جميل الوجه تامّ الخلقة، عذب المنطق،  
فراه المعتصم غير دهشٍ ولا مكترث لما نزل به، فأراد أن يستنطقه، ليعلم أين عقله  
في ذلك الوقت؟ فقال له: يا تميم، إن كان لك عذر فأْت به.

فقال: أمّا إذا أذن أمير المؤمنين، فالحمد لله الذي جبر بك صدع الدّين، وألمّ  
بك شعث المسلمين، وأنار بك سبل الحقّ، وأخذ بك شهاب الباطل.  
إن الذنوب يا أمير المؤمنين، لتخرس الألسنة الفصيحة، ولتصدع الأفتدة

(١) القرن: النظر في الشجاعة.

(٢) النطع: بساط من جلد يوضع تحت المحكوم عليه بالموت.

الصحيحة، والله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة، وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك، أو انتقامك، وأنت الى العفو أقرب، وهو بك أليق وأشبه وأنشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً      يلاحظني من حيث لا أتلفتُ  
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي      وأني امرئٍ مما قضى الله يفلتُ  
ومن ذا الذي يأتي بعذرٍ وحجةٍ      وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ  
وما جزعي أني أموت وإنني      لأعلم أن الموت شيء مؤقتُ  
ولكن خلفي صبية قد تركتهم      وأكبادهم من حسرةٍ تتفتتُ  
كأنني أراهم حين أنعمى إليهم      وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا  
فلإن عشتُ عاشوا سالمين بغيطةٍ      أذود الردى عنهم وإن متَّ مُوتوا

قال: فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال: إن من البيان لسحراً ثم قال: والله كاد السيف يسبق العفو وقد وهبتك لله تعالى ولصبيتك وعفوت عنك وعن زلتك. ثم أمر بقناة فعقد له الولاية على الموضع الذي خرج فيه ووصله بمالٍ كثير.

❖ ❖ ❖ ٢٠ ❖ ❖ ❖

### هي التي فعلتها

قرأت في كتاب «فوات الوفيات»<sup>(١)</sup> للكتبي، أن عبد الملك بن مروان كان يعذب بالشاعر الماجن حمزة بن بيض، فوجه إليه ليلةً رسولاً وقال: جئني به على أية حالة وجدته، فهجم عليه فوجده داخلاً الى بيت الخلاء، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: ويحك! أكلت كثيراً وشربت نبيذاً حلواً وقد أخذني بطني.

فقال: لا سبيل الى مفارقتك، ثم أخذه وأتى به الى عبد الملك، فوجده قاعداً في طارمة، وعنده جارية جميلة يتحفظاها وهي تسجر العود وتبخّر أمير المؤمنين. فجلس يحادثه ويعالج ما هو فيه من داء بطنه. فعرضت له ريح فسيبها ظناً أن يسترها البخور.

(١) راجع: «فوات الوفيات» للكتبي، ١: ٣٩٧.

قال حمزة: فوالله لقد غلب ريحها ريح البخور والندّ.

فقال: ما هذا يا حمزة؟

قال: فقلت: عليّ عهد الله والمشي الى بيت الله والهدى إن كنت فعلتها، وما فعلها إلا هذه الجارية.

قال: فغضب وخجلت الجارية وما قدّرت على الكلام. ثم جاءتني أخرى فسرّحتها وسطع والله ريحها فقال: ما هذا ويلك؟ أنت والله الآفة.

فقلت: امرأتى طالق إن كنت فعلتها.

فقال: وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها. ثم قال للجارية: ويلك ما قصتك؟ قومي الى بيت الخلاء إن كنت تجدين شيئاً، وطمعت فيها فسرّحت الثالثة، فسطع ريحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبد الملك حتى كاد أن يخرج من جلده ثم قال: يا حمزة، خذ بيد هذه الجارية الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت عليّ ليلتي. فأخذت بيدها وخرجت. فلقيني خادم فقال: ما تريد أن تصنع؟

فقلت: أمضي بها.

فقال: والله لئن فعلت ليبغضنك بغضاً لا تتفع به بعده، وهذه مائتا دينار، فخذها ودع هذه الجارية.

فقلت: والله لا نقصتك من خمسمائة دينار.

فقال: ليس إلا ما قلت لك، فأخذتها منه وأخذ الجارية.

فلما كان بعد ثلاث ليالٍ دعاني عبد الملك، فلقيني الخادم فقال: هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك؟

فقلت: ما هو؟

فقال: إذا دخلت إليه تدّعي عنده أن تلك الفسوات الثلاث أنت فعلتهنّ.

فقلت: هاتها. فلما دخلتُ وقفت بين يديه وقلت: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال: قلّ.

فقلت: أرايت تلك الليلة ما جرى من الفسوات؟

قال: نعم.

قلت: عليّ وعليّ إن كان فساهاً غيري. فضحك حتى سقط على قفاه وقال:

فَلِمَ وِيلَكَ مَا أَخْبَرْتَنِي؟  
 فقلت: أردت خصالاً، منها أن قمت وقضيت حاجتي، ومنها أنني أخذت  
 جاريته، ومنها أنني كافأته على أذاك بمثله، حيث منعتني رسولك من دفع أذائي.  
 قال: وأين الجارية؟  
 قلت: ما خرجت من دارك وأخبرته الخبر. فسُرَّ بذلك وأمر لي بمائتي دينار  
 أخرى  
 وقال: هذه لجميل فعلك، وتركت أخذ الجارية.  
 وأخبار حمزة بن بيض كثيرة وكلها طُرِف.

## ٢١

### سيبويه والكسائي

كان سيبويه قد ورد الى بغداد من البصرة، والكسائي يومئذ يعلم الأمين بن  
 هارون الرشيد، فجمع بينهما وتناظرا وجرى مجلس يطول شرحه، وزعم الكسائي أن  
 العرب تقول: كنت أظن أن الزنبر أشدَّ لسعاً من النحلة فاذا هو إيّاها.  
 فقال سيبويه: ليس المثل كذا، بل فإذا هو هي.  
 وتشاجرا طويلاً، واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من  
 كلام أهل الحضر، وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه، فاستدعى  
 عربياً وسأله فقال كما قال سيبويه. فقال له الأمين: نريد أن تقول كما قال الكسائي،  
 فقال: إن لساني لا يطاوعني على ذلك فإنه ما يسبق إلا إلى الصواب.  
 فقرروا معه أن شخصاً يقول: قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا، فالصواب  
 مع من منهما؟ فيقول العربي: مع الكسائي، فقال هذا يمكن.  
 ثم عقد لهما المجلس واجتمع أئمة هذا الشأن وحضر العربي، وقيل له ذلك  
 فقال: الصواب مع الكسائي، وهو كلام العرب، فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه  
 وتعصّبوا للكسائي، فخرج من بغداد وقد حمل في نفسه لما جرى معه، وقصد بلاد  
 فارس فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك.

### بشار المرهف الإحساس

قال محمد بن يزيد العجلي :

سمعت الأصمعي يذكر أن بشاراً كان أشدَّ تبرماً بالناس، وكان يقول:  
الحمد لله الذي أذهب بصري، فقليل له: ولم ذاك يا أبا معاذ؟ فقال: لئلا أرى من  
أبغض.

قال الأصمعي :

وُلد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضها  
ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بمثله، فقليل له يوماً وقد أنشد قوله:  
كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهوى كواكبه  
ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً  
فيها؟

فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من  
الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته.

### أتراهم سرقوها؟

ومرَّ ببشار قومٌ يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال: ما لهم مسرعين؟  
أتراهم سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم؟

### لا يريد تفسير الثلاثة

وحضر بشار باب محمد بن سليمان فقال له الحاجب: اصبر، فقال: الصبر لا  
يكون إلا عن ثلاثة. فقال الحاجب على الفور: إني أظن وراء قولك هذا شراً، ولن  
أريد تفسيراً لها ولن أتعرض إليك، قم فادخل.



### خير له من الرّفض

وقال هلال بن عطية لبشار وكان صديقاً له يمازحه :  
 إن الله عزّ وجلّ لم يُذهب بصر أحدٍ إلّا عَوَّضه شيئاً، فما عَوَّضكَ؟  
 فقال: الطويل العريض .  
 قال: وما هو؟  
 ففكر بشار وقال: لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء .  
 ثم قال: يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصّك بها؟  
 قال: نعم .  
 قال: إنك كنت تسرق الحمير زماناً، ثم تبتّ وصرت رافضياً، فعُدّ إلى سرقة  
 الحمير فهي والله خير لك من الرّفض .

### لا تصدّق حتّى ترى

حكى أبو أيوب الجرمي قال:  
 قعد الى جنب بشار رجل فاستثقله، فضرط بشار ضرطة، فظن الرجل أنها  
 أفلتت، ثم ضرط أخرى فقال: أفلتت، ثم ضرط ثالثة فقال: يا أبا معاذ ما هذا؟  
 فقال: مَهْ أَرَأَيْتَ أَمْ سَمِعْتَ؟ فقال: لا بل سمعت صوتاً قبيحاً .  
 قال: فلا تصدق حتّى ترى .

### باع داره وأعطى ثمنها للبحثري

من أخبار البحثري<sup>(١)</sup> أنه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي،  
 مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار، فأنفقها على الشعراء والزوّار في سبيل

(١) البحثري: الشاعر المشهور.

الله . فقصده البحري من العراق ، فلما وصل الى حلب قيل له : إنه قد قعد في بيته  
لديون ركبته . فاغتمّ البحري لذلك غماً شديداً وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه ،  
فلما وصلته ووقف عليها بكى ، ودعا بغيلاه له وقال له : بغي داري . فقال له أتبيع  
دارك وتبقى على رؤوس الناس؟

فقال : لا بدّ من بيعها . فباعها بـ ٣٠٠ دينار ، فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار  
وأنفذها الى البحري وكتب إليه معها رقعة فيها هذه الأبيات :

لو يكون الحباء حسب الذي أتت لدينا به محل وأهل  
لحييت اللّجين والدرّ واليا قوت حشواً وكان ذاك يقل  
والأديب الأديب يسمح بالعذ ر إذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحري ردّ الدنانير . وكتب اليه :

بأبي أنت والله للبرّ أهل والمساعي بعد وسعيك قبل  
والنوال القليل يكثر إن شاء مرّجيك والكثير يقل  
غير أنّي رددت برّك إذ كان رباً منك والربا لا يحل  
وإذا ما جزيت شعراً بشعر قضي الحق ، والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حلّ الصرة ، وضم إليها خمسين ديناراً أخرى وحلف أنه  
لا يردّها عليه وسيّرها فلما وصلت الى البحري أنشأ يقول :

شكرتك إن الشكر للعبد نعمة ومن يشكر المعروف فالله زائده  
لكل زمانٍ واحد يقتدى به وهذا زمان أنت لا شك واحدة

### وكما تراني يا جميل أراك

حدث علي بن سعيد الكاتب قال : قال لي جحظة :  
إن كتمت عليّ حديثك بحديث ما مرّ على مسامعك مثله قط .  
قلت : أنا موضع سرّك والمجالس بالأمانة .

قال: اصطبحت<sup>(١)</sup> أياماً فأصبحت يوماً مخموراً، فبينما أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جارية متنقبة راكبة على حمار وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها وقد سطعت المسكة من روائح طيبها، فبقيت مبهوراً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها. فلما جاوزتني وقفت وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحلى سلام وأبره وقمتُ على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً فقالت: يا فتى، هل في منزلك محتمل للقائلة<sup>(٢)</sup> في هذا اليوم؟ قلت: يا سيدتي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة، فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت وقالت:

ادخل بين يدي، وأمرت جواريا فدخلن بالحمار الى الدهليز، ثم دخلت وما أحسب جميع ما أراه إلّا نوماً لا يقظة، وشكاً لا يقيناً. فلما استقر بها المجلس مدّت يدها الى عجارها<sup>(٣)</sup> فحلّته كما قال الشاعر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفّ ومعصم  
فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل من السرور فقلت: هذه جارية مغنية بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني فقلت: يا سيدتي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنّيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي؟ فقالت: ما على ذلك قوت، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك<sup>(٤)</sup> ثم تصير الى ما تريد. فقممت إليها وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همّي إليه قلت: يا سيدتي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنّيك ما قصدت له؟

قالت: عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا، ومدّت يدها الى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة فلم أجر جواباً وبقيت متحيراً.

---

(١) اصطبحت: شربت شراب الصباح.

(٢) القائلة: القيلولة.

(٣) عجارها: ثوبها.

(٤) اقض حاجتك: أي أن يجامعها.

فلما صارت الى الدهليز لتركب قلت لها: سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك؟  
 قالت: لو تركت المسألة كان أحب إليك وأعود عليك.  
 قلت: لا بد لي من علم حالك.  
 قالت: أما إذا أبيت فسأصدقك. لي ابن عمّ هو بعلي يخالفني الى جويرية لي  
 مشوّهة المنظر؛ فأقسمت بالأيمان المحرّجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من  
 أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورةً. فأنا أطوف من الفجر الى هذه الساعة فما  
 رأيت بها أقبح منك، فبرّرت قسمي وإن عاد الى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد  
 أوحش منك، وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها.  
 ثم تولّت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار. فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن  
 إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم.  
 قلت: هوّن عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح  
 الصورة.  
 قال: فاكتم عليّ.  
 قلت: نعم.

### أخرجت أصعب ما في الجراب

حدث محمد بن إسحاق قال:  
 قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مخنثاً قد أفسد نساءها. فكتب الى عامله  
 بالمدينة أن يحمله إليه. فأدخل عليه، فاذا هو خضيب اللحية والأطراف معتجر  
 بسبّنيه<sup>(١)</sup> قد حل دفاً في خريطته<sup>(٢)</sup>. فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصوّبه  
 وقال: سوأة لهذه الشيبة وهذه القامة! أتحفظ القرآن؟  
 قال: لا والله يا أبانا.  
 قال: قبحك الله! وأشار إليه من حضره فقالوا: اسكّ فسكت.

(١) سبّنية: بلدة ببغداد.

(٢) الخريطة: مثل الكيس تكون من الخرق والادم.

قال له عمر: أتقرأ من المفصل شيئاً؟

قال: وما المفصل؟

قال: ويلك! أتقرأ من القرآن شيئاً؟

قال نعم، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأخطيء فيها في موضعين أو ثلاثة. وأقرأ ﴿قل﴾ أعوذ برب الناس ﴿واخطيء فيها، وأقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مثل الماء الجاري.

قال: ضعوه في الحبس ووكّلوا به مُعلِّماً يَعْلَمُه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة واجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهم آخر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع. فكان كلّما علّم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولاً الى عمر: يا أمير المؤمنين، وجّه اليّ من يحمل اليك ما أتعلّمه أولاً فاولاً، فإني لا أقدر على حمله جملة واحدة. فبشّ عمر من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهم إلّا ضائعة، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها غريباً لكان أصلح. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾.

قال: أسأل الله العافية! أدخلت يدك في الجراب، فأخرجت أصعب ما فيه فأمر به فوجئت عنقه ونفاه.

❖ ❖ ❖ ٣٠ ❖ ❖ ❖

### أبو معشر المنجم

رأيت في بعض المجاميع أن أبا معشر المشهور في علم النجامة «جعفر بن محمد بن عمر البلخي» كان متصلاً بخدمة بعض الملوك، وأن ذلك الملك طلب رجلاً من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه، فاستخفى، وعلم أن أبا معشر يدلّ عليه بالطرائق التي يستخرج بها الحبايا والأشياء الكامنة، فأراد أن يعمل شيئاً لا يهتدي إليه ويبعد عنه حسّه. فأخذ طستاً<sup>(١)</sup> وجعل فيه دماً وجعل في الدم هاون ذهب، وقعد على الهاون أياماً. وتطلّب الملك ذلك الرجل وبالع في التطلّب، فلما عجز عنه أحضر أبا معشر

(١) الطست: وعاء يشبه الصحن يكون من النحاس.



وقال له : تعرّفني موضعه بما جرت عادتك به ، فعمل المسألة التي يستخرج بها الخبايا ، وسكت زماناً حائراً . فقال له الملك : ما سبب سكوتك وحيرتك؟ قال : أرى شيئاً عجيباً ، فقال : وما هو؟

قال : أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والمجبل في بحرٍ من دم ولا أعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة .

فقال له : أعد نظرك وغيّر المسألة وجدّد أخذ الطالع . ففعل ثم قال : ما أراه إلا كما ذكرت ، وهذا شيء ما وقع لي مثله . فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضاً نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه ، وأظهر من ذلك ما وثق به ، فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمده وما فعل فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه .



### الضحّاك يهوى الضرب

ذكر أبو عبد الله حمدون قال :

قال لي الحسين بن الضحّاك<sup>(١)</sup> : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي إيّاه .

ثم ضربني الأمين لمائلتي ابنه عبد الله ،

ثم ضربني المأمون لميلي الى محمد<sup>(٢)</sup> ،

ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ،

ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي الى المتوكل .

وكل ذلك يجري مجرى الولع والتحذير لي ، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعاً أن

يولع بي فتغاضب المتوكل عليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن كنت تضربني كما ضربني

آباؤك فاعلم أن آخر ضرب ضربته كان بسببك ، فضحك وقال : بل أصونك

وأكرمك .

(١) هو الحسين الخليل . شاعر من ندماء الخلفاء ، توفي سنة ٢٥٠ هـ .

(٢) محمد : هو محمد الأمين بن زبيدة الخليفة المعروف .

## أيهم أكرم وأعجب فعلاً؟!

لم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها جعفر البرمكي من الرشيد. قال ابراهيم بن المهدي: قال لي جعفر يوماً: إني استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غداً فهل أنت مساعدي؟ فقلت: جُعلت فداك، أنا أسعد بمساعدتك وأسرّ بمحادثتك. قال: فبكر إليّ.

قال: فأتيته عند الفجر فوجدتُ الشمعة بين يديه وهو ينتظرنِي للميعاد، فصلّينا ثم أفضنا في الحديث، ثم قدم إلينا الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا جُعلت علينا ثياب المنادمة وبخّرنا وطبّينا ثم ضمخنا بالخلوق<sup>(١)</sup>، ومدّت الستارة<sup>(٢)</sup>، وظللنا بأنعم يوم مرّ بنا، ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب وقال: إذا أتى عبد الملك فأذن له - يعني قهرماناً<sup>(٣)</sup> له -.

فاتفق أن جاء عبد الملك بن صالح عم الرشيد وهو من جلالته القدر والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل، وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحاً فلم يقدر عليه رفعاً لنفسه. فلما رفع السّتر وطلع علينا سقط في أيدينا<sup>(٤)</sup> وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان، فأعظم جعفر ذاك وارتاع له، ثم قام إليه إجلالاً. فلما نظر إلينا على تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سيفه وسواده وعمامته ثم قال: اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم. قال: فجاء الغلمان فطرحوا عليه ثياباً وخلّقه<sup>(٥)</sup> ودعا بالطعام فأكل وشرب ثلاثاً ثم قال: لتخفّ عني فإنه شيء والله ما شربته قطّ، فتهلّل وجه جعفر وفرح، ثم التفت إليه وقال: جُعلت فداك، قد تطوّلت وتفضّلت وساعدت فهل من حاجة تبلغ إليها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها مكافأة لما صنعت؟

(١) الخلوق: نوع من الطيب.

(٢) الستارة: السّتر الذي يكون بين الخليفة وعامة الناس.

(٣) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل.

(٤) سقط في أيدينا: أي تحيرنا واضطربنا.

(٥) خلّقه: طيّبه.

قال: بلى إن في قلب أمير المؤمنين عليّ هنة فاسأله الرضى عنيّ .  
فقال له جعفر: قد رضي أمير المؤمنين عنك، ثم قال: وعليّ عشرة آلاف دينار  
فقال: هي لك حاضرة من مالي ولك من مال أمير المؤمنين ضعفها، ثم قال: وابني  
ابراهيم أحب أن أشدّ ظهره بصهر من أمير المؤمنين. قال: قد زوّجه أمير المؤمنين  
ابنته العالية، قال: وأحب أن تحفّق عليه الألوية، قال: قد ولّاه أمير المؤمنين مصر.

فانصرف عبد الملك بن صالح .

قال ابراهيم بن المهدي: فبقيت متعجباً من إقدامه على أمير المؤمنين من غير  
استئذان وقلت: عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضى والمال والولاية، فمضى أطلق  
لجعفر أو لغيره تزويج بناته؟

فلما كان من الغدّ بكرت إلى باب الرشيد لأرى ما يكون. فدخل جعفر فلم  
يلبث أن دعا بأبي يوسف القاضي و ابراهيم بن عبد الملك بن صالح، فخرج ابراهيم  
وقد عقد نكاحه بالعالية ابنة الرشيد وعقد له على مصر والرايات بين يديه ومُحلت  
البِذْرُ<sup>(١)</sup> إلى منزل عبد الملك بن صالح، وخرج جعفر فأشار إلينا، فلما صرنا إلى  
منزله، التفت إلينا فقال: تعلّقت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره:  
لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال: كيف كان يومك يا جعفر؟  
فقصصْتُ عليه حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح، وكان متكئاً فاستوى  
جالساً وقال: إيه لله أبوك! فقلت: سألني في رضاك يا أمير المؤمنين. قال: نعم فيم  
أجبتة؟

قلت: رضي أمير المؤمنين عنك .

قال: قد أجزت، ثم ماذا؟

قلت: وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار.

قال: فيم أجبتة؟

قلت: وقد قضاها أمير المؤمنين عنك .

قال: قد قضيت، ثم ماذا؟

قال: قد رغب أن يشدّ أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بصهر منه .

---

(١) البِذْرُ: جمع بذرة وهو عبارة عن كيس توضع فيه الدراهم .

قال: فيم أجبته؟  
قلت: قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية.  
قال: قد أمضيت ذلك، ثم ماذا لله أبوك؟  
قلت: وأحب أن تحقق الألوية على رأسه.  
قال: فيم أجبته؟  
قلت: قد ولّاه أمير المؤمنين مصر.  
قال: قد ولّيت، فاحضر إبراهيم والقضاة والفقهاء فحضروا وتم له جميع ذلك من ساعته.  
قال إبراهيم بن المهدي: فوالله ما أدري أيهم أكرم وأعجب فعلاً، ما ابتدأه عبد الملك من المساعدة وشرب الخمر، ولم يكن شرّها قط، ولبسه ما لبس من ثياب المنادمة وكان رجل جدّ أم إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم، أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه!؟.

### ٣٣

#### المال لا يُؤكل بعينه

قالوا:  
لما تمهدت بلاد اليمن للملك المعظم شمس الدولة توران شاه أخو صلاح الدين، واستقامت له أمورها كره المقام بها لكونه نشأ في بلاد الشام وترى بها وهي كثيرة الخير، واليمن بلاد مجدبة. فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستقيل منها ويسأله الإذن له في العود إلى الشام ويشكو حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج إليها، فأرسل إليه صلاح الدين رسولاً مضمون رسالته ترغبه في الإقامة وأنها كثيرة الأموال ومملكة كبيرة، فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته: احضر لنا ألف دينار، فأحضرها، فقال الأستاذ داره والرسول حاضر عنده: ارسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج. فقال أستاذ الدار: يا مولانا، هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج؟ فقال: دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي، فقال: من أين يوجد هذا النوع ههنا؟

فجعل يعدّد عليه جميع أنواع فواكه دمشق وأستاذ الدار يُظهر التعجّب من كلامه، وكلّما قال له عن نوع يقول له: يا مولانا من أن يوجد هذا ههنا؟. فلما استوفى الكلام إلى آخره قال للرسول: ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي؟ فإن المال لا يُؤكل بعينه، بل الفائدة فيه أن يتوصل به الإنسان إلى بلوغ أغراضه. فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بما جرى فأذن له في المجيء.

#### ٣٤

### زواج بوران

بوران، هي بنت الحسن بن سهل، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً. قيل: اسمها خديجة وعرفت ببوران، كان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه. وليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها. احتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يُعهد مثله في عصر من العصور، وكان ذلك «بفهم الصلح» وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقوّاد والكتاب والوجوه بنادق<sup>(١)</sup> مسكٍ فيها رقايع بأسماء ضياع وأسماء جوارٍ وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصّد لذلك فيدفعها إليه ويتسلّم ما فيها سواء كان ضيعةً أو مُلكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً.

ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك ويَبَضُّ العنبر، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه، وكانوا خلقاً لا يُحصى، حتى على الجَمّالين والمكارية والملاحين وكل من ضمّه عسكره، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه. وذكر الطبري في تاريخه<sup>(٢)</sup> أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً، يُعدّ له

(١) البندق: الذي يرمى به. الواحدة بندقة، والجمع بنادق.

(٢) راجع: «تاريخ الطبري»، ١٠: ٢٧٢.

في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه . وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعهم فم الصلح ، فجلس الحسن وفرّق المال على قواده وأصحابه وحشمه .

وقال غير الطبري :

لما طلب المأمون الدخول على بوران دافعوه لعذر بها ، فلم يندفع ، فلما زفت إليه وجدها حائضاً فتركها . فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب وقال : يا أمير المؤمنين ، هناك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة وشدة الحركة ، والظفر بالمعركة ، فأنشد المأمون :

فارسٌ ماضٍ بحربته صادق بالطعن في الظلم  
رام أن يدمي فريسته فاتقته من دمٍ بدمٍ

فكنى بحيضها وهو من أحسن الكنايات . حكى ذلك أبو العباس الجرجاني في كتاب «الكنايات»<sup>(١)</sup> وقد رويت هذه القصة على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالصواب .

وقد توفيت بوران سنة ٢٧١ هـ - ٨٨٤ م .

## ❖ ❖ ❖ ٣٥ ❖ ❖ ❖

### لكل جوادٍ كبوة

كان ابن القرية - وهو معدود من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة - قد أصابته السنة<sup>(٢)</sup> ، وكان أعرابياً أمياً ، فقدم عين التمر<sup>(٣)</sup> وعليها عامل للحجاج بن يوسف . وكان العامل يغدي كل يوم ويعشي ، فوقف ابن القرية ببابه فرأى الناس يدخلون فقال : أين يدخل هؤلاء؟ فقالوا : إلى طعام الأمير ، فدخل فتغدي وقال : أكلّ يوم يصنع الأمير ما أرى؟ فقليل : نعم .

(١) السنة : السنة التي يكون فيها جدب وقحط .

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة .

فكان يأتي كل يومٍ بابه للغداء والعشاء، إلى أن ورد كتاب من الحجاج على العامل، وهو عربي غريب لا يدري ما هو، فأخّر لذلك طعامه، فجاء ابن القرية فلم ير العامل يتغذى، فقال: ما بال الأمير اليوم لا يأكل ولا يطعم؟

فقالوا: اغتمّ لكتاب ورد عليه من الحجاج عربي غريب لا يدري ما هو. قال: ليقرني الأمير الكتاب وأنا أفسره إن شاء الله تعالى - وكان خطيباً لسيناً بليغاً. فذكر ذلك للوالي فدعا به. فلما قرىء عليه الكتاب عرف الكلام وفسره للوالي حتى عرفه جميع ما فيه فقال له: أفتقدر على جوابه؟

قال: لست أقرأ ولا أكتب، ولكن أقعد عند كاتب يكتب ما أُمليه، ففعل. فكتب جواب الكتاب، فلما قرىء الكتاب على الحجاج رأى كلاماً عربياً غريباً، فعلم أنه ليس من كلام كتاب الخراج. فدعا برسائل عامل عين التمر فنظر فيها فإذا هي ليست بكتاب ابن القرية، فكتب الحجاج إلى العامل: أما بعد، فقد أتاني كتابك بعيداً عن جوابك بمنطق غريب، فإذا نظرت في كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تبعث إليّ بالرجل الذي صدر لك الكتاب والسلام». قال: فقرأ العامل الكتاب على ابن القرية وقال له: تتوجّه نحوه؟ فقال: أقلني.

قال: لا بأس عليك، وأمر له بكسوة ونفقة وحمله إلى الحجاج. فلما دخل عليه قال:

ما اسمك؟

قال: أيوب.

قال: اسم نبي وأظنك أمياً تحاول البلاغة ولا يستصعب عليك المقال، وأمر له بنزل ومنزل، فلم يزل يزداد به عجباً حتى أوفده على عبد الملك بن مروان فلما خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الطاعة بسجستان وهي واقعة مشهورة بعثه الحجاج إليه رسولاً، فلما دخل عليه قال له: لتقومن خطيباً ولتخلعن عبد الملك ولتسببن الحجاج أو لأضربن عنقك.



قال: أيها الأمير إنما أنا رسول.

قال: هو ما أقوله له، فقام وخطب وخلع عبد الملك وشم الحجاج، وأقام هنالك.

فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً كتب الحجاج إلى عماله بالري واصبهان وما يليهما يأمرهم أن لا يمر بهم أحد من فلّ ابن الأشعث إلّا بعثوا به أسيراً إليه. وأخذ ابن القرية فيمن أخذ، فلما أدخل على الحجاج قال: أخبرني عما أسألك عنه، قال: سلني عما شئت.

قال: أخبرني عن أهل العراق.

قال: أعلم الناس بحقٍ وباطل.

قال: فأهل الحجاز؟

قال: أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها.

قال: فأهل الشام؟

قال: أطوع الناس لخلفائهم.

قال: فأهل مصر؟

قال: عبيد من غلب.

قال: فأهل البحرين؟

قال: نبيط استعربوا.

قال: فأهل عمان؟

قال: عرب استنبطوا.

قال: فأهل الموصل؟

قال: أشجع فرسان وأقتل للأقران.

قال: فأهل اليمن؟

قال: أهل سمع وطاعة ولزوم للجماعة.

قال: فأهل اليمامة؟

قال: أهل جفاء واختلاف وأهواء، وأصبر عند اللقاء.

قال: فأهل فارس؟

قال: أهل بأس شديد، وشر عتيد، وريف كثير، وقرى يسير.  
قال: أخبرني عن العرب.  
قال: سلمي.  
قال: قريش.  
قال: أعظمها أحلاماً وأكرمها مقاماً.  
قال: فبنوا عامر بن صعصعة.  
قال: أطولها رماحاً، وأكرمها صباحاً.  
قال: فبنوا سليم.  
قال: أعظمها مجالس وأكرمها محابس.  
قال: فثقيف.  
قال: أكرمها جدوداً وأكثرها وفوداً.  
قال: فبنوا زُبَيْد.  
قال: ألزمها للرايات، وأدركها للتراث.  
قال: فقضاعة.  
قال: أعظمها أخطاراً، وأكرمها نجاراً وأبعد ما آثاراً.  
قال: فالأنصار.  
قال: أثبتها مقاماً وأحسنها إسلاماً وأكرمها أياماً.  
قال: فتميم.  
قال: أظهرها جلدأ، وأثراها عددأ.  
قال: فبكر بن وائل.  
قال: أثبتها صفوفاً وأحدّها سيوفاً.  
قال: فعبد القيس.  
قال: أسبقها إلى الغايات، وأضرّ بها تحت الرايات.  
قال: فبنوا أسد.  
قال: أهل عدد وجلد وعسر ونكد.  
قال: فلخم.

قال : ملوك وفيهم نوك<sup>(١)</sup> .  
قال : فجذام .  
قال : يوقدون الحرب ويسعرونها ويلحقونها ثم يمرونها .  
قال : فبنوا الحارث .  
قال : رعاة للقديم وحماة عن الحريم .  
قال : فعك .  
قال : ليوث جاهدة في قلوب فاسدة .  
قال : فتغلب .  
قال : يصدقون إذا لقوا ضرباً ويسعرون للأعداء حرباً .  
قال : فغسان .  
قال : أكرم العرب أحساناً وأثبتها أنساباً .  
قال : فأبي العرب في الجاهلية كانت أمنع من أن تضام ؟  
قال : قریش ، كانوا أهل رهوة لا يستطيع ارتقاؤها وهضبة لا يرام انتزاؤها في بلدة حمى الله ذمارها ومنع جارها .  
قال : فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية .  
قال : كانت العرب تقول حمير أرباب الملوك وكندة لباب الملوك ومذحج أهل الطعان وهمدان أحلاس الخيل والأزد آساد الناس .  
قال : فأخبرني عن الأرضين .  
قال : سلمي .  
قال : الهند .  
قال : بحرهما درٌ وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وأهلها طغام كقطع الحمام .  
قال : فخراسان .  
قال : ماؤها جامد وعدوها جاحد .  
قال : نعمان .

---

(١) نوك : تحق .

قال: حرّها شديد، وصيدها عتيد.  
قال: فالبحرين  
قال: كناسة بين المصريين<sup>(١)</sup>.  
قال: فاليمن.  
قال: أصل العرب وأهل البيوتات والحسب.  
قال: فمكة.  
قال: رجالها علماء جفاة ونساؤها كساء عراة.  
قال: فالمدينة.  
قال: رسخ العلم فيها وظهر منها.  
قال: فالبصرة.  
قال: شتاؤها جليد ومرّها شديد وماؤها ملح وحربها صلح.  
قال: فالكوفة.  
قال: ارتفعت عن حرّ البحر وسفلت عن برد الشام فطاب ليلها وكثر خيرها.  
قال: فواسط.  
قال: جنة بين حماة وكّنة.  
قال: وما حماها وكنتها؟  
قال: البصرة والكوفة تحسدانها وما ضرّها ودجلة والزاب يتجاربان بإفاضة الخير عليها.  
قال: فالشام.  
قال: عروس بين نسوة جلوس.  
قال: ثكلتك أمك يا ابن القرية! لولا اتّباعك لأهل العراق وقد كنت أنهلك عنهم أن تتبعهم فتأخذ من نفاقهم، ثم دعا بالسيف والنطع<sup>(٢)</sup> وأوماً إلى السيّاف أن أمسك. فقال ابن القرية: ثلاث كلمات أصلح الله الأمير كأنهن ركبٌ وقوف يكنّ مثلاً بعدي.

---

(١) المصران: الكوفة والبصرة.  
(٢) النطع: بساط من جلد يوضع تحت المحكوم عليه بالموت.

قال : هات .

قال : لكل جوادٍ كبوة ولكل صارم نبوة ولكل حلیم هفوة .

قال الحجاج : ليس هذا وقت المزاح . يا غلام أوجب جرحه ، فضرب عنقه .

وقيل : إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال : صدقتِ

العرب ، أصلح الله الأمير !

قال : فما آفة الحلم ؟

قال : الغضب .

قال : فما آفة العقل ؟

قال : العجب .

قال : فما آفة العلم ؟

قال : النسيان .

قال : فما آفة السخاء ؟

قال : المنّ عند البلاء .

قال : فما آفة الكرام ؟

قال : مجاورة اللئام .

قال : فما آفة الشجاعة .

قال : البغي .

قال : فما آفة العبادة ؟

قال : الفترة .

قال : فما آفة الذهن ؟

قال : حديث النفس .

قال : فما آفة الحديث ؟

قال : الكذب .

قال : فما آفة المال ؟

قال : سوء التدبير .

قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟

قال: العدم.

قال: فما آفة الحجاج بن يوسف؟

قال: أصلح الله الأمير، لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسيه وزكا فرعه.

قال: امتلأت شقاقاً وأظهرت نفاقاً. اضربوا عنقه، فلماً رآه قتيلاً ندم.

٣٦

### الأعرابي والامام

صلى أعرابي خلف إمام، فقرأ الإمام: ﴿ألم نهلك الأولين﴾<sup>(١)</sup> وكان في الصف الأول، فتأخر إلى الصف الآخر، فقرأ الإمام ﴿ثم تتبعهم الآخريين﴾<sup>(٢)</sup> فتأخر، فقرأ الإمام ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾<sup>(٣)</sup> وكان اسم البدوي مجرمًا، فترك الصلاة وخرج هاربًا وهو يقول: والله ما المطلوب غيري.

فلقيه بعض الأعراب فقال له: ما لك يا مجرم؟

فقال: إن الإمام أهلك الأولين والآخريين، وأراد أن يهلكني في الجملة، والله ما رأيته بعد اليوم.

٣٧

### علي بن أبي طالب وشريح واليهودي

عن إبراهيم التيمي قال:

عرف علي رضي الله عنه درعاً له مع يهودي فقال: يا يهودي، درعي سقطت مني يوم كذا وكذا.

فقال اليهودي: ما أدري ما تقول درعي وفي يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين.

فانطلقا إلى القاضي شريح، فلما رآه شريح قام له عن مجلسه، فقال له علي:

اجلس. فجلس شريح ثم قال:

(١)، (٢) و(٣): سورة المرسلات: الآيات ١٦، ١٧ و١٨.

إن خصمي لو كان مسلماً جلست معه بين يديك، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تساؤوهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنازتهم، واضطروهم إلى أضيق الطرق وإن سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال: درعي عرفتها مع هذا اليهودي.

فقال شريح لليهودي : ما تقول؟

قال: درعی وفی یدی.

قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت، ولكن لا بدّ من شاهد، فدعا قنبراً<sup>(١)</sup> فشهد له ودعا الحسن بن عليّ فشهد له.

فقال شريح: أُمّا شهادة مولاك فقد قبلتها، وأُمّا شهادة ابنك لك فلا.

فقال عليّ: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

قال: اللهم نعم.

قال: أفلا تحبّز شهادة أحد سيّدي شباب أهل الجنة! والله لتخرجنّ إلى بانقيا<sup>(٢)</sup> فلتقتضينّ بين أهلها أربعين يوماً. ثم سلّم الدرع إلى اليهودي.

فقال اليهودي : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه ففضى عليه ، فرضي به ، صدقتَ إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جل أورك فالتقطتها ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقال علي رضي الله عنه: هذه الدرع لك، وهذه الفرس لك، وفرض له في تسعمائة فلم يزل معه حتى قتل يوم صفين.

۳۸ 

ردّوا إليه عشرين ألف درهم

امتدح المؤمل المحاربى الشاعر المعروف، المهدي وهو ولي العهد، فأعطاه عشرين ألف درهم، فبلغ المنصور ذلك فكتب إليه يلومه ويقول: إنما كان ينبغي أن

(۱) قنبر: مولی علی.

(۲) بانقیا: تقدم تحدیدھا.

تعطيه أربعة آلاف درهم بعد أن يقيم ببابك سنة. وأجلس قائداً من قواده على جسر  
النهر وان يتصفّح وجوه الناس حتى مرّ به المؤمل، فأخذه ودخل به على المنصور فسلم  
فقال: من أنت؟

قال: المؤمل بن أميل المحاربي.

فقال: أتيت إلى غلام غرّ خدعته؟!!

فقال: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين، أتيت غلاماً كريماً فخدعته فانخدع،  
فكأنّ ذلك أعجب المنصور، فقال: أنشدني ما قلت فيه فأنشده القصيدة ومنها:

هو المهديّ إلّا أن فيه	مشابهة من القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما	أنارا مشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليلٍ	وهذا في النهار ضياء نورٍ
ولكن فضل الرحمن هذا	على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أميرٌ	وما ذا بالأمير ولا الوزير
وبعض الشهر ينقص ذا وهذا	منيرٌ عند نقصان الشهر
فيا ابن خليفة الله المصفى	به تعلو مفاخرة الفخور
لئن قُتّ الملوك وقد توافوا	إليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى	بقوا من بين كابٍ أو حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً	وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان إلّا	كما بين الخليق إلى الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبقٍ	له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصبيّ مدى كبير	فقد خلق الصغير من الكبير

فقال: والله لقد أحسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم، فأين المال؟

قال: هذا هوذا.

فقال: يا ربيع، امضِ معه فاعطه أربعة آلاف درهم وخذ الباقي منه، ففعل.  
فلما وليّ الخلافة المهدي، وليّ أبا ثوبان المظالم. فكان يجلس بالرصافة، فإذا ملأ  
كسائه رقاعاً دفعها إلى المهدي. فرفع المؤمل المحاربي رقعةً ذكر فيها واقعته. فلما نظر  
المهدي إليها ضحك وقال: ردّوا إليه عشرين ألف درهم، فردّت إليه.



### تضعيف رقعة الشطرنج

كان الناس يعتقدون خطأً أن أبا بكر الصولي هو الذي وضع الشطرنج، لكن الصحيح أن الذي وضعه هو صيصة بن داهر الهندي، واسم الملك الذي وضعه له شهرام.

ويقال إن صيصة لما وضع الشطرنج وعرضه على الملك شهرام المذكور أعجبه وفرح به كثيراً، وأمر أن يكون في بيوت الديانة، ورآه أفضل ما علم لأنه آلة للحرب وغزٍ للدين والدنيا وأساس لكل عدل، وأظهر الشكر والسرور على ما أنعم عليه في ملكه منه وقال لصيصه: اقترح علي ما تشتهي، فقال له: اقترحت أن تضع حبة قمح في البيت الأول، ولا تزال تضعها حتى تنتهي إلى آخرها، فمهما بلغ تعطيني..

فاستصغر الملك ذلك، وأنكر عليه كونه قابله بالنزر اليسير، وكان قد أضمر له شيئاً كثيراً. فقال: ما أريد إلا هذا. فرأه فيه وهو مصرٌّ عليه فأجابه إلى مطلوبه، وتقدم له به، فلما قيل لأرباب الديوان حسبه فقالوا ما عندنا قمح يفي بهذا ولا بما يقاربه، فلما قيل للملك استنكر هذه المقالة، وأحضر أرباب الديوان وسألهم فقالوا له: لو جمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا القدر. فطالبهم بإقامة البرهان على ذلك، فقعدوا وحسبه فظهر له صدق ذلك فقال الملك لصيصه: أنت في اقتراحك ما اقترحت أعجب حالاً من وضعك الشطرنج.

وطريق هذا التضعيف أن يضع الحاسب في البيت الأول حبة وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربع حبات وفي الرابع ثمان حبات، وهكذا إلى آخره، كلما انتقل إلى بيت ضاعف ما قبله وأثبتته فيه.

وهذه الطريقة غريبة أثبتناها ليقف عليها من يستنكر ما قالوه في تضعيف رقعة الشطرنج. ويعلم أن ذلك حق، وأن هذه الطريقة سهلة الإطلاع على حقيقة ما ذكر عن تضعيف الرقعة.

\*

### ابن السراج ينظم وابن طاهر يقبض

قال ابن خلكان :

رأيت في بعض الكتب أبياتاً منسوبة إلى أبي بكر السراج النحوي ولا أتأكد صحتها، وهي سائرة بين الناس في جارية كان يهواها، وهي :

مَيَّزَتْ بَيْنَ جَمَاهَا وَفَعَالِهَا      فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَفِي  
خَلَقْتُ لَنَا أَنْ لَا تَخُونُ عَهْدَنَا      فَكَأَنَّمَا خَلَقْتُ لَنَا أَنْ لَا تَفِي  
وَاللَّهِ لَا كَلَمْتُهَا وَلَوْ أَنَّهَا      كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْتَفِي

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت هذه الأبيات له، ولها قصة عجيبة، وهي أن أبا بكر المذكور كان يهوى جارية فجفت، فاتفق وصول الإمام المكتفي في تلك الأيام من الرقة، فاجتمع الناس لرؤيته، فلما رآه أبو بكر استحسنته، وأنشد لأصحابه الأبيات المذكورة، ثم إن عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس ابن الفرات، وقال: هي لابن المعتز، وأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير. فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها فقال لمن هي: فقال: لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأمر له بألف دينار، فوصلت إليه فقال ابن زنجي: ما أعجب هذه القصة! يعمل أبو بكر ابن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر؟!

### الموتة وبطلان التكاليف

حكى عبد العزيز بن الفضل قال :

خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وأبو بكر محمد بن داود الظاهري، وأبو عبد الله نبطويه إلى وليمة دُعوا لها، فأفصى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم أن يتقدم صاحبه عليه. فقال ابن سريج : ضيق الطريق يورث سوء الأدب.

وقال ابن داود: لكنه يُعرّف مقادير الرجال.  
فقال نفطويه: إذا استحكمت المودة بطلت التكليف.

## ٤٢

### افتدى نفسه منه على ١٠٠ ألف درهم

شكا أبو محمد اليزيدي إلى المأمون حاجة أصابته وديناً لحقه، فقال: ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد.  
فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأمر قد ضاق عليّ، وإن غرمائي قد أرهقوني، فاحتل لي، ففكر المأمون طويلاً واستقرّ الأمر على أن يحضر اليزيدي إلى الباب إذا جلس المأمون في مجلس الأنس وعنده ندماءه، ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو إخراج بعض الندماء إليه، فلما جلس المأمون حضر اليزيدي إلى الباب ودفع للخادم رقعة مختومة فأدخلها إلى المأمون ففحصها فإذا فيها مكتوب:

يا خير اخوانٍ وأصحابِ هذا الطفيليّ على البابِ  
فصبروني واحداً منكم أو اخرجوا لي بعض أصحابي

فقرأها المأمون على من حضر وقال: ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال، فأرسل إليه المأمون يقول له: دخولك في مثل هذا الوقت متعذر، فاختر لنفسك مَنْ أحببت أن تناديه، فلما وقف على الرسالة قال: ما أرى لنفسي اختياراً سوى عبد الله بن طاهر فقال له المأمون: قد وقع الاختيار عليك فصر إليه.

فقال: يا أمير المؤمنين، فأكون شريك الطفيلي؟

فقال: ما يمكنني ردّ أبي محمد عن أمره فإن أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتد نفسك منه، فقال: على عشرة آلاف درهم.

فقال: لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك، فلم يزل يزيده عشرة آلاف على عشرة آلاف والمأمون يقول: لا أرضى له بذلك، حتى بلغ مائة ألف درهم.  
فقال له المأمون: فعجلها له. فكتب له بها إلى وكيله ووجه رسولاً، وأرسل إليه المأمون وهو يقول: قبض هذا المبلغ في مثل هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله. فقبل ذلك منه، وكان اليزيدي ظريفاً في جميع أحواله.

### عُمر أول من دُعي أمير المؤمنين

نقلت من كتاب «الهفوات النادرة...»<sup>(١)</sup> لمحمد بن هلال أن أعرابياً شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال الأعرابي: فصاح به صائح من خلفه: يا خليفة رسول الله ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفي: دعاه باسم ميت، مات والله أمير المؤمنين، فالتفت إليه، فإذا هو رجل من بني لهب. قال الأعرابي: فلما وقفنا لرمي الجمار إذا حصاة قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته، فقال قائل: أشعر<sup>(٢)</sup> والله أمير المؤمنين، والله لا يقف هذا الموقف بعدها، فالتفت إليه فإذا هو اللّهي بعينه، فقتل عمر قبل الحول. وهذه الحكاية في كتاب «الكامل»<sup>(٣)</sup> أيضاً.

وقوله «دعاه باسم ميت» إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقال له «خليفة رسول الله» فلما توفي وتولّى عمر قيل له: «خليفة رسول الله» فقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: هذا أمر يطول شرحه، فإن كل من يتولى يقال له خليفة مَنْ كان قبله حتى يتصل برسول الله (ص) وإنما أنتم المؤمنون، وأنا أميركم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، فهو أول من دُعي بهذا الاسم، وكان لفظ الخليفة مختصاً بأبي بكر الصديق فلماذا قال «دعاه باسم ميت».

وقال عوانه: أول من سمّاه أمير المؤمنين عدّي بن حاتم الطائي، وأول من سلّم عليه بها المغيرة بن شعبة. وقال غيره: جلس عمر يوماً فقال: والله ما ندري كيف نقول: أبو بكر خليفة رسول الله (ص) وأنا خليفة أبي بكر، فأنا خليفة خليفة رسول الله (ص) فمن جاء بعدي يقال له: خليفة خليفة خليفة رسول الله (ص) فهل هذا اسم؟ قالوا: الأمير، قال: كلّكم أمير، قال المغيرة: نحن المؤمنون، وأنت أميرنا، فأنت أمير المؤمنين، قال: فأنا أمير المؤمنين، والله أعلم.

(١) راجع: الهفوات النادرة، ص ٣٦١.

(٢) أشعر: مات.

(٣) راجع: «الكامل»، ١: ١٤٥.

### بين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم

ذكرت مجلة الهلال أن أحمد شوقي كان قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس إلى حافظ إبراهيم وهي:

يا ساكني مصر إننا لا نزال على عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمينا  
هلاً بعثتم لنا من ماء نهركم شيئاً نبلى به أحشاء صاديننا؟  
كل المناهل بعد النيل آسنه ما أبعد النيل إلا عن أمانينا  
فأجابه حافظ بهذه الأبيات:

عجبت للنيل يدري أن بلبله صايد، ويسقي ربا مصر ويسقينا  
والله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا  
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

### نتيجة الأمر والإكراه

كان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى، صاحب الرسائل المشهورة، والنظم البديع، متشدداً في دينه، وقد جهد عليه عز الدولة الديلمي أن يسلم فلم يفعل. وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بن بويه بما يؤله، فحقد عليه. فلما قُتل عز الدولة ومَلَكَ عضد الدولة بغداد اعتقله في سنة ٣٦٧ وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة، فشفعوا فيه، ثم أطلقه في سنة ٣٧١، وأمره مكرهاً أن يؤلف له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية، فألف الكتاب «التاجي».

وقيل لعضد الدولة: إن صديقاً للصابى دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتهيص، فسأله عما يعمل، فقال: أباطيل أُنمقها، وأكاذيب أُلَفقها، وأخبار أخترعها، وأحاديث غير صحيحة أرتبها... فحركت ساكنه وهيجت حقه، فطلبه فإذا به قد هرب، ولم يزل مبعداً في أيامه.

## إريحية ابن أبي دؤاد

حدث الجاحظ قال:

إن المعتصم غضب على رجلٍ من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنّطع<sup>(١)</sup>، فقال له المعتصم: فعلت وصنعت...، وأمر بضرب عنقه. فقال له ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، سبق السيف العَدْل، فتأَنُّ في أمره فإنه مظلوم. قال: فسكن قليلاً.

قال ابن أبي دؤاد: وغمرني البول فلم أقدر على حبسه، وعلمت أي إن قمتُ قُتل الرجل، فجعلت ثيابي تحتي وبُلْتُ فيها حتى خلّصتُ الرجل. قال: فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابي رطبة فقال: يا أبا عبد الله كان تحتك ماء؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكنه كان كذا، فضحك المعتصم ودعا لي وقال: أحسنت بارك الله عليك.

وخلع، عليه وأمر له بمائة ألف درهم.

ومن حديث أريحيته أيضاً ما قاله أبو العيناء. قال:

كان الأفشين يحسد الشاعر أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي للعربية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجناية قتل، فأخذه ببعض أسبابه، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله. وبلغ ابن أبي دؤاد الخبر، فركب في وقته مع من حضر من عدوله، فدخل على الأفشين وقد جيء بأبي دُلف ليُقتل، فوقف ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تُحدِث في القاسم بن عيسى حَدَثاً حتى تُسلّمه إليّ، ثم التفت إلى العدول وقال: اشهدوا أيّ قد أدّيت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم حيّ معافى، فقالوا: قد شهدنا، وخرج، فلم يقدر الأفشين عليه، وسار ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته، وقال: يا أمير المؤمنين، قد أدّيت عنك رسالة لم تقلها لي، ما أعتدُ بعملٍ خيرٍ منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوّب رأيه ووجّه من أحضر القاسم فأطلقه ووهب له وعَنَفَ

(١) النطع: البساط الذي يوضع تحت المحكوم عليه بالموت ويكون من الجلد.

الأفشين فيما عزم عليه .

ومن أحاديث أريحيته أيضاً ما ذكره المرزباني عن أبي العيناء أن المعتصم غضب على خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وأشخصه من ولايته لعجز لحقه في مال طلب منه وأسباب غير ذلك . فجلس المعتصم لعقوبته ، وكان قد طرح نفسه على القاضي أحمد بن أبي دؤاد<sup>(١)</sup> ، فتكلم فيه فلم يجبه المعتصم . فلما جلس لعقوبته حضر القاضي أحمد فجلس دون مجلسه ، فقال له المعتصم : يا أبا عبد الله ، جلست في غير مجلسك ، فقال : ما ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا ، فقال له : وكيف؟ قال : لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعي موضع من يشفع في رجل فيشفع ، قال : فارجع إلى مجلسك .

قال : مشفعاً أو غير مشفع؟

قال : بل مشفعاً ، فارتفع إلى مجلسه ، ثم قال :

إن الناس لا يعلمون رضي أمير المؤمنين عنه إن لم يخلع عليه ، فأمر بالخلع عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد استحق هو وأصحابه رزق ستة أشهر لا بد أن يقبضوها ، وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة فقال : قد أمرت بها ، فخرج خالد وعليه الخلف والمال بين يديه ، وإن الناس في الطريق ينتظرون الإيقاع به ، فصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب ، فقال له : اسكت ، سيد العرب والله أحمد بن أبي دؤاد .

\* وقالوا<sup>(٢)</sup> : عندما قدم يحيى بن أكثم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة اثنتين ومائتين وهو حدث سنه نيف وعشرون سنة ، استصحب جماعة من أهل العلم والمروءات منهم ابن أبي دؤاد ، فلما قدم المأمون ببغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى : اختر لي من أصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول إلي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن أبي دؤاد ، فكثروا على المأمون ، فقال : اختر منهم ، فاختر عشرة فيهم ابن أبي دؤاد ، ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن

(١) كان قد ولي المظالم .

(٢) راجع : «وفيات الأعيان» ، ١ : ٨٤ .

أبي دؤاد، واتصل أمره، وأسند المأمون وصيته عند الموت إلى أخيه المعتصم، وقال فيها:

وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمر، فإنه موضع ذلك، ولا تتخذن بعدي وزيراً.

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة، وعزل يحيى بن أكثم وخُصَّ به أحمد حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً أو ظاهراً إلا برأيه. . .

## ٤٧

### حيلة أبي دلامة وأم دلامة

دخل أبو دلامة الشاعر المشهور بطرائفه اللطيفة على المهدي وهو يبكي. فقال له: مالك:

قال: ماتت أم دلامة وأنشده لنفسه فيها:

وكنّا كزوجٍ من قطا<sup>(١)</sup> في مفازة<sup>(٢)</sup>      لدى خفض عيشٍ ناعمٍ مُؤنقٍ رغيدٍ  
فأفردني ربُّ الزمان بصرفه      ولم أر شيئاً قطّ أوحش من فردٍ

فأمر له بتياب وطيب ودنانير، وخرج.

فدخلت أم دلامة على الخيزران زوجة المهدي فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك وخرجت.

فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه.

\*

(١) القطا: نوع من الطير.

(٢) المفازة: الصحراء الواسعة.



## أبو دُلّامة يهجو نفسه

قال المدائني :

دخل أبو دُلّامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعبّاس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أعطي الله لئن لم تهجُ واحداً ممّن في البيت لأقطعنّ لسانك . فنظر إلى القوم ، فكلمها نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه .

قال أبو دُلّامة : فعلمتُ أني قد وقعت ، وأنها عزمة من عزماته لا بدّ منها ، فلم أرَ أحداً أحقّ بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغُ إليك أبا دُلّامة فليس من الكرام ولا كرامة  
إذا لبسَ العمامة كان قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامة  
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامة<sup>(١)</sup>  
فإن تك قد أصبت نعيم دُنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة  
فضحك القوم ولم يبقَ منهم أحدٌ إلّا أجازه .

## جمع بين المصلحتين وتحمل الغرم

ومن أخباره : أنه مرض ولدّه ، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جُعلاً معلوماً ، فلما برىء قال له : والله ما عندنا شيء نعطيك ، ولكن ادّع على فلان اليهودي - وكان ذا مال كثير - بمقدار الجعل ، وأنا وولدي نشهد لك بذلك ، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة - وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل : عبد الله بن شبرمة - وحمل إليه اليهودي المذكور ، وادّعى عليه بذلك المبلغ ، فأنكر اليهودي المذكور ، فقال : لي بينه ، وخرج لإحضارها ، فأحضر أبا دُلّامة وولده ، فدخلا إلى

(١) الدمامة : الحقارة وقبح النظر .

المجلس، وخاف أبو دلالة أن يطالبه القاضي بالتركية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي:

إِن النَّاسُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي ففِيهِمْ مَبَاحِثُ  
وَإِنْ نَبِثُوا بِثَرِي نَبِثْتُ بِثَارِهِمْ لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تَلُكُ النَّبَاطِثُ

ثم حضرا بين يدي القاضي، وأديا الشهادة، فقال له: كلامك مسموع وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتها خوفاً من لسانه، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله.



### بيت من الشعر بـ ٣٠٠ ألف درهم

ذكر أبو العباس ابن المعتز في كتاب «طبقات الشعراء» فقال في حق مروان بن أبي حفصة (الشاعر الملهم):

«وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه، يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني. ويُقال إنه أخذ منه عليها مالا كثيراً لا يقدر قدره، ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره، فمما ناله ضربة واحدة ٣٠٠ ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد.

والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتاً، ولولا خوف الإطالة لذكرتها، ولكن نأتي ببعض مديحها وهو في أثنائها:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم	أسود لهم في بطن خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما	لجارهم بين السماكين منزل
تجنب «لا» في القول حتى كأنه	حرام عليه قول «لا» حين يسأل
تشابه يوماء علينا فأشكلا	فلا نحن ندري أي يوميه أفضل
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن	كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا	أجابوا، وإن أعطوا أصابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالمهم	وإن أحسنوا في النابات وأجملوا

ثلاث بأمثال الجبال حُبَاهُمْ وأحلامهم منها لدى الوزن أثقلُ  
وهذا لعمرى من السحر الحلال المنقح لفظاً ومعنىً وحقّه أن يفضّل على شعراء  
عصره وغيرهم . . .

٥١

### أعطاه شراحيل قنطاراً من الذهب

يُحكى أن ولدًا لمروان بن أبي حفصة الذي تقدم ذكره دخل على شراحيل بن  
معن بن زائدة فأنشده:

أيا شراحيل من معن بن زائدة      يا أكرم الناس من عجم ومن عرب  
أعطى أبوك أبي مالاً فعاش به      فأعطني مثل ما أعطى أبوك أبي  
ما حلّ قط أبي أرضاً أبوك بها      إلّا وأعطاه قنطاراً من الذهب  
فأعطاه شراحيل قنطاراً من الذهب.

٥٢

### الأب كريم والابن أكرم

ومما يقارب الحكاية التي تقدّمت ما يُروى عن أبي مليكة جرول بن أوس المعروف  
بالخطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة لسانه وكثرة  
هجوه الناس كتب إليه من الاعتقال قصيدته التي يقول فيها:

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخٍ      حمر الحواصل لا ماء ولا شجرُ  
ألقيت كاسبهم في قعر مُظلمةٍ      فارحم عليك سلام الله يا عمرُ  
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه      ألقت إليك مقاليد النهى البشرُ  
ما آثروك بها إذ قدّموك لها      لكن لأنفسهم قد كانت الأثرُ  
فأطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس، فقال له: يا أمير المؤمنين اكتب  
لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة لأقصده به، فقد منعني التكسب بشعري. وكان علقمة  
مقيماً بحوران، وهو من الأجواد المشهورين.

٥٨

قال ابن الكلبي في كتاب «جمهرة النسب»: هو علقمة بن عُلاثة بن عوف بن ربيعة، وكان عمر، رضي الله عنه، قد استعمله على حوران، فامتنع عمر من ذلك. ف قيل له: يا أمير المؤمنين وما عليك من ذلك؟ علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك أن تأثم وإنما هو رجل من المسلمين تشفع بك إليك. فكتب له ما أراد، فمضى الحطيثة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره، وابنه حاضر، فوقف عليه ثم أنشد:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى علقته الحبائلُ  
فإن نحي لا أمللُ حياتي وإن تمث فما في حياة بعد موتك طائلُ  
وما كان بيني ولقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه: كم ظننت أن علقمة كان يعطيك لو وجدته حياً؟  
فقال: مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها، فأعطاه ابنه إياها.

٥٣

### نصيب اليتامى في وصية الحطيثة

لما حضرت الحطيثة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة: أوص. فقال: ويل للشعر من راوية السوء. قالوا: أوص رحمك الله يا حطيثة، ألك حاجة؟ قال: لا والله ولكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس أهلاً له. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأوماً بيده إلى فمه وقال: هذا الحُجَيْر إذا طمع في خير (يعني فمه) واستعبر باكياً فقالوا له: قل لا إله إلا الله، وقالوا له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟

فقال: هم عبيد قن ما عاقب الليل والنهار.

قالوا: فأوص للفقراء بشيء.

قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور وأنت<sup>(١)</sup> المسؤول أضيّق.

(١) الإست: المؤخرة، العجز.

قالوا: فما تقول في مالك؟  
قال: للأثنى من ولدي مثل حظ الذكر.  
قالوا: ليس هكذا قضى الله جلّ وعزّ لهنّ.  
قال: لكنّي هكذا قضيت.  
قالوا: فما توصي لليتامى؟  
قال: كُلُوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم.  
قالوا: فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟  
قال: نعم، تحملونني على أتان<sup>(١)</sup> وتركونني راكبها حتى أموت فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يمت عليه كريم قطّ، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويحيثون عليها حتى مات وهو يقول:  
لا أَحَدُ الْأُمِّ مِنْ حَاطِيَّةٍ هَجَا بَنِيهِ وَهَجَا الْمَرِيَّةَ  
من لؤمه مات على فُرِّيَّة<sup>(٢)</sup>



### مرهباً بك مرهباً

يُحكى عن أبي عطاء السندي الشاعر المشهور، واسمه مرزوق، وهو من موالي أسد بن خزيمه، أنه كان في لسانه عجمة<sup>(٣)</sup>. فاجتمع حمّاد الراوية، وحمّاد عجرد، وحمّاد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني، في بعض الليالي ليتذاكروا فقالوا: ما بقي شيء إلّا وقد تهيأ لنا في مجلسنا هذا، فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ليحضر عندنا ويكمل به المجلس. فأرسلوا إليه، فقال حمّاد بن الزبرقان: أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول: جرادة، وزج، وشيطان؟ وإنما اختار له هذه الألفاظ لأنه كان يُبدّل من الجيم زايّاً، ومن الشين سيناً، فقال حمّاد الراوية: أنا أحتال في

(١) الأتان: أنثى الحمار.

(٢) القرية: الأتان.

(٣) في لسانه عجمة: أي لا يفصح.

ذلك، فلم يلبثوا أن جاءهم أبو عطاء فقال لهم: هياكم الله، يريد القول حياكم الله، فقالوا له: مرهباً بك مرهباً، يريدون القول مرحباً بك مرحباً على لغته. قالوا له: ألا تتعشى؟

فقال: قد تعسيت، فهل عندكم نبيذ نسرب؟ فقالوا: نعم، فأتوا له بنبيذ فشرب حتى استرخى، فقال له حماد الراوية: يا أبا عطاء، كيف معرفتك باللغز؟

فقال: حسن، يريد القول: حسن، فقال له ملغزاً في جرادة:

فما صفراء تُكنى أم عوفٍ كأن رجيلتيها منجلان؟

فقال: زrada [يريد القول: جرادة] فقال: صدقت، ثم قال ملغزاً في زُج:

فما اسم حديدة في الرمح ترسى دُوَيْنَ الصدرِ ليست بالسنان

فقال أبو عطاء: زَزْ [يريد القول: زُج] فقال حماد: أصبت، ثم قال ملغزاً في مسجد بجوار بني شيطان، وهو بالبصرة:

أتعرف مسجداً لبني تميمٍ فويق الميل دون بني أبان

فقال: هو في بني شيطان، فقال: أحسنت. ثم تنادى وتفاكهوا إلى سحرة في أرغد عيش.

«وأبو عطاء هذا من الشعراء المجيدين، كان عبداً أُخرب، مشقوق الأذن، وله في كتاب الحماسة مقاطع نادرة ولولا خشية التطويل والخروج عن المقصود لذكرت جملة من نوادره وشعره».



### ظننتك تستفهم

صلى الدلال المَخْنَثَ الظريف يوماً خلف الإمام بمكة، فقرأ الإمام: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾<sup>(١)</sup>. فقال الدلال: لا أدري والله! فضحك كل

(١) سورة يس: الآية ٢٢.

الناس وقطعوا الصلاة. فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له: ويلك ألا تدع هذا المجون والسففة! فقال له: قد كان عندي أنك تعبد الله، فلما سمعتك تستفهم، ظننت أنك تشككت في ربك فثبتك. فقال له: أنا شككت في ربي وأنت ثبتني!!! إذهب لعنك الله! ولا تعاود فأبالغ والله في عقوبتك.

## ٥٦

### خلقه ليزل به الجبابرة

رُوي أنَّ أبا جعفر المنصور كان جالساً، فسقط عليه الذباب، فطيره، فعاد إليه وألح عليه، وجعل يقع على وجهه، وأكثر من السقوط عليه مراراً حتى أضجره، فقال المنصور: انظروا مَنْ بالباب، فقيل له: مقاتل بن سليمان. فقال: عليّ به، فأذن له، فلما دخل عليه قال له: هل تعلم لماذا خلق الله تعالى الذباب؟ قال: نعم ليزلّ الله عزّ وجل به الجبابرة. فسكت المنصور.

## ٥٧

### يا قصر

حكى أبو الهيثماء ابن عمران بن شاهين قال: كنت أسير معتمد الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلّد ما بين سنجار ونصيبين، فنزلنا، ثم استدعاني بعد الزوال، وقد نزل بقصر هناك يُعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي، وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة، فدخلت عليه فوجدته قائماً يتأمل كتابة على الحائط، فقرأتها فاذا هي:

يا قصر عباس بن عمّ      رو كيف فارقت ابن عمرك  
قد كنت تغتال الدهو      رفكيف غالك ريب وهرك  
واهاً لعزك بل لجو      دك بل لجدك بل لفخرك

وتحتها مكتوب «وكتبها علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة ٣٣١ هـ».

قلت: وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان عمودح المتنبّي.

قال الراوي: وكان تحت ذلك مكتوب:

يا قصرُ ضعُفك الزّما نُ وخطّ من علياء فخرُك  
وعما محاسن أسطرٍ شرفت بهنّ متون جُدرُك  
واهأ لكاتبها الكرى مِ وقدره الموفي بقدرُك

وتحت الأبيات مكتوب «وكتبها الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في

سنة ٣٦٢ هـ».

قلت: وهذا الكاتب هو عدّة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن

حمدان ابن أخي سيف الدولة. وتحت ذلك مكتوب:

يا قصرُ ما فعَل الأولى ضُربت قبايُهمُ بعقرُك  
أخنى الزمانُ عليهمُ وطواهُمُ بطويلِ نشرُك  
واهأ لقاصر عمر مَن يخال فيك وطولِ عمرُك

وتحت مكتوب «وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ٣٨٨ هـ».

قلت: وهذا الكاتب هو المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو

العقيلي أبو حسان. وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما صنع الكرا م الساكنون قديمِ عصرُك  
عاصرتهم فبذذتهم وشأوتهم طراً بصبرُك  
ولقد أثار تفجّعي يا ابن المسيب رقمِ سطرُك  
وعلمت أني لاحق بك دائبٌ في قفو أثرُك

وتحت مكتوب «وكتبها قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة ٤٠١ هـ».

قال الراوي: فعجبتُ من ذلك، وقلت لقرواش: الساعة كتبت هذا؟

فقال: نعم، وقد هممت بهدم القصر فإنه مشؤوم قد دفن الجماعة، فدعوت له

بالسلامة وانصرفت، ورحلت بعد ثلاثة أيام، ولم يهدم القصر.

\*



### كثرة الشمس وشدة الظلمة

قيل:

اجتمع في دمشق على القضاء «ثلاثة» شمس: شمس الدين عبد الرحمن الحنبلي، وشمس الدين محمد بن عطاء الحنفي، وشمس الدين ابن خلّكان. وحدث أن عين ابن خلّكان له نائباً لقبه شمس الدين أيضاً، فأثار ذلك بعض الظرفاء إلى التهكم من كثرة تلك الشمس، بينما يعيش الناس في ظلام:

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحُكّام  
إذ هم جميعاً شمسٌ وحالهم في ظلام

### صحيفة المتلمّس

كان المتلمّس الشاعر (اسمه جرير بن عبد المسيح) قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة، وهجاه أيضاً طرفة بن العبد البكري الشاعر المشهور، وهو ابن أخت المتلمّس المذكور، فاتّصل هجوهما بعمر بن هند المذكور، فلم يظهر لهما شيئاً من التغير، ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل واحد منهما كتاباً إلى عامله بالحيرة، وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه، وأوهمهما أنه قد كتب لهما بصلة، فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمّس لطرفة: كل واحد منّا قد هجا الملك، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى الحيرة، فهلّمّ ندفع كتبنا إلى من يقرأها فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة وإن كان فيها شرٌّ فررنا قبل أن يعلم بمكاننا. فقال طرفة بن العبد: ما كنت لأفتح كتاب الملك، فقال المتلمّس: والله لأفتحنّ كتابي ولأعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده. فنظر المتلمس فاذا غلام قد خرج من الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟ فقال: نعم. فقال: هلّمّ فاقرأ هذا الكتاب.

فلما نظر إليه الغلام قال: تكلت المتلمّس أمّه، فقال لطرفة: افتح كتابك فما فيه إلّا مثل ما في كتابي، فقال: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترأ عليّ ويوغر

صدور قومي بقتلي. فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفرَّ إلى الشام، ودخل  
طرفة الحيرة فقتل. وقصته في ذلك مشهورة، فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس  
لكل من قرأ صحيفة فيها قتله.

٦٠

### المحمدون الثلاثة

كان محمد بن سفيان أحد الثلاثة الذين سُموا بمحمد في الجاهلية، وذكرهم ابن  
قتيبة في كتاب المعارف<sup>(١)</sup>. وقال السهيلي في كتاب «الروض الأنف»<sup>(٢)</sup>: لا يعرف في  
العرب من تسمى بهذا الاسم قبله (ص) إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر  
محمد (ص) وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز، أن يكون ولدًا لهم، وذكرهم ابن  
فورق في كتاب «الفصول» وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جدّ جدّ الفرزدق  
الشاعر، والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح، وهو أخو عبد المطلب جدّ رسول  
الله (ص) لأمه، والآخر محمد بن حمدان من ربيعة، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد  
وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث رسول  
الله (ص) وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً، فنذر كل واحد  
منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك.

٦١

### كرم يزيد بن المهلب وسخاؤه

قال الأصمعي: إن الحجاج بن يوسف قبض على يزيد بن المهلب بن أبي صفرة  
الأزدي وأخذته بسوء العذاب، فسأله أن يخفف عنه العذاب على أنه يعطيه كل يوم  
مائة ألف درهم، فإن أداها وإلاّ عذبه إلى الليل. قال: فجمع يوماً مائة ألف درهم  
ليشتري بها عذابه في يومه، فدخل عليه الأخطل الشاعر فقال:

(١) «المعارف»: ٥٦٦. وانظر: «ابن رسته»، ٢٠١.

(٢) «الروض الأنف»، ٢: ١٥٠.

أبا خالد بادت خراسانُ بعدكم وصاح ذوو الحاجات أين يزيدُ  
فلا مُطر المروان بعدك مطرةً ولا اخضرَ بالمروين بعدك عوداً<sup>(١)</sup>  
فما لسرير الملك بعدك بهجةً ولا لجوادٍ بعد جودك جودُ  
قال: فأعطاه مائة الألف، فبلغ ذلك الحجاج، فدعا به وقال: يا مروزي، أكلُ  
هذا الكرم وأنت بهذه الحالة؟ قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده.

قلت: هكذا ذكر ابن عساكر في تاريخه الكبير، والمشهور أن صاحب هذه  
الواقعة والأبيات هو الفرزدق، ثم إنني رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم،  
والله أعلم بالصواب.

وذكر الحافظ ابن عساكر أيضاً أن يزيد لما هرب من الحجاج قاصداً سليمان بن  
عبد الملك، وهو يومئذٍ بالرملة، اجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب، فقال  
لغلامه: استسقنا هؤلاء لبناً، فأتاه بلبن فشربه، فقال: أعطهم ألف درهم.  
فقال الغلام: إن هؤلاء لا يعرفونك.

قال: لكنني أعرف نفسي، أعطهم ألف درهم، فأعطاهم.  
وقال ابن عساكر أيضاً: حجَّ يزيد بن المهلب فطلب حلاقاً، فجاء فحلق  
رأسه، فأمر له بألف درهم، فتحير ودُهِش وقال: هذا الألف أمضي إلى أمي فلانة  
أشترها. فقال: أعطوه ألفاً آخر. فقال: امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك.  
فقال: أعطوه ألفين آخرين.

وقال المدائني: وكان سعيد بن عمرو بن العاص مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلما  
حبس عمرُ بن عبد العزيز يزيدَ منع الناس من الدخول إليه، فأتاه سعيد فقال: يا  
أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف درهم، وقد حُلَّت بيني وبينه، فإن رأيت أن  
تأذن لي فأقتضيه، فأذن له فدخل عليه، فسُرَّ به يزيد وقال: كيف دخلت إلي؟  
فأخبره سعيد، فقال: والله لا تخرج إلّا وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد  
ليقبضنها، فوجه إلى منزله، حتى نُحِلَّ إلى سعيد خمسون ألف درهم.

(١) المروان والمروين: هما ثنية مرو: أحدهما مرو الشاهجان وهي العظمى، والأخرى مرو الروذ وهي  
الصغرى، وكلتاها مدينتان مشهورتان بخراسان.

وزاد ابن عساكر فقال: وفي ذلك قال بعضهم:

فلم أرَ محبوساً من الناس ماجداً حبا زائراً في السّجن غير يزيد  
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازُهُ بخمسين ألفاً عَجَلْتُ لسعيد  
وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب، كما  
لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة والله أعلم.

٦٢

### اشترِ نفسك ثم عُدْ إلينا

قال نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان شاعراً فحلاً:  
كنتُ أرعى إبلاً فضلاً منها بعير فخرجت في طلبه حتى قدمت مصر وبها  
عبد العزيز بن مروان فقلت: ما بعد عبد العزيز أحد أعتمده، ولم أكن بعد قد  
مدحتُ أحداً، فحضرت بابه مع الناس فرأيت رجلاً على بغلة، حسن البزة يؤذن له  
إذا جاء، فلما انصرف إلى منزله اتبعته أماشي بغلته فقال: ما شأنك؟  
فقلت: أنا رجل شاعر من أهل الحجاز، وقد مدحتُ الأمير وأتيت إليه راجياً  
معروفه.

قال: فأنشدني، فأنشدته، فأعجبه وقال: ويحك هذا شعرك؟ إياك أن تتحل  
فإن الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة، فلا تفضحني وتفضح نفسك.  
فقلت: والله ما هو إلا شعري.  
فقال: ويحك، قلْ أبياتاً تذكر فيها خوف مصر وفضلها على غيرها وألقي بها  
غداً، فغدوت عليه وأنشدته:

سرى الهمم حتى بيّتني طلائعاً بمصر وبالحوف اعترتني روائع  
وبسات وسادي ساعد قلّ لحمه عن العظم حتى كان تبدو أشاجعه  
قال: أنت والله شاعر، احضر الباب فإني أذكرك.

قال: فجلست على الباب ودخل فدعاني فدخلت فسلمت على عبد العزيز

فصعد في بصره وصوب وقال: أشاعر أيها الأمير.

قال: فأنشدني، فأنشدته:

لعبد العزيز على قومه      وغيرهم نعم غامرة  
فبابك أين أبوابهم      ودارك مأهولة عامرة  
وكلبك آنس بالمعتفين      من الأم بالإبنة الزائرة  
وكفك حين ترى السائلين      أندي من الليلة الماطرة  
فمنك العطاء ومنّا الثناء      كل محبرة سائرة  
فقال: أعطوه، أعطوه.

قلت: إني مملوك. فدعا الحاجب وقال: أخرج فابلغ قيمته.

فدعا المقومين فقال: قوموا غلاماً أسود ليس له عيب، فقالوا: مائة دينار.

قال: إنه راعي إبل يحسن القيام بها.

قالوا: مائتا دينار.

قال: إنه يبري القسي والنبل ويريشها.

قالوا: أربعمائة دينار.

قال: إنه راوية للشعر.

قالوا: ستمائة دينار.

قال: إنه شاعر لا يلحن.

قالوا: ألف دينار.

قال عبد العزيز: ادفعها إليه.

فقلت له: أصلح الله الأمير، ثمن بعيري الذي ضلّ.

قال: كم ثمنه؟

قلت: خمسة وعشرون ديناراً.

قال: ادفعوها إليه.

قلت: فجائزتي لنفسني عن مديحي إياك؟

قال: اشتر نفسك ثم عُد إلينا.



### عشرون سنة من الحب العفيف

ذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال:  
 بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال: هل لك في جميل<sup>(١)</sup> نعوذه فإنه  
 يعتل؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إليّ وقال: يا ابن سهل، ما تقول في  
 رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق، ويشهد أن لا إله إلا  
 الله؟

قلت: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فَمَنْ هذا الرجل؟  
 قال: أنا.

قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببشينة.  
 قال: لا نالتني شفاعة محمد (ص) وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم  
 من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة، فما برحنا حتى مات.

### لم يسلم من لسانه شريف

كان أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي جبّاهاً، لم يكن بالبصرة أحد إلا  
 وهو يداجيه ويتقيّه ويتجنّب على عرضه. وخرج إلى بلاد فارس قاصداً موسى بن  
 عبد الرحمن الهلالي. فلما قدم عليه قال لعلمانه: احترزوا من أبي عبيدة، فإنّ كلامه  
 كلّهُ دقّ. ثم حضر الطعام فصبّ بعض الغلمان على ذيله مرقّة. فقال له موسى: قد  
 أصاب ثوبك مرقّ، وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب. فقال أبو عبيدة: لا عليك،  
 فإنّ مرقكم لا يؤذي، أي ما فيه دهن، ففطن لها موسى وسكت.  
 وكان الأصمعي إذا أراد دخول المسجد قال: انظروا لا يكون فيه ذاك، يعني أبا

(١) جميل: هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، شاعر من عشاق العرب. افتتن ببشينة من فتيات  
 قومه، وتوفي سنة ٨٢ هـ.

عبيدة، خوفاً من لسانه، فلما مات لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم من لسانه شريف ولا غيره.

٦٥

### بقيت «الطاء» وبقي «لوط»

ومن أخبار أبي عبيدة الذي تقدم ذكره أنه كان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان متهماً بالميل إلى الغلمان.

قال الأصمعي: دخلت أنا وأبو عبيدة يوماً المسجد، فاذا على الاسطوانة<sup>(١)</sup> التي يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة أذرع.

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمين

فقال لي: يا أصمعي، امح هذا، فركبتُ على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال: أثقلتني وقطعت ظهري.

فقلت له: قد بقي حرف «الطاء».

فقال: هو شرّ حروف هذا البيت.

وقيل إنه لما ركب ظهره وأثقله قال له: عجل، فقال: قد بقي «لوط» فقال: من هذا نفر.

وكان الذي كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانئ.

٦٦

### كان من أمرهم ما قد ذكر

قال عز الدين بن الأثير:

كان ابتداء دولة بني بويه وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام.

(١) الاسطوانة: العمود.

وقال ابن مسكويه إنهم يزعمون أنهم من ولد يزدجرد بن شهریار<sup>(١)</sup> وأن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال وماتت زوجته وخلفت له هؤلاء البنين الثلاثة، فلما ماتت اشتدَّ حزنه عليها، فحكى شهریان<sup>(٢)</sup> بن رستم الديلمي قال: كنت صديقاً لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوماً فعذلتني على كثرة حزنه فقلت له: أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن، وربما مات أحدهم فيتجدد لك من الأحزان ما ينسيك المرأة، وسلّيته بجهدني وأدخلته وأولاده إلى منزلي ليأكلوا طعاماً وشغلته عن حزنه.

فبينما هم كذلك إذ بنا رجل منجم معبر للمنامات ويكتب الرقى والطلسمات وغير ذلك. فأحضره أبو شجاع وقال له: رأيت في منامي كأنني أبول فخرج من دَكرِي نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولّد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران.

فقال المنجم: هذا المنام عظيم لا أفسره إلاّ بخلة وفرس وحمار. فقال أبو شجاع: والله ما أملك إلاّ الثياب التي على جسدي فإن أخذتها بقيت عرياناً.

فقال المنجم: فعشرة دنانير.

قال: والله ما أملك دينارين فكيف عشرة؟ فأعطاه شيئاً.

فقال المنجم: أعلم أنك يولد ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكركم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب.

فقال أبو شجاع: أما تستحي، تسخر منّا؟ أنا رجل فقير وأولادي فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً؟

قال المنجم: أخبرني توقيت ميلادهم، فأخبره، فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال: هذا والله الذي يملك البلاد، ثم هذا بعده، وقبض

(١) يزدجرد بن شهریار: آخر ملوك الفرس.

(٢) في نسخة شهریار.



على يد أخيه أبي علي الحسن، فاغتاز منه أبو شجاع وقال لأولاده: اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا، فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه، ثم قال لهم: اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك، فضحكنا منه، وكان من أمرهم ما قد ذكر.

٦٧

### كذا فلتكن مفاكة الأدباء

حكى أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمزاني حين قدم البصرة حاجاً سنة ٤٦٥، أن الصاحب بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له: ما الذي بك؟ قال: حما. قال له الصاحب: قه.

فقال له النديم: وه. فاستحسن الصاحب ذلك منه وخلع عليه. فلقد أحسن الصاحب في تعقيب لفظة حما بما صارت به «حماقة» ولطف النديم في صلة تعقيبه بما جعلت «قهوة». وكذا فلتكن مداعبة الفضلاء ومفاكة الأدباء الأذكياء.

٦٨

### إذا قُم

وأطال شاب المكث عند الصاحب بن عباد ولم يغيره في القيام، فقال للفتى: من أين؟ قال: من قُم، قال الصاحب: فإذا قُم.

٦٩

### خجل وانقطع عن المجلس

حكى الهمداني قال: كان واحد من الفقهاء يُعرف بان الحصريّ يحضر مجلس الصاحب بن عباد

بالليالي فغلبته عيناه مرّة وخرجت منه ريح لها صوت، فخرجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب بن عباد: ابلغوه عني.

يا ابن الحصريّ لا تذهب على خجلٍ لحادث كان مثل النّادي والعودِ كأنها الريح لا تستطيع تحبسها إذ أنت لست سلمانَ بن داوودِ وعرض مثل ذلك لبعض حاضري مجلسه فقال: إنه صرير التخت. فقال الصاحب بن عباد: أخشى أن يكون صرير التخت.

❖❖❖ ٧٠ ❖❖❖

### أخجله ثلاثة فقط

قال الصاحب بن عباد: ما أخجلني قطّ غير ثلاثة: منهم أبو الحسن البديهي، فإنه كان في نفرٍ من جلسائي فقلت له وقد أكثر من أكل المشمش: لا تأكله فإنه يلطّخ المعدة، فقال: ما يعجبني من يطبّ على مائدته. وآخر قال لي وقد خرجت من دار السلطان وأنا ضجر من أمر عرض لي: من أين أقبلت يا مولانا؟ فقلت: من لعنة الله. فقال: ردّ الله غريبتك وأحسن على إساءته الأدب. وصبي مستحسن داعبته فقلت: ليتك تحتي. فقال: مع ثلاثة آخرين، يعني في الجنّازة، فأخجلني.

❖❖❖ ٧١ ❖❖❖

### هديته أملح من كل الهدايا

حكى جعفر بن قدامة عن مئة البرمكية قالت: كانت لأم علي بنت الراس جارية مغنية يقال لها مكر، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكان لها رفقاء من الكتاب ووجوه التجار، كان أبو يحيى الكبيخي

يعاشرها، فافتصدت<sup>(١)</sup> يوماً فأهدى إليها رفقاؤها صنوف الهدايا، وبعث إليها أبو يحيى ثلاث سلال مختومة، فإذا سلّة فيها ماش<sup>(٢)</sup> ومعه رقعة فيها: الماش خير من لاش، وفي الأخرى عصافير بأجنحتها، فلما فتحت طارت ومعها رقعة فيها: يا سيّدي اعتقت عنك هؤلاء المساكين ولو كان بدلها عبيداً لأعتقتهم، وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة وفيها رقعة مكتوب فيها: يا مولاتي لو كان عندي شيء لبعثت إليك بشيء، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث إليك بشيء. فضحكوا وبعثوا إليه بنصيب وافر من كل ما أهدى إليها، وكتب إليه أم عليّ: أعطي الله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت إلينا، وفي هداياي متسع والإنجار أمثل.

٧٢

### ٣٦٠ يوماً على ٣٦٠ جارية

قالوا:

إن أحمد بن مروان الكردي الحميدي الملقّب نصر الدولة، صاحب ميّافارقين وديار بكر، ملك البلاد بعد أن قُتل أخوه منصور، وكان رجلاً مسعوداً قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه. وحكى ابن الأزرقي الفارقي في تاريخه أنه لم ينقل أن نصر الدولة المذكور صادر أحداً في أيامه سوى شخص واحد، وقصّ قصّته ولا حاجة إلى ذكرها، وأنه لم تفته صلاة الصبح عن وقتها مع انهاكه في اللذات، وأنه كان له ثلاث مائة وستون جارية يخلو كلّ ليلة من ليالي السنة بواحدة، فلا تعود النوبة إليها إلّا في مثل تلك الليلة من العام الثاني، وقصده شعراء عصره ومدحوه وخلّدوا مدائحه في دواوينهم.

\*

(١) فصد المريض: شقّ عرقه.

(٢) الماش: نوع من الحبوب.

### القاضي إياس الفطن الذكي

كان أبو وائلة إياس بن معاوية المزني يعدّ مثلاً في الذكاء والفطنة، ورأساً لأهل الفصاحة والرجاحة. وكان صادق الظنّ.

يحكى من فطنته أنه كان في موضعٍ فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهن، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملاً، وهذه مُرضعاً، وهذه عذراء. فكشف عن ذلك فكان كما تفرس<sup>(١)</sup>، ف قيل له: من أين لك هذا؟ فقال:

عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلّا على اعزّ ما له ويخاف عليه، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها، فاستدللت بذلك على حملها، ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثدييها، فعلمت أنها مرضع، والعذراء وضعت يدها على فرجها، فعلمت أنها بكر.

ونظر يوماً الى آجرة بالرحبة وهي بمدينة واسط، فقال:

تحت هذه الآجرة دابة، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيّة منطوية، فسألوه عن ذلك فقال:

إني رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفّس. ومرّ يوماً بمكان فقال:

أسمع صوت كلب غريب، ف قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال:

بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب، فكشفوا عن ذلك فإذا كلب غريب مربوط والكلاب تنبّحه.

ونظر يوماً الى صدع في الأرض فقال:

في هذا الصدع دابة، فنظروا فإذا فيه دابة، فسألوه عنه فقال:

إن الأرض لا تنصدع إلّا عن دابة أو نبات.

وقديماً قال الجاحظ: إذا نظر الإنسان الى موضعٍ منفتح في أرضٍ مستوية فليتأمله فإن رآه يتصدع في تهيل وكان تفتّحه مستويّاً علم أنها كساء، وإن خلط في

(١) تفرّس: اعتقد وعلم. والفراسة: أن يعلم الباطن من خلال الظاهر.

التصدع والحركة علم أنها دابة .

وروى عن إياس أنه قال :

ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني - وذكر حدوده - هو ملك فلان . فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟

فقلت : منذ كذا، فقال : كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحقّ معك، وأجزت شهادته . وكان يوماً في برية فأعوزهم الماء، فسمع نباح كلب فقال : هذا على رأس بئر، فاستقروا النباح فوجدوه كما قال . ف قيل له في ذلك فقال : لأنّي سمعت الصوت كالذي يخرج من بئر . وكان له في ذلك غرائب .

#### ٧٤

### من أجل هذا نكب الرشيد البرامكة ؟

كان هارون الرشيد شديد المحبة لأخته العباسة ابنة المهدي ، وهي من أعزّ النساء عليه ، ولا يقدر على مفارقتها، فكان متى غاب أحد من جعفر والعباسة لا يتم له سرور، فقال : يا جعفر، إنه لا يتم لي سرور إلّا بك وبالعباسة، وإنّي سأزوّجها منك ليحلّ لكما أن تجتمعا، ولكن إياكما أن تجتمعا وأنا دونكما، فتزوّجها على هذا الشرط .

ثم تغيّر الرشيد عليه وعلى البرامكة كلّهم آخر الأمر ونكبهم وقتل جعفرًا واعتقل أخاه الفضل وأباه يحيى إلى أن ماتا .

وقد اختلف أهل التاريخ في سبب تغيّر الرشيد عليهم : فمنهم من ذهب إلى أن الرشيد لما زوّج أخته العباسة من جعفر على الشرط الذي ذكرناه بقيا مدّة على تلك الحالة، ثم اتفق أن أحبّت العباسة جعفرًا وراودته عن نفسها فأبى وخاف، فلما أعيتهما الحيلة عدلت الى الخديعة فبعثت الى عتابة أم جعفر أن ارسليني الى جعفر كأني جارية من جواريك اللاتي ترسلين إليه، وكانت أمّه ترسل إليه كل يوم جمعة

جارية بكراً عذراء، وكان لا يطاء<sup>(١)</sup> الجارية حتى يأخذ شيئاً من النبيذ، فأبت عليها أم جعفر، فقالت: لئن لم تفعل لي لأذكرن لأخي أنك خاطبتني بكيت وكيت، ولئن اشتملت من ابنك على ولد ليكونن لكم الشرف، وما عسى أخي يفعل لو علم أمرنا؟

فأجابتها أم جعفر وجعلت تعدُّ ابنها أن ستهدي إليه جارية عندها حسناء من هيئتها ومن صفتها كيت وكيت، وهو يطالبها بالعدة المرة بعد المرة، فلما علمت أنه قد اشتاق إليها أرسلت إلى العباسة أن تهيئ الليلة. ففعلت العباسة وأدخلت على جعفر، وكان لم يتثبت صورتها لأنه لم يكن يراها إلا عند الرشيد، وكان لا يرفع طرفه إليها مخافةً.

فلما قضى منها وطره<sup>(٢)</sup> قالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك؟ فقال: وأي بنت ملك أنت؟

فقالت: أنا مولاتك العباسة، فطار السكر من رأسه. وذهب إلى أمه فقال: يا أمّاه بعثني والله رخيصاً. واشتملت العباسة منه على ولد، ولما ولدته وكلت به غلاماً اسمه رياش وحاضنة يقال لها برة، ولما خافت ظهور الأمر بعثتهم إلى مكة. وكان يحيى بن خالد البرمكي ينظر إلى قصر الرشيد وحرمه، ويغلق أبواب القصر وينصرف ومعه المفاتيح، حتى ضيق على حرم الرشيد، فشكته زبيدة<sup>(٣)</sup> إلى الرشيد فقال له: يا أبت - وكان يدعو بذلك - ما لزبيدة تشكوك؟ فقال: أمّتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا.

قال: فلا تقبل قولها فيّ، وازداد يحيى عليها غلظة وتشديداً، فقالت زبيدة للرشيد مرة أخرى في شكوى يحيى. فقال الرشيد لها: يحيى عندي غير مُتهم في حرمي. فقالت: فلم لم يحفظ ابنه مما ارتكبه؟ قال: وما هو؟

(١) يطاء الجارية: ينكحها.

(٢) الوطر: الحاجة.

(٣) زبيدة: بنت جعفر المنصور، أم جعفر وهي زوجة هارون الرشيد، توفيت سنة ٢١٦ هـ.

فخبرته بخبر العباسة .

قال : وهل على هذا دليل ؟

قالت : وأي دليل أدلّ من الولد ؟

قال : وأين هو ؟

قالت : كان هنا فلما خافت ظهوره وجهت به الى مكة .

قال : وعلم بهذا سواك ؟

قالت : ليس بالقصر جارية إلا وعلمت به ، فسكت عنها ، وأظهر إرادة الحج ، فخرج له ومعه جعفر ، فكتبت العباسة الى الخادم والداية بالخروج بالصبي الى اليمن ، ووصل الرشيد مكة فوكل من يثق به بالبحث عن أمر الصبي حتى وجده صحيحاً فأضمر السوء للبرامكة ونكبهم النكبة المشهورة .

٧٥

### كيف مات جعفر البرمكي ؟

لما تغرّ الرشيد على جعفر البرمكي قال جعفر لابراهيم بن المهدي ، وكان يحبه حباً شديداً : إني أرى من أمير المؤمنين تغيراً ، ومن الصواب أن أبعد عنه شخصي ، أفترى لي الرأي أن أطلب منه أن يولياني خراسان وأخرج إليها وأقيم بها مدة أطري بها نفسي وأجدد حرمتي ؟

وقد كان أخوه الفضل وليها قبله . فقال له ابراهيم بن المهدي : يا حبيبي ، أمّا تغيره عليك فإني تفتنت له قبلك . أما كنت تراه يجذّ إذا هزلت ويهزل إذا جددت ؟ وأمّا خروجك الى خراسان فهو عين الصواب . فخاطبه فيه ولك مني المساعدة . فخاطب الرشيد في ذلك فأجابه إليه ليستريح من تحكّمه في دولته وتسحبه<sup>(١)</sup> عليها .

وحين استقرّ الأمر في مسيره جرى بين جعفر وبين مسرور السيّاف<sup>(٢)</sup> ملاحاة<sup>(٣)</sup> في أمرٍ فقال له جعفر : يا حجاج ، يا مخنث . فقال مسرور : لو لم أكن كما قلت ما

(١) تسحبه عليها : تذّله .

(٢) السيّاف : الذي يضرب بالسيف ، وكان خادم الرشيد .

(٣) ملاحاة : مهاجرة ومشاجرة في الكلام .

خنتُ مولاي منذ عشر سنين تقريباً اليك . وعلم جعفر مقصوده فلين له الكلام واعتذر إليه وطيب نفسه ووعدته بمائتي ألف دينار يوصلها إليه قبل خروجه . ثم دس عليه من وقته من يغتاله ويقتله .

وفطن مسرور لذلك من بعض الجهات فدخل على الرشيد وطلب خلوة وقال : يا مولاي أنا صاحب سيفك قد جعلتني أميناً على حرمك ، وقد حدث في دارك حادث ولا بد لي من إعلامك به إن أذنت . قال : قل .

قال : أختك العباسة تزوج بها جعفر من عشر سنين وولدت له بنين نفذ بهم إلى مكة وهم ينتظرون بك الدوائر . وما أبقى في دارك جارية ولا خادماً إلا وارتكب معه المعصية . وكلما ذكرت له قال : أراحنا الله من نذالة بني هاشم . وقد بذل لي مائتي ألف دينار وسألني كتمان ذلك عليك . وقد كان من سبيلي إطلاعك على هذه الأمور حال تجددها إلا أنني كنت أخاف أن ألقاك بمثل ذلك وأقول لعلك تطلع عليه من جهة غير جهتي وإلا فحيث صمم العزم على خروجه الى خراسان فأخاف أن يحدث منه في الدولة حادث يعسر تلافيه .

فقال له الرشيد : امض اليه برسالتني وقل له يتوقف أياماً حتى يصل البريد من خراسان ونرى ما يتجدد من الأخبار هناك .

فمضى اليه برسالة الرشيد يأمره بالتوقف . فتوقف واستشعر وأرجف الناس به حتى إن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : دخلت يوماً على الرشيد فقال لي : يا إسحاق بماذا يتحدث العامة؟ قلت : أراهم يتحدثون بإرجاف الفضل بن الربيع بالبرامكة وأنه يلي مكانهم . فقال لي : أبلغ من أمرك أن تدخل فيما بين هؤلاء؟ وغضب ثم قال : إياك وما أشبه هذا ، وصرف وجهه عني وأنا أعلم يقيناً أنه ما سألني إلا لأخبره بمثل ذلك فعملت هذين البيتين في الحال وغنيته بهما :

إذا نحن صدقناك فضرَّ عندك الصدق  
طلبنا النفع بالباطل إذا لم ينفع الحق

فضحك وقال لي : صرت حقوداً يا ابن الخبيثة؟

ثم إن جعفر بن يحيى البرمكي جمع المنجمين وأخذوا له الطالع للخروج الى



خراسان واتفقوا على اختيار يوم السبت السابع والعشرين من المحرم سنة سبعٍ وثمانين ومائة.

ولما كان في ليلة السبت كان عند الرشيد ينادمه . وكان إذا ركب يركب معه أربعة آلاف، ومن عسكر الرشيد أكثر منهم، ومن عسكر خراسان الذين كانوا مقيمين بالحضرة خلق عظيم.

ولما سكر خرج من دار الرشيد عائداً الى داره وهم معه، فلما دخل داره تفرقوا وجلس في داره مع خواصه وجماعته ممن كان ينادمهم في الخلوة . وجمع وكلاءه ونوابه وكان يوصيهم بما يعتمدونه بعد خروجه في أملاكه وأسبابه والرشيد قد وكل به من يُعلمه بخبره، فأخبر الرشيد أنه قد بقي وحده وتفرق الجند عنه فأمر الرشيد خادمه مسروراً السيف بضرب خيمة كبيرة في وسط صحن الدار ففعل . ثم أمره باختيار أربعمائة غلام من خواص مماليكه فاخترهم ثم أمرهم بحمل السلاح وإدخالهم الخيمة ثم قال لمسرور: امض الآن الى جعفر وقل له عني قد وصل البريد وفيه أخبار بني «رافع» الخوارج وما جرى منهم في أعمال ما وراء النهر، وكنت قد ودعيتي وما شيعت من توديعك فأحب أن تصير إليّ حتى أودعك ثانياً وأوقفك على الكتب الواصلة . فإذا جاء معك فاعدل به الى الخيمة وخذ رأسه وجثتي به ولا تراجعني فيه .

قال مسرور: فمضيتُ الى دار جعفر ولم يبقَ فيها سوى الخواص من خدمه والخصيان وعدة من المماليك الصغار . فسألت عنه أناثم هو؟ قيل: لا، لكنه جالس في البيت الفلاني وعنده أبو زكّار الأعمى القوّال يغنيه . فقصدت البيت الذي كان فيه . فحين حصلت على باب البيت سمعت أبا زكّار الأعمى يغنيه :

يا راقد الليل مسروراً بأوله    إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وهو يقول له: يا بارد إيش، هذا تما يتغنى به؟ وأبو زكّار يقول له: وكان منبسّطاً عليه، البارد والله من قد قتلنا منذ شهرين بهذا الاستشعار الفاسد، بقي لك أمر تخاف أن تستشعر منه وقد ودّعت الخليفة وأنت بكرة على رأس الطريق؟

قال: فتوقفت بقدر ما فرغوا من الكلام وابتدأ أبو زكّار في الغناء ثم هجمت عليه وسلّمت فقال لي: ما الذي جاء بك؟ فأذيت إليه رسالة الرشيد فقال لي: الآن

جئت وأنا والله تعبان وسكران وقد اختاروا لي الطالع الفلاني وركوبي يكون وقت السحر وبينني وبين الخليفة شقة بعيدة وأحتاج الى عبور دجلة ولي أيضاً مهمات لخاصتي أحتاج الى تحريرها.

قال مسرور: فقلت له: يا سيدي دَعْ عنك هذه الأعذار فإن الذي يستدعيك مولاك الخليفة، ولا بدَّ من الانتهاء الى أمره، وأراك تخاطبه بمثل ما تخاطب به الأمثال.

فقال لي: يا أسود، يا حَجَّام، وبلغَ من أمرك أن تخاطبني بهذا؟ فقلت له: يا سيدي أنت تعلم أن الخليفة لا يفرق بينك وبين أعزِّ أخوته، بل ربما فضلك عليهم وقد استدعيتك الى داره دفعات ليلاً نهاراً، فبادر مسرعاً من غير عذر وبعد هذا فأنت أخبر وإتما عليّ البلاغ.

قال مسرور: وأخذت ألين له في الكلام لئلا يفطن، وأبو زكَّار يعاونني إلى أن أجاب. وقال لأبي زكَّار: تم على ما أنت عليه حتى أعود اليك.

ونفض وخرج من باب الدار وركب فرس النوبة وليس معه أحد سوى ثلاثة خدم صغار وأنا. ومضى وأنا معه فلما انتهينا الى صحن الدار أخذ في صوب باب الحجرة التي يكون فيها الرشيد. فقلت له: يا سيدي على يمينك قليلاً. فقال لي: وما الذي أصنع هناك؟ ثم التفت فرأى الخيمة مضروبة ونظر إليّ وتغير وجهه وندم على ركوبه، ثم قال لي: يا أخي مسرور هل فيك موضع لاصطناعي؟ فقلت له: أنت ما كنت ترفعني وتحفضني إلا بالأسود الحجام والآن أنا أخوك؟! ولكن يا جعفر ما غير الله نعمة على عبدٍ إلا باستحقاق وليس الله بظلام للعبيد وإن الله يهمل ولا يهمل. ولقد أمل الله لك ولأهل بيتك لا رضئ بفعلك ولكن ليزيد إثمك وعقابك، وأنا أقول له ما أقول ونحن نمشي نحو الخيمة وهو ينصت الى كلامي ولا يجيب بشيء حتى إذا صرنا الى الخيمة وأحسُّ بنا القوم الذين بها نهضوا فأحسُّ بقعقة السلاح فبكى وبكى الجماعة لبكائه حتى أبكاني مع انحرافي عنه وعداوتي له.

ودخل الخيمة فرأى النطع<sup>(١)</sup> مبسوطاً وسيفي ملفوفاً في منديل فأخذت سيفي وجذبت من غمده وأمرت خادماً كان معي بأن يتزع ثياب جعفر فتزعها عنه وتركه

(١) النطع: البساط الذي يوضع تحت المحكوم عيه بالموت ويكون من الجلد.

بغلالة كَتَّان وهو ينتحب وينوح على نفسه ثم قال لي: يا حبيبي لو عاودته في أمري وأكبَّ على يدي يقبلها. فقلت له: قد أمرني أن لا أعاوده، فتشفع إليَّ الغلمان بأسرهم أن أعاوده. فقممت وقصدت الحجرة التي فيها الرشيد فحين أحسَّ بوطء قدمي في الدهليز قال: مسرور؟

قلت لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: جئت برأس جعفر.

قلت: لا، ولكنني جئت لاستأذنك مرةً أخرى، فصاح بأعلى صوته: لا تريني وجهك وعُدْ من حيث جئت وأتني برأسه، وأنا نفي من المهدي إن لم تجئني برأسه نفذت في ساعتي هذه من يجئني برأسك.

فعدتُ الى جعفر وأخبرته الخبر فتشاهد وقال: امهلي أصلي ركعتين فإذا سجدتُ السجود الأخير فشأنك وما تريده. فقلت: ذاك لك.

فقام وصلى فلما بلغ الى السجود الأخير كان يبكي والجماعة يبكون لبكائه فضربت عنقه ضربةً أبنتُ بها رأسه عن بدنه وأخذت رأسه ووضعت في طشت من ذهب ووضعت بين يدي الرشيد فحين رآه قال: قربه مني فقربه منه، فكان يقول له:

يا جعفر أما فعلت بك كذا، أما صنعت كذا، وأنت قابلتني بكذا، وأنا واقف وهو هكذا يعاتب الرأس لم تنم عينه الى الفجر. . . .

## ٧٦

### كيف مات الفضل بن يحيى البرمكي؟

إن هارون الرشيد لما قتل جعفر البرمكي، على ما تقدم، قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل، وكان عنده، ثم توجه الرشيد الى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى، فلما وصلوا إليها وجه الرشيد الى يحيى أن أقم بالرقة أو حيث شئت، فوجه إليه: أترضى بالحبس؟ فذكر أنه يرضى به، فحبس معهم ووسع عليهم، ثم كانوا حيناً يوسع عليهم وحيناً يضيق عليهم حسبما يُنقل اليه عنهم.

واستصفى أموال البرامكة .

ويقال : إن الرشيد سير مسروراً الخادم الى السجن فجاءه فقال للمتوكل بهما :  
أخرج إليّ الفضل ، فأخرجه ، فقال له : إن أمير المؤمنين يقول لك : إني قد أمرتك أن  
تصدقني عن أموالهم ، فزعمت أنك قد فعلت ، وقد صحّ عندي أنك بقيت لك  
أموالاً كثيرة ، وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضربك مائتي سوط ، وأرى لك  
أن لا تؤثر مالك على نفسك .

فرفع الفضل رأسه وقال : والله ما كذبت فيما أخبرت به ، ولو خيّرت بين  
الخروج من ملك الدنيا وأن أضرب سوطاً واحداً لاخترت الخروج وأمير المؤمنين  
يعلم ذلك ، وأنت تعلم أننا كنا نصون أعراضنا بأموالنا ، فكيف صرنا نصون أموالنا  
بأنفسنا؟ فإن كنت قد امرت بشيء فامضِ له .

فأخرج مسروراً أسواطاً كانت معه في منديل وضربه مائتي سوط ، وتولى ضربه  
الخدم فضرّبوه أشدّ الضرب ، وهم لا يحسنون الضرب فكادوا أن يتلفوه ، وتركوه .  
وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته ، فلما رآه قال : يكون قد ضربوه  
خمسین سوطاً ، فقليل : بل مائتي سوط ، فقال : ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير ،  
ولكن يحتاج أن ينام على ظهره على لوح من الخشب أو حصير وأدوس صدره ، فجزع  
الفضل من ذلك ثم أجاب إليه فألقاه على ظهره وداسه ثم أخذ بيده وجذبه عن  
الحصير فتعلّق بها من لحم ظهره شيء كثير ثم أقبل يعالجه الى أن نظر يوماً الى ظهره  
فخرّ المعالج ساجداً لله تعالى .

فقليل له : ما بالك؟

فقال : قد برىء وقد نبت في ظهره لحم حيّ ، ثم قال : ألسنت قلت هذا ضرب  
خمسین سوطاً ، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشدّ من هذا الأثر وإنما  
قلت ذلك حتى تقوى نفسه فيعيني على علاجه .

\*

### الفضل كثير البر بأبيه

كان الفضل بن يحيى البرمكي كثير البر بأبيه، وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد في زمن الشتاء. فيحكى أنها لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الأبريق النحاسي وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه زماناً طويلاً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.

### يا زيد بن مزيد

رأيت في بعض الكتب والمجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال:  
كنت مع يزيد بن مزيد، فإذا صائح في الليل يقول: يا يزيد بن مزيد.  
فقال يزيد: عليّ بهذا الصائح، فلما جيء به قال له: ما حملك على أن ناديت بهذا الاسم؟  
فقال: نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر فتيمنت به، فقال: وما قال الشاعر؟ فأنشد:

إذا قيل من للمجد والجود والندى    منادٍ بصوتٍ يا يزيد بن مزيد  
فلما سمع يزيد مقالته هشَّ له وقال له: أتعرف يزيد بن مزيد؟  
قال: لا والله.  
قال: أنا هو، وأمر له بفرس أبلق كان معجباً به وبمائة دينار.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني»<sup>(١)</sup> في ترجمة مسلم بن الوليد بإسناد متصل إلى أحمد بن أبي سعد قال: أُهديت إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل، فلما رفع يده من الطعام وطئها فلم ينزل عنها إلا ميتاً، وهو ببردة فدفن في مقابر بردعة

(١) راجع: «الأغاني»، ١٨: ٣٢٥.

وكان مسلم بن الوليد معه في جملة أصحابه فرثاه بقصيدة مطلعها:  
قبرٌ ببردعةٍ استسّرَ ضريحه      خطراً تقاصر دونه الأخطارُ

٧٩

### أحقيقة أم نسج خيال؟

حدّث الحسن بن الحضر قال:  
لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ اخْتَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَزَلْ مُخْتَفِياً حَتَّى مَضَى الْإِخْتِفَاءُ وَأَخَذَ لَهُ دَاوُدُ أَمَاناً مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ.  
وكَانَ إِبْرَاهِيمُ رَجُلًا أَدِيبًا، جَمِيلًا، بَلِيغًا حَسَنَ الْمَحَاضِرَةِ مُحْظِيًا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّفَّاحِ.

فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: لَقَدْ مَكَثْتَ زَمَانًا طَوِيلًا مُخْتَفِياً فَحَدِّثْنِي بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ فِي اخْتِفَائِكَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَيَّامٌ تَكْدِيرُ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَلْ يَسْمَعُ بِأَعْجَبَ مِنْ حَدِيثِي! لَقَدْ كُنْتُ مُخْتَفِياً فِي مَنْزِلٍ أَنْظُرُ إِلَى الْبُطْحَاءِ، فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَإِذَا بِأَعْلَامٍ سَوْدَ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تَرِيدُ الْحَيْرَةَ، فَوَقَعَ فِي ذَهْنِي أَنَّهَا تَطْلُبُنِي فَخَرَجْتُ مُتَنَكِّراً، وَوَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟

فَأَتَيْتُ الْكُوفَةَ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمَعْرُوفَةِ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ بِهَا أَحَدًا، فَصُرْتُ مُتَحِيرًا مِنْ ذَلِكَ، وَإِذَا بَبَابٍ كَبِيرٍ فِي رَحْبَةٍ مَتَّسَعَةٍ فَدَخَلْتُ إِلَيْهَا وَوَقَفْتُ قَرِيبًا مِنَ الْبَابِ، وَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْهِئَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسًا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَمَانِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ الرَّحْبَةَ فَرَأَنِي وَاقِفًا مُرْتَابًا.

فَقَالَ لِي: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟

فَقُلْتُ: غَرِيبٌ خَائِفٌ مِنَ الْقَتْلِ.

قَالَ: أَدْخُلْ.

فَأَدْخَلَنِي إِلَى حَجْرَةٍ فِي دَارِهِ وَقَالَ: هَذِهِ لَكَ وَلَا تَخَفْ، ثُمَّ هَيَّا لِي مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، مِنْ فَرَشٍ وَأَنْيَّةٍ وَلِبَاسٍ وَطَعَامٍ.

فأقمت عنده مدة، ووالله يا أمير المؤمنين، ما سألتني قط من أنا؟ ولا ممن أخاف؟

وصار يركب في كل يوم ويعود متعباً متأسفاً كأنه يطلب شيئاً لم يجده. فقلت له يوماً: أراك في تعب كبير، كأنك تطلب شيئاً فاتك.

فقال: إن إبراهيم بن سلمان بن عبد الملك قتل أبي صبراً<sup>(١)</sup> واختفى وأنا أركب كل يوم في طلبه لعلّي أجده فأخذ بثأري منه.

فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي، ويأخذ ثأره مني، فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة. فسألت الرجل عن اسم أبيه وما سبب قتله؟ فاعلمني. فعرفت بالخبر، وهو صحيح.

فقلت: يا هذا قد وجب عليّ حقك، ومن حقك عليّ أن أدلك على قاتل أبيك، وأهون عليك المشقة والتعب.

فقال: أتعلم من هو، وبأي مكان؟

قلت: نعم.

قال: أين هو؟

قلت: أنا غريمك فخذ بثأرك مني.

فقال لي: أظنك مضك الإختفاء وكرهت الحياة.

قلت: والله أنا قتلته يوم كذا وكذا.

فلما علم صدقي تغير وجهه واحمرت عيناه وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أمّا أبي فإنه سيلقاك غداً يوم القيامة يحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية. وأمّا أنا فلست بمخفي ذمتي ولا مضيع نزيلي، ولكن أخرج عني مع السلامة فيأني لا آمن عليك نفسي بعد اليوم.

ثم وثب إلى صندوق، فأخرج صرة فيها خمسمائة دينار وقال: خذ هذه واستعن بها على سفرك. فكرهت أخذها ثم خرجت من عنده يا أمير المؤمنين وهو أكرم رجل رأيته.

قال: فبقي السفاح يهتز طرباً ويتعجب من حلمه وإكرامه.

(١) المصبور: كل ذي روح يُصبر حياً ثم يُرمى حتى يُقتل، المعد للقتل.

### كذب عليه فحبسه في المطبق

أراد المهدي أن يمتحن يعقوب بن داود في ميله إلى العلوية، فدعا به يوماً وهو في مجلسٍ فُرْشُهُ مورَّدة وعليه ثياب مورَّدة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب مورَّدة وهو مشرف على بستان فيه شجر وفيه صنوف الورود، فقال له: يا يعقوب، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: على غاية الحسن فمتَّع الله أمير المؤمنين به. فقال له: جميع ما فيك لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فدعا له.

فقال له المهدي: ولي إليك حاجة، فقام يعقوب قائماً وقال: يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا لموجدة وأنا استعيز بالله من سخطك.

فقال: أحب أن تضمن لي قضاءها.

فقال: السمع والطاعة.

فقال له: والله.

فقال: والله، ثلاثاً.

فقال له: ضع يدك على رأسي واحلف به، ففعل ذلك. فلما استوثق منه قال له: هذا فلان بن فلان رجل من العلوية، أحب أن تكفيني مؤنته، وتريجني منه فخذ إليه. فحوَّله إليه وحوَّل إليه الجارية وما كان في المجنس والمال. فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل إليها، ووجَّه فأحضر العلوي فوجده لبيباً فهماً فقال له: ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد (ص) فقال له يعقوب: يا هذا أفيك خير؟

فقال: إن فعلت خيراً معي شكرت ودعوت لك.

فقال له: خذ هذا المال وخذ أي طريق شئت.

فقال: طريق كذا وكذا آمن لي.

امض مصاحباً.

وسمعت الجارية الكلام كله، فوجَّهت مع بعض خدمها به وقالت: قل له: هذا فعل الذي آثرته على نفسك بي وهذا جزاؤك منه.



فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ثم وجه إلى يعقوب فأحضره فلما رآه قال: ما حال الرجل؟  
قال: قد أراحك الله منه.

قال: مات؟

قال: نعم.

قال: والله؟

قال: والله.

قال: فضع يدك على رأسي، فوضع يده على رأسه وحلف له به.  
فقال: يا غلام أخرج إلينا مَنْ في هذا البيت. ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه. فبقي يعقوب متحيراً وامتنع الكلام عليه مما درى ما يقول.  
فقال له المهدي: لقد حلّ دمك، ولو آثرت إراقتك لأرقتك ولكن احبسوه في المطبق، فحبسوه. وأمر بأن يُطوى عنه خبره وعن كل أحد. فأقام فيه سنتين وشهوراً في أيام المهدي وجميع أيام الهادي موسى بن المهدي وخمس سنين وشهوراً من أيام هارون الرشيد.

ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره وشفع فيه فأمر بإخراجه، فأخرج وقد ذهب بصره، فأحسن إليه الرشيد وردّ ماله وخيره المقام حيث يريد فاختر مكة فأذن له في ذلك فأقام بها حتى مات في سنة ١٨٧ هـ.

ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من إخوانه فأخبر بموتهم فقال:

لكل أناس مقبرٌ بفنائهم فهم ينقصون والقبورُ تزيدُ  
هم جيرةُ الأحياء أمّا محلّهم فدانٍ، وأمّا الملتقى فبعيدُ

قلت: هذان البيتان في باب المراثي في كتاب الحماسة.



## هو أجود منه وقد ابتلعه الأرض

حكى مروان بن أبي حفصة الشاعر قال:

أخبرني معن بن زائدة، وهو يومئذ متولي بلاد اليمن، «أن المنصور جدّ في طلبي وجعل لمن يحملني إليه مالا، قال: فاضطررتُ لشدة الطلب إلى أن تعرّضتُ للشمس حتى لَوّحت وجهي وخففتُ عارضي ولبستُ جبة صوف، وركبتُ جملاً وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها، قال: فلما خرجتُ من باب حرب، وهو أحد أبواب بغداد، تبعني أسود متقلد بسيف حتى إذا غبتُ عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض على يدي، فقلت له: ما بك؟

فقال: أنت طلبه أمير المؤمنين؟

فقلت: ومن أنا حتى أطلب؟

فقال: أنت معن بن زائدة.

فقلت له: يا هذا اتقى الله عزّ وجلّ وأين أنا من معن؟

فقال: دُع هذا، فوالله إني لأعرف بك منك، فلما رأيت منه الجَدّ قلت له: هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي، فخذ ولا تكن سبياً في سفك دمي.

قال: هاته، فأخرجته إليه، فنظر فيه ساعة وقال: صدقت في قيمته، ولست

قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك.

فقلت: قُل.

قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت مالك كلّ قطّ؟

قلت: لا.

قال: فنصفه؟

قلت: لا.

قال: فثلثه؟

قلت: لا. حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت: أظن أني قد فعلت هذا.

قال: ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر

عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف الدنانير من هو أجود منك، فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة. ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفاً. فقلت: يا هذا، قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت. فخذ ما دفعته لك فاني غني عنه. فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقالي هذا، والله لا أخذته ولا آخذ لمعروفك ثمناً أبداً، ومضى لسبيله، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلك لمن يجيء به ما شاء، فما عرفت له خبراً، وكأن الأرض ابتلعتة.

## ٨٢

### ما ترك لربه شيئاً

ويحكى عن معن بن زائدة - الذي تقدم ذكره - أنه لما أمنه المنصور أكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه فدخل عليه يوماً وقد أسن فقال له: كبرت يا معن. فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. فقال: وإنك لجلد. فقال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. فقال: وفيك بقية. فقال: هي لك يا أمير المؤمنين. وعُرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة، فقال: ويح هذا، ما ترك لربه شيئاً.

\*

## أول مائة ألف أعطيها شاعر

حدّث الفضل بن الربيع قال:  
 رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في  
 جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر<sup>(١)</sup> وغيره، فأنشده مديحاً، فقال له: من أنت؟  
 فقال: شاعرك مروان بن أبي حفصة.  
 فقال له المهدي: ألسن القائل:  
 وقلنا أين نرحل بعد معن؟  
 وأنشده البيت المذكور<sup>(٢)</sup>، وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال<sup>(٣)</sup>؟ لا شيء  
 لك عندنا، جروا برجله. قال: فجروا برجله حتى أخرجوه.  
 فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشعراء  
 تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة. قال: فمثل بين يديه وأنشده  
 قصيدته التي أولها:  
 طَرَقْتُكَ زَائِرَةٌ فَحَيِّي خِيَالَهَا      بِيضَاءِ تَخْلُطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا  
 قَادَتْ فُؤَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا      قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَاُمْلَاهَا  
 فأنصت له حتى بلغ إلى قوله:  
 هل تطمسون من السماء نجومها      بأَكْفَكُم أَوْ تَسْتَوِرْنَ هَلَالَهَا  
 قال: فأنصت له المهدي، ولم يزل يزحف كلما سمع شيئاً فشيئاً منها حتى صار  
 على البساط إعجاباً بما سمع. ثم قال له: كم بيت هي؟ فقال: مائة بيت، فأمر له  
 بمائة ألف درهم.  
 ويُقال إنها أول مائة ألف درهم أُعطيها شاعر في خلافة بني العباس.

(١) سلم الخاسر: من الشعراء المعروفين.

(٢) البيت هو:

وقلنا أين نرحل بعد معن      وقد ذهب النوال فلا نوالاً

(٣) النوال: العطاء.

### لنقل كتبه يحتاج إلى أربعمائة جمل

للساحب بن عباد رسائل بديعة وطرائف حلوة ونظم جيد، فمنه قوله<sup>(١)</sup>:

وشادن جماله تقصر عنه صفتي  
أهوى لتقبيل يدي فقلت قبل شفتي

وله في رقة الخمر<sup>(٢)</sup>:

رقّ الزجاج ورقّت الخمر وتشاها فتشاكل الأمر  
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدبير أمر مملكته، من جملة أذاره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جمل، فما الظن بما يليق بها منه التجميل.

ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته. فلما توفي الساحب بن عباد أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدمه فخر الدولة أولاً وسائر القواد وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً.

### هل طار الخليفة عن عرشه؟

قال أشجع السلمي الشاعر المشهور:

أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتفق أن

(١) راجع: «اليتيمة» للثعالبي، ص ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

جلس بجنبي بشار بن بُرد وسكت المهدي فسكت الناس . فسمع بشار حساً فقال  
لي : من هذا؟

فقلت : أبو العتاهية .

فقال : أتراه ينشد في هذا المحفل؟

فقلت : أحسبه سيفعل .

قال : فأمره المهدي أن ينشد فأنشد :

ألا ما لسيدتي ما لها أدلت فأحمل إدلالها

قال : فنخسني بشار بمرفقه وقال : ويحك ! أرايت أجسر من هذا؟ ينشد مثل هذا  
الشعري مثل هذا الموضع ، حتى بلغ إلى قوله :

أتته الخلافة منقادةً إليه تجرُّ أذيالها  
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها  
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها  
ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها

فقال لي بشار : انظر ويحك يا أشجع ، هل طار الخليفة عن عرشه؟  
قال أشجع : فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية .  
ولأبي العتاهية طرائف حلوة ، فلما حضرته الوفاة قال : أشتهي أن يجيء مخارق  
المغني ، ويغني عند رأسي ، والبيتان له من جملة أبيات :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فإن عزاء الباقيات قليل  
سيعرض عن ذكرني وتُنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

وأوصي أن يكتب على قبره هذا البيت :

إن عيشاً يكون آخره الموت لعيش معجل التنغيص .

ويحكى أنه لقي يوماً أبا نواس فقال له :

كم تعمل في يومك من الشعر؟

فقال له : البيت والبيتين .

فقال أبو العتاهية : لكنني أعمل المائة والمائتين في اليوم .

فقال أبو نواس: لأنك تعمل مثل قولك:

يا عتبَ مالي ولكِ يا ليتني لم أركِ  
ولو أردت مثل هذا الألف والألفين لقدرتُ عليه. وأنا أعمل مثل قولي:  
من كف ذاتِ جرٍ في زِيّ ذي ذكِرٍ لها محبَّان: لوطي وزنَّاء  
ولو أردت مثل هذا لأعجزك الدهر.  
ومن لطيف شعره قوله:

ولقد صبوتُ إليك حتّى صار من فرط التّصابي  
يحدُّ الجليسُ إذا دنا ريحَ التّصابي في ثيابي

## ٨٦

### حبسه المنصور مع الدجاج

شرب أبو دُلّامة الشاعر المشهور صاحب النوادر والطرائف، في بعض الحانات  
فسكر وانصرف وهو يميل فلقبه العَسَسُ<sup>(١)</sup> فأخذوه وقالوا له: من أنت وما دينك؟  
فقال:

ديني على دين بني العباسِ ما خُتم الطين على القرطاسِ  
إني اصطبحتُ<sup>(٢)</sup> أربعاً بالكاس فقد أدار شربها براسي  
فهل بما قلت لكم من باس؟

فأخذوه ومضوا. وخرقوا ثيابه وساجه وأُتي به أبو جعفر - وكان يُؤق بكل من  
أخذه العسس - فحبسه مع الدجاج في بيت.  
فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرّةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك  
يسمع صوت الدجاج وزقاع الديوك. فلما أكثر قال له السّجان. ما شأنك؟  
قال: ويلك من أنت وأين أنا؟

(١) العسس: رجال الأمن الذين يطوفون بالليل بحثاً عن المخلّين بالأمن.

(٢) اصطبحت: شربت شراب الصباح.

قال: في الحبس وأنا فلان السجّان.

قال: ومن حبسني؟

قال: أمير المؤمنين.

قال: ومن خرق طيلساني؟

قال: الحرس. فطلب منه أن يأتيه بداوة وقرطاس ففعل. فكتب إلى أبي جعفر:

أمير المؤمنين فدتك نفسي      علام حبستي وخرقت ساجي؟  
أمن صفراء صافية المزاج      كأن شعاعها هب السراج  
وقد طبخت بنار الله حتى      لقد صارت من النطف<sup>(١)</sup>، النضاج  
تهش لها القلوب وتشتهيها      إذا برزت ترقرق<sup>(٢)</sup> في الزجاج  
أقاد إلى السجون بغير جرم      كأني بعض عمال الخراج  
ولومعهم حبست لكان سهلاً      ولكني حبست مع الدجاج  
وقد كانت تحبّري ذنوبي      بأنّي من عقابك غير ناجي  
على أنّي وإن لاقيتُ شراً      لخيرك بعد ذاك الشرّ راجي

فدعا به وقال: أين حبست يا أبا دلامة؟

قال: مع الدجاج.

قال: فما كنت تصنع؟

قال: أقوقي معهنّ حتى أصبحت. فضحك وخلّى سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أما سمعت قوله «وقد طبخت بنار الله» (يعني الشمس). فأمر برده ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟  
قال: لا.

قال: أفلم تقل «طبخت بنار الله» تعني الشمس.

قال: لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك

وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرّض.

---

(١) النطف: الماء الصافي.

(٢) ترقرق: أي تترقرق وتتلاّلا.



### الدِّيةُ أو التشهير

حدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال :  
صلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق  
والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة،  
فَوهِمَ الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح .  
فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدِّية .  
فقال : دية ماذا؟

فقال : دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلاً شهرك . فلم يدعه حتى أخذ  
منه شيئاً صالحاً .

### أشعب يرضع جدياً لبن زوجته

غذا أشعب جدياً بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية . قال : ومن مبالغته في  
ذلك أن قال لزوجته : أي ابنه وردان، إني أحب أن ترضعيه بلبنك، قال : ففعلت .  
قال : ثم جاء به إلى اسماعيل بن جعفر بن محمد فقال : بالله إنه لابني، قد رضع  
بلبن زوجتي وقد حبوتك به، فلم أر أحداً يستأهله سواك . قال : فنظر اسماعيل إلى  
فتنة من الفتنة فأمر به فذبح وسُوط، فأقبل عليه أشعب . فقال : المكافأة، فقال : ما  
عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك .

فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق  
حتى التقت أضلاعه، ثم قال : أخليني . قال : ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك .  
قال : وثب ابنك اسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه . قال : فارتاع جعفر  
وصاح : ويلك ! ولماذا؟ وتريد ماذا؟ قال : أما ما أريد فوالله مالي في اسماعيل حيلة  
ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك .

فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار وقال له : خذ هذه ولك عندنا  
ما نُحِب .

قال: وخرج إلى اسماعيل لا يبصر ما يظاً عليه، فإذا به مترسّل في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إليه فقال: يا اسماعيل أو فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده؟! قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه.

قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتي رعبك الله فيقول: روعة ابنك والله إياي في الجدي أكبر من روعتك أنت في المائتي الدينار.

## ٨٩

### أراد أن يسلح عليه فأخذه القولنج

قال المدائني:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة، فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين عليه السلام: بأي أنت وأمي، أتأذن لي أن أسلح عليه؟

فقال الأعرابي: ما شئت، ومع الأعرابي قوس وكنانة، ففوّق<sup>(١)</sup> له سهماً وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها.

قال أشعب للحسين: جُعلت فداءك، قد أخذني القولنج<sup>(٢)</sup>.

## ٩٠

### تقويم أشعب

روى ابن هرمة عن أبيه قال:

كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف بقلبه فيشتمه أقبح شتم وأبان يضحك. فبينما نحن ذات يوم عنده،

(١) فوّق السهم: ركبّه ووضع في رأس الحربة.

(٢) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح.

وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له، والأعرابي أشقر أزرق أزعر سيء الخلق غصوب يتلظى كأنه أفعى، ويتبين الشرّ في وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره. فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية ادعوه، فدُعي وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك الله يا خالي، حبيب ازداد حباً فجلس.

فقال له: إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة، وهذه القامة واللون والصدر، والورك، والأخفاف، فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه، أتبعه؟ فقال: نعم أيها الأمير.

فقال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار. وكان الجمل يساوي عشرة دنائير. فطمع الأعرابي وسرّ وانتفخ، وبان السرور والطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك - يعني في الطمع - فأوسع له ممّا عندك.

فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة.

فقال له أبان: يا خالي إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً ولكن بذلت لك مائة لقلّة النقد عندنا. وإن أعطيك به عروضاً تساوي مائة، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير. فأسرّ إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطى فقال له: اخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة خزّ خلق لا تساوي أربعة دراهم، فقال له: قومها يا أشعب.

فقال أشعب: عمامة الأمير، تُعرف به ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء، خمسون ديناراً.

فقال: ضعها بين يديه. وقال لابن زبنج، أثبت قيمتها. فكتب ذلك، ووُضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيضاً ولم يقدر على الكلام، ثم قال:

هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدّهن وتخرّقت تساوي نصف درهم، فقال: قوم يا أشعب. فقال أشعب:

قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم، ثلاثون ديناراً.

قال: أثبت يا ابن زبنج، فأثبت ذلك، ووُضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فتربّد وجهه وتغيّر لونه من الغضب وجحظت عيناه وهمّ بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خَلَقَيْنِ قد نقبا وتخرّقا وتقرّشا وتفتّقا.

فقال له: قَوْم.

فقال أشعب: خُفّا الأخير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما منبر النبي (ص) أربعون ديناراً.

فقال: ضعهما بين يديه فوضعهما ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون ديناراً.

فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به، ثم قال له: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا.

قال: لم أدرك أباك عثمان فاشترك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إليّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قَوْم، فيهرب أشعب منه.

### اشتهدى كبده

دعا رجل جليل أشعب فأقام عنده، فقال لأشعب يوماً: أنا اشتهدى كبدي هذه الشاة - لشاة عنده عزيزة عليه شبيطة - .

فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي أعطينها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة.

فقال: أخبرك أني اشتهدى كبدها وتقول لي: أسمن شاة بالمدينة؟! اذبح يا

غلام، فذبحها وشوى له كبدها فأكل حتى شبع.

ثم قال لأشعب من الغد: يا أشعب أنا أشتهي من كبدي نجيب (أكرم الإبل) - لنجيب كان عنده ثمنه ألوف الدراهم.

فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا والله غناي، فأعطيني وأنا والله أطعمك من كبدي كل جزور بالمدينة. فقال: أخبرك اني اشتهي من كبدي هذا النجيب وتطعمني من غيره؟! يا غلام إنحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكل حتى شبع.

فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبديك، فقال له: سبحان الله أتأكل من أكباد الناس!

قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقبل له: ويليكَ أظننت أنه يذبحك؟

فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها.

قال: وإنما فعل الرجل بالشاة والنجيب ما فعل توطئه للبعث بأشعب.

## قطعوا رجله والوليد غير مكترث

قالوا:

أصابَت الأكلة<sup>(١)</sup> رجل عروة بن الزبير وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك، فُقطعت رجله في مجلس الوليد، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قُطعت حتى كُويت فشم رائحة الكي. هكذا قال ابن قتيبة في كتابه «المعارف»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى أن عروة بن الزبير قدم على الوليد بن عبد الملك ومعه ولده محمد بن عروة، فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتاً، ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يدع ورده تلك الليلة فقال له الوليد: اقطعها، فقال: لا، فسرت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسه أحد وقال: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾.

وقدم تلك السنة قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال: يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن وادٍ، ولا أعلم عسيماً يزيد ماله على مالي، فطرقتنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال غير بعير وصبي مولود، وكان البعير صعباً فنذ، فوضعت الصبي وأتبع البعير، فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم الذئب وهو يأكله، فلحقت البعير لأحبسه فنفخني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني، فأصبحت لا مال ولا أهل ولا ولد ولا بصر، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاءً.

وقال ابن قتيبة وغيره:

لما دُعي الجزار ليقطع رجله قال له: نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألماً فقال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية. قالوا: فنسقيك المرقد.

(١) الأكلة: داء يصيب الرجل.

(٢) راجع: «المعارف»، ص ٢٢٢.

قال: ما أحب أن أُسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه.

قال: ودخل عليه قوم أنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟

قالوا: بمسكونك فإن الألم ربما عَزَبَ معه الصبر.

قال: أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي، ففُطعت كعبه بالسكين حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المنشار ففُطعت وهو يهَلِّل ويكَبِّر. ثم إنه أُغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسم به، فغشي عليه فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه. ولمّا رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال:

أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام، أو قال معصية، ولمّا دخل ابنه إصطبل الوليد بن عبد الملك وقتلته الدابة كما تقدّم لم يسمع في ذلك منه شيء، حتى قدم المدينة فقال:

اللهم، إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة، فلك الحمد، وأيم الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لطالما عافيت.

### المستحمة

بينما كان أحد الخلفاء يدخل أحد حمامات جارياته، صدف أن كانت إحداهن تجفّف جسدها من الماء، وبصرت به فجأة وكانت عارية، فأسبلت شعرها حياءً على جسدها العاري حيث غطاها من أعلى رأسها حتى أسفل قدميها. فدهش الخليفة من هذا المنظر العجيب. فعاد إلى إيوانه وسأل من كان هناك من الشعراء أن يقول ما في نفسه فلم يستطع أحد أن يدرك ذلك إلا أبو نواس حيث قال:

نضت عنها القميص لصب ماءٍ	فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرّت	بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها	إلى ماءٍ مُعَدٍّ في إناء
فلما أن قضت وطراً وهمّت	على عجلٍ إلى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني	فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليلٍ	وظل الماء يقطر فوق ماءٍ

### سبق السيف العذل

كان لرجلٍ من الأعراب - اسمه ضَبَّة - ابن يقال له سعيد، فلقى الحارث بن كعب وكان على الغلام بردان، فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه. وكان أن حجَّ ضَبَّة فوافى عكاظ فلقى بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد. فعرفهما فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: لقيت غلاماً وهما عليه، فسألته إياهما فأبى عليَّ فقتلته وأخذتهما. فقال ضَبَّة: بسيفك هذا؟ قال: نعم.

قال: أرنيه فاني أظنه صارماً، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه هزّه وقال: الحديث دون شجون. ثم ضربه به فقتله. فقيل له: يا ضَبَّة، أفي الشهر الحرام؟ قال: سبق السيف العذل.

### نظنُّه لم يقتنع

عن إسحاق بن إبراهيم التمار البصري قال: دخل المهدي إلى بعض حُجَر الحرم فنظر إلى جاريةٍ منهنَّ تغتسل، فلما رآته خجلت واستحت ووضع يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

\* نظرتُ عيني لحيني <sup>(١)</sup> \*

ثم ارتج <sup>(٢)</sup> عليه الشعر وامتنع عنه فقال: مَنْ بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل. فقال له: أجز؟

\* نظرتُ عيني لحيني \*

(١) الحين: الهلاك.

(٢) ارتج عليه الشعر: لم يستطع أن يشعر.



فقال بشار:

نظرت عيني لحيني نظراً وافق شيني<sup>(١)</sup>  
سترْتُ لَمَّا رَأَيْتِي دونه بالراحتين  
فضلتُ منه فضولُ تحت طَيِّ العُكْنَتَيْنِ

فقال له المهدي: قبحك الله ويحك! أكنتَ ثالثنا! ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيتُ وقلبي للهوى في زفرتين  
أَنِّي كنتُ عليه ساعةً أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة، فقال: يا أمير المؤمنين أَقْنَعْتُ من هذه الصفة  
بساعة أو ساعتين؟

فقال: أخرج عني قبحك الله! فخرجَ بالجائزة.

٩٧

### الفصاحة عند العرب

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقال: يا  
أمير المؤمنين أقر الله عينك، وفرّحك بما آتاك، وأتمّ سعدك... لقد حكمت  
فقسط.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم، وسلبت نواهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمرده

إليك. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتهم شيئاً. أما قولها: «أقر الله عينك» أي أسكنها، وإذا

سكنت العين عن الحركة عميت.

(١) الشين: العيب.

وأما قولها: «فَرَحَكْ بما آتاك» فأخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.  
 وأما قولها: «وَأَتَمَّ اللهُ سَعْدَكَ» فأخذته من قول الشاعر:  
 إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصَهُ تَرَقَّبَ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ  
 وأما قولها: «لَقَدْ حَكَمْتَ فَقَسَطْتَ» فأخذته من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾.

### هكذا عطاسه

حدَّث الزبير بن بكار عن عمه قال:  
 كان الدارمي عند عبد الصمد بن عليّ يحدثه، فأغفى عبد الصمد فعطس  
 الدارمي عطسةً هائلة، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً واضطرب وغضب غضباً  
 شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاض<sup>(١)</sup> كذا من أمه أتزعني؟!  
 قال: لا والله ولكن هكذا عطاسي!  
 قال: والله لأنقعنك في دمك أو تأتيني بيّنة على ذلك.  
 قال: فخرج ومعه حارس لا يدري أين يذهب به. فلقيه ابن الريان المكي  
 فسأله، فقال: أنا أشهد لك، فمضى حتى دخل على عبد الصمد فقال له: يَمَّ تشهد  
 لهذا؟ قال: أشهد أني رأيته مرةً عطس عطسةً فسقط ضرسه. فضحك عبد الصمد  
 وخلق سبيله.



(١) يا عاض كذا من أمه: سبُّ كان يجري على ألسنة العرب قديماً.

## وَلَوْ...

رفع غلامٌ بشارٍ إليه في حساب نفقته جلاءَ مرآةٍ عشرة دراهم، فصاح به بشار، وقال: والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم. والله لو صَدِئْتُ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة، ما بلغتُ أجرَةً من يجلوها عشرة دراهم.

## الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب

عن عمرو بن أبي عمرو قال:

بلغني أن الحسن بن زيد دعا بابن المولى الشاعر الظريف العفيف فأغظ له وقال: أتشيب بحُرْمِ المسلمين وتنشد ذلك في مسجد رسول الله (ص) وفي الأسواق والمحافل ظاهراً! فحلف له بالطلاق أنه ما تعرّض لمحرّمٍ قطّ ولا شبّب بامرأة مسلم ولا معاهد أو ذمّي قطّ. قال: فَمَنْ ليلي هذه التي تقول فيها:

وأبكي فلا ليلي بكّ من صبايةٍ إلى ولا ليلي لذي الودّ تبذل  
فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلا قوسي هذه، سميتها ليلي لأذكرها في شعري، فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب. فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصّة هذه فقل ما شئت.

## كان المنع لضالة المعروف

ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي أنه قال:

كنت حنّاطاً<sup>(١)</sup> بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أضراب بها، فتلفت

(١) الحنّاط: الذي يتاجر بالحنطة وبيعها.

الدراهم، فشخصتُ إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد البرمكي فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وسألتهم أن يوصلون إليّ، فقالوا: إذا قدم الطعام إليّ لم يحجب عنه أحد، ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت، فلما حضر طعامه أدخلوني فأجلسوني معه على المائدة، فسألني: من أنت وما قصّتك؟ فأخبرته، فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لأقبل رأسه، فاشمأز من ذلك، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال: الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك: استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في اليوم الثاني.

فأخذته وانصرفت، وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة، فأنشأ يسألني كما سألني في اليوم الأول، فلما رفع الطعام دنوت منه لأقبل رأسه فاشمأز مني، فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال لي: الوزير يقرأ عليك السلام، ويقول لك: استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في غد، فأخذته وانصرفت، وعدت في اليوم الثالث كما أمر فأعطيت مثل الذي أعطيت في اليوم الأول والثاني.

فلما كان في اليوم الرابع أعطيت الكيس كما أعطيت قبل ذلك، وتركني بعد ذلك أقبل رأسه وقال: إنما منعتك ذلك لأنه لم يكن وصل إليك من معروفي ما يوجب هذا، فالآن قد لحقك بعض النفع مني، يا غلام أعطه الدار الفلانية، يا غلام افرش له الفرش الفلاني، يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ثم قال لي: الزمني وكن في داري، فقلت: أعز الله الوزير، لو أذنت لي بالشخص إلى المدينة لأقضي الناس أموالهم ثم أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بي.

قال: قد فعلت، وأمر بتجهيزي فشخصت إلى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت إليه فلم أزل في ناحيته.

\*

### المناقب لذي المنقبتين

كان عبد المحسن الصوري الشاعر حسن المعاني رائق الكلام، له ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان فمن محاسنه قوله:

أترى بثأراً أم بدين	علقت محاسنها بعيني
في لحظها وقوامها	ما في المهند والرديني
وبوجهها ماء الشبا	ب خليط نار الوجنتين
بكرت عليّ وقالت آخ	تر خصلة من خصلتين
إما الصدود أو الفرا	ق فليس عندي غير دين
فأجبتها ومدامعي	تنهل مثل المأزمين
لا تفعلي، إن حان ص	دك أو فراقك حان حيني
فكأنما قلت انهضي	فمضت مسارعةً لبيني
ثم استقلت أين حل	ت عيسها رُميت بأين
ونوائب أظهرن أيا	مي إليّ بصورتين
سوّدنها وأطلنها	فرايت يوماً ليلتين

ومنها:

هل بعد ذلك من يُعَد	رَفني النُضار من اللُجين
فلقد جهلتها لبُعَد	د العهد بينهما وبيني
متكسباً بالشعر يا	بش الصناعة في اليدين
كانت كذلك قبل أن	يأتي عليّ بن الحسين
فاليوم حال الشعر ثا	لثة لحال الشعرتين
أغنى وأعفى مدحه الـ	عافين عن كذب ومين <sup>(١)</sup>

وهذه القصيدة عملها عبد المحسن في عليّ بن الحسين والد الوزير أبي

(١) المين: الكذب.

القاسم بن المغربي، وهي قصيدة طويلة جيّدة ولها حكاية ظريفة، وهي أنه كان بمدينة عسقلان رئيس يقال له ذو المنقبتين، فجاءه بعض الشعراء وامتدحه بهذه القصيدة وجاء في مديحها:

ولك المناقب كلّها فلم اقتصرت على اثنتين؟

فأصغى الرئيس إلى إنشاده واستحسنها وأجزل جائزته.

فلما خرج من عنده قال له بعض الحاضرين: هذه القصيدة لعبد المحسن الصوري. فقال: أعلم هذا وأحفظ القصيدة، ثم أنشدها. فقال له ذلك الرجل:

فكيف حتى عملت معه هذا العمل من الإقبال عليه والجائزة السنيّة؟

فقال: لم أفعل ذلك إلا لأجل البيت الذي ضمّتها، وهو قوله:

ولك المناقب كلّها...

فإن هذا البيت ليس لعبد المحسن، وأنا ذو المنقبتين، فعلمت قطعاً أن هذا البيت ما عمل إلا فيّ، وهو في نهاية الحسن.



١٠٣

### أحلى ما قرأت من شعر

وذكر صاحب «اليتيمة» لعبد المحسن الصوري هذين البيتين:

عندي حدائق شكر غرسُ جودكُم      قد مسّها عطشُ فليستِ مَنْ غرسا  
تداركوها وفي أغصانها رَمَقٌ      فلن يعودَ اخضرارُ العود إن ييسا  
واجتاز يوماً بقبر صديقٍ له فأنشد:

عجباً لي وقد مررتُ على قب      رِكَ كيف اهتديت قَصْدَ الطريق  
أتراني نسيْتُ عهدك يوماً؟      صدقوا ما لميت من صديقي

\*

### إن كان سَلَمَةٌ وصيفاً فهذا مُهر

دخل أبو دُلّامة الشاعر الظريف المعروف بنوادره وطرائفه على المهدي وبين يديه «سَلَمَةٌ» الوصيف واقفاً «الوصيف: الخادم الرقيق» فقال: إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً رقيقاً ليس لأحدٍ مثله. فإن رأيت أن تُشرّفني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته، فإذا به حمار محطّم أعجف هرم يسير بصعوبة.

فقال له المهدي: أي شيء هذا ويُلِكَ!!! ألم تزعم أنه مهر؟! .  
فقال له: أوليس هذا سَلَمَةٌ الوصيف بين يديك قائماً تسمّيه الوصيف وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيف؟! فإن كان سَلَمَةٌ وصيفاً فهذا مُهر.  
فجعل سَلَمَةٌ يشتمه والمهدي يضحك.

### قال كلُّ منهما: أنا

قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب «أخبار الوزراء»<sup>(١)</sup>:  
وجدت بخط أبي علي أحمد بن اسماعيل: حدّثني العباس بن جعفر الأصهباني قال:

طُلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صديقاً لابن المقفّع، ففاجأهما الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحدٍ منهما: أنا، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه. وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفّع فقال: ترفقوا بنا، فإنّ كلاً منّا له علامات، فوكلوا بنا بعضكم ويمضي البعض الآخر ويذكر العلامات لمن وجّهكم، ففعلوا، وأخذ عبد الحميد.

(١) راجع: «أخبار الوزراء»، ٧٩ - ٨٠.

### استبقي اثنين وقتل الثالث

روى محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره قال:

أتى أبو جعفر المنصور أخو السفاح - وهو ثاني خلفاء بني العباس بعد قتل مروان بن محمد الجعدي - بعبد الحميد الكاتب والبعليكي المؤذن وسلام الحادي، فهم المنصور بقتلهم جميعاً لكونهم من أصحاب مروان، فقال سلام: استبقي يا أمير المؤمنين فأني أحسن الناس حداً، فقال: وما بلغ من حدائك؟

فقال: تعمد إلى إبل فتظمئها ثلاثاً ثم تورد الماء، فإذا وردت رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى أسكت.

قال: فأمر المنصور بإبل فأظمئت ثلاثة أيام، ثم أوردت الماء، فلما بدأت بالشرب رفع سلام صوته بالحداء فامتنعت من الشرب ثم لم تشرب حتى سكت، فاستبقي سلاماً وأجازه وأجرى عليه رزقه.

وقال له البعلبيكي المؤذن: استبقي يا أمير المؤمنين.

قال: وما عندك؟

قال: أنا مؤذن.

قال: وما بلغ من أذانك؟

قال: تأمر جارية تقدم إليك طستاً وتأخذ بيدها إبريقاً وتصب عليك، وأبتدىء الأذان فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم، فأمر جارية فأعدت إبريقاً فيه ماء وقدمت إليه طستاً وجعلت تصب عليه، ورفع البعلبيكي صوته بالأذان فبقيت الجارية شاخصة وألقت الإبريق من يدها، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه الرزق وصير أمر الجامع إليه. وقال له عبد الحميد الكاتب: استبقي يا أمير المؤمنين قال: وما عندك؟

قال: أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة.

فقال له المنصور: أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي. فأمر به فقطعت يده ورجلاه ثم ضربت عنقه، والله أعلم أي ذلك كان.



### من أخبار ديك الجن

كانت لديك الجن<sup>(١)</sup> جارية يهواها اسمها دنيا، فأتهمها بغلامه «وصيف» فقتلها ثم ندم على ذلك فأكثر من التغزل فيها، فمن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

يا طلعةً طلع الحمام عليها      وجنى لها ثمر الردى بيديها  
رويت من دمها الثرى ولطالما      روى الهوى شفتي من شفتيها  
مكنت سيفي من مجال خناقها      ومدامعي تجري على خديها  
فوحق نعلها وما وطىء الحصى      شيء أعز علي من نعلها  
ما كان قتلها لأنني لم أكن      أبكي إذا سقط الغبار عليها  
لكن بخلت على سواي بحبها      وأنفت من نظر الغلام إليها  
ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضاً، ونظم فيه أبياتاً وهي<sup>(٣)</sup>:

أشفقت أن يرد الزمان بغدره      أو أبتلى بعد الوصال بهجره  
فقتلته وله علي كرامة      ملء الحشا وله الفؤاد بأسره  
قمر أنا استخرجته من دجنه      لبليتي ورفعتة من خدره  
عهدي به ميتاً كأحسن نائم      والحزن ينحر مقلتي في نحره  
لو كان يدي الميث ماذا بعده      بالحي منه بكى له في قبره  
غصص تكاد تفيض منها نفسه      ويكاد يخرج قلبه من صدره  
فصنعت أخت الغلام:

يا ويح ديك الجن يا تباً له      مما تضمّن صدره من غدره  
قتل الذي يهوى وعمر بعده      يا رب لا تمدد له في عمره

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان اللكبي الملقب بديك الجن.

(٢) راجع: «أخبار الوزراء»، ص ١٠٢.

(٣) ديوانه ص ٩٢.

### سليمان بن عبد الملك الأكل

قال الأصمعي :

ذكرت يوماً للرشيد نهم سليمان بن عبد الملك، وقلت: إنه كان يجلس ويحضر بين يديه الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها، فيزيد أخذ كُلاها فتمنعه الحرارة، فيجعل يده على طرف جَبته ويدخلها في جوف الخروف فيأخذ كُلاه، فقال لي: قاتلك الله، ما أعلمك بأخبارهم! أعلم أنه عُرِضت عليّ ذخائر بني أمية، فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة وأكمامها ودكة<sup>(١)</sup> بالدهن، فلم أدِر ما ذلك حتى حدّثتني بالحديث ثم قال: عليّ بثياب سليمان، فأتيت بها، فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلّة. وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحياناً فيقول: هذه جبّة سليمان التي كسا فيها الرشيد.

وحكي عنه قال:

رأيت بعض الأعراب يغلي ثيابه، فيقتل البراغيث ويدع القمل، فقلت: يا أعرابي، ولم تصنع هذا؟ فقال: أقتل الفرسان ثم أعطف على الرّجالة.

### أرادت زيارته في الليل

كان الملك العزيز بن صلاح الدين يميل إلى القاضي الفاضل في حياة أبيه، فاتفق أن العزيز هويّ قينة<sup>(٢)</sup> شغلته عن مصالحه، وبلغ ذلك والده، فأمره بتركها ومنعها من صحبتها، فشق ذلك عليه، وضاق صدره، ولم يجسر أن يجتمع بها، فلما طال ذلك بينها سيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر، فكسرها فوجد في وسطها زرّ

(١) ودكة: ملطخة.

(٢) القينة: المغنية.

ذهب، ففكر بكفيه ملياً فلم يعرف معناه. واتفق حضور القاضي الفاضل، فعرفه الصورة ونظم القاضي في ذلك بيتين من الشعر وأرسلهما إليه وهما:

أهدت لك العنبر في وسطه زُرُّ من القبر دقيق اللحم  
فألزُر في العنبر معناهما زُرُّ هكذا مستتراً في الظلام  
فعلم الملك العزيز أنها أرادت زيارته في الليل.

١١٠

### هدمه لأنه موضع شؤم

من أخبار عبد الملك بن عمير أنه قال:  
كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء برأس مصعب بن  
الزبير فوضع بين يديه، فرآني قد ارتعت، فقال لي: ما لك؟  
فقلت: أعينك بالله يا أمير المؤمنين، كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع  
عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه  
في هذا المكان.  
ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين  
يديه.

ثم كنت فيه مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار فيه بين يديه.  
ثم هذا رأس مصعب بن الزبير بين يديك.  
قال: فقام عبد الملك من موضعه، وأمر بهدم ذلك الطاق الذي كنّا فيه<sup>(١)</sup>.

١١١

### لغز ابن الجوزي

من أحسن ما يُحكى عن ابن الجوزي أنه وقع نزاع ببغداد بين أهل السنة  
والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجب به

(١) راجع القصة في «الغيث المنسجم»، ٢: ١٣٢.

الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي فأقاماً شخصاً سألته عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يُراجع في ذلك.

فقلت السنة: هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله (ص).

وقالت الشيعة: هو عليّ لأن فاطمة ابنة رسول الله (ص) تحته. وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة.

## ❖ ❖ ❖ ١١٢ ❖ ❖ ❖

### «تدمر» سبب زوال ملكه

قيل:

من أعجب أحاديث مروان بن محمد<sup>(١)</sup> ما رواه المدائني قال: لما حاصر مروان تدمر فظفر بها وهدم دورها أفضى إلى جرن طويل، فلم يشك مروان والحاضرون أن تحته كنزاً، فنبشوه فإذا امرأة مسجاة عظيمة الخلق على قفاها فوق سرير من حجارة عليها سبعون حلّة منسوجة بالذهب جرباناتها، لها غدائر من رأسها إلى رجليها، فذرع قدمها فكانت عظيمة الساق، وكان طولها سبعة أذرع، وإذا عند رأسها صفيحة من نحاس مكتوب عليها بالحميرية، فطلب من قرأها فإذا فيها: أنا تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع بن هرم العماليقي. من دخل عليّ بيتي هذا فأزعجني منه حتى يراني أدخل الله عليه المهانة والذل والصغار. فلما قرىء المكتوب على مروان بن محمد عظم عليه وندم على ما كان منه وتطير بذلك وجعل يسترجع ثم أمر بطبق الجرن أن يردّ إلى موضعه، وما كان بين ذلك وبين الظفر به وزوال الملك واستباحة حريمه إلا قليل.

(١) مروان بن محمد: هو آخر خلفاء بني أمية، ويسمى مروان الحمار.

## اعتبروا

رُوي أن أبا بكر الصديق خرج بعد البيعة ومعه ميزان ورزمة ثياب تحت يده،  
وخرج إلى السوق فقيل له:

ما هذا؟

فقال: أكتسب لنفسي وعيالي، فأجمعوا رأيهم وفرضوا له في كل يومٍ درهماً  
وثلاثي درهم من بيت مال المسلمين.

## عنقاء مغرب

حكى الشيخ أبو البقاء المذكور في كتاب «شرح المقامات» عند ذكر العنقاء أن  
أهل الرسّ كان بأرضهم جبل يقال له «رمخ»<sup>(١)</sup> صاعد في السماء قدر ميل، وكان به  
طيور كثيرة، وكانت العنقاء طائفة عظيمة الخلق، طويلة العنق، لها وجه إنسان وفيها  
من كل حيوان شبه، من أحسن الطير، وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل فتلتقط  
طيره، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به،  
فسميت «عنقاء مغرباً» لإبعادها بما تذهب به، ثم ذهبت بجارية أخرى، فشكا أهل  
الرسّ إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابها صاعقة فاحترقت، والله  
أعلم.

ووجدت في أواخر كتاب «ربيع الأبرار» للعلامة أبي القاسم الزمخشري في باب  
الطير عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه السلام  
طائفة اسمها العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجهها كوجه الإنسان،  
وأعطاها من كل شيء حسن قسطاً، وخلق لها ذكراً مثلها، وأوحى إليه إني خلقت  
طائرين عجيبيين وجعلتُ رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وآنتك بهما  
وجعلتهما زيادة فيما فضلتُ به بني إسرائيل، فتناسلا وكثر نسلهما، فلما توفي موسى

(١) رمخ: في بعض الروايات: دمخ.

عليه السلام، انتقلت فوقعت بنجد والحجاز، فلم تزل تأكل الوحش وتختطف الصبيان إلى أن نُبئ خالد بن سنان العبيسي بين عيسى ومحمد عليهما السلام فشكوها إليه، فدعا الله ففقط نسلها وانقرضت والله أعلم.

١١٥

### الفرق شاسع بين عطاء اليقين وعطاء التجربة

قال عبد الله بن وهب المصري:  
كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين ديناراً. قال: وكان إذا أخذه لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به. قال: ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه. قال: وكان له ابن عم، فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به، ثم جاء يطلبه تحت فراشه فلم يجد شيئاً. قال: فشكا إلى حيوة، فقال له حيوة: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيت ربك تجربة.

١١٦

### أربعة لا أقدر على مكافأته

قال ابن عباس رضي الله عنه:  
ما رأيت رجلاً لي عنده معروف إلا أضاء ما بيني وبينه.  
وقال رضي الله عنه: أربعة لا أقدر على مكافأته: رجل بداني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل اغبرت قدماء في المشي في حاجتي، فأما الرابع فما يكافئه عني إلا الله عز وجل. قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر فيمن يقصد ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي.

\*

### لا يرضاه لها

قال رجل لعبد الله بن عباس:  
زوّجني من فلانة - وكانت يتيمّة في حجره - .  
فقال: لا أرضاها لك لأنها تسرف.  
فقال الرجل: قد رضيتُ.  
فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

### لم يأذن له بأكله

يحكى عن والد عبد الله بن المبارك أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زماناً، ثم إن مولاه جاءه يوماً وقال له: أريد رماناً حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً فكسره فوجده حامضاً، فحرد عليه وقال: اطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلواً، فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره وجده أيضاً حامضاً فاشتدّ حرده عليه، وفعل كذلك مرّة ثالثة، فقال له بعد ذلك:

أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟

فقال: لا.

فقال: كيف ذلك؟

فقال: لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه.

فقال: ولم لم تأكل؟

قال: لأنك ما أذنت لي، فكشف عن ذلك فوجد قوله حقاً، فعظم في عينه

وزوّجه ابنته.

ويقال: إن عبد الله رُزقه من تلك الإبنة، فتمت عليه بركة أبيه. ورأيت في

بعض التواريخ هذه القضية منسوبة إلى إبراهيم بن أدهم العبد الصالح رضي الله عنه. وكذا ذكرها الطرطوشي في أول «سراج الملوك» لابن أدهم.

### سألوا حاجتهم فأجيب

حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رأيت عجبا، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعدما فرغوا من صلاتهم: ليقم رجلٌ منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته، فإنه يُعطي من ساعته، قم يا عبد الله بن الزبير، فإنك أول مولود في الهجرة، فقام وأخذ بالركن اليماني ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه الصلاة والسلام، أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة، وجاء حتى جلس، فقال: قم يا مصعب، فقام حتى أخذ بالركن اليماني، فقال:

اللهم إنك رب كل شيء، وإليك يصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء، أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق، وتزوجني سكينه بنت الحسين. وجاء حتى جلس، فقال: قم يا عبد الملك، فقام وأخذ بالركن اليماني، وقال: اللهم رب السماوات السبع، ورب الأرض ذات القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وبحق الطائفين حول بيتك، أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس. فقال: قم يا عبد الله بن عمر، فقام حتى أخذ بالركن اليماني، ثم قال: اللهم إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك، أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشعبي: فما ذهبت عينا من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل وبُشِّر عبد الله بن عمر بالجنة ورؤيت له.





### الرسول (ص) إذا مزح

سئلت عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله (ص) يمزح؟  
 قالت: نعم، كان عندي عجوز فدخل رسول الله (ص) فقالت: ادعُ الله أن  
 يجعلني من أهل الجنة.  
 قال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. وسمع النداء فخرج وهي تبكي فقال: ما  
 لها؟

قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز.  
 قال: إن الله سبحانه وتعالى يحولهن أبقاراً عرباً أتراباً.

### ألا يكفي يوم الجمل؟

قيل:  
 وقعت بين حيين من قريش منازعة فخرجت عائشة على بغلة تصلح بينهما،  
 فلقيها ابن أبي عتيق فقال: إلى أين جعلتُ فداك؟  
 فقالت: أصلح بين هذين الحيين.  
 فقال: والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد، فكيف إذا قيل يوم البغل؟  
 فضحكت وانصرفت.

### ما أراد إلّا قتله

حكى الشعبي قال:  
 أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني  
 عن شيء إلّا أجبتة، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى  
 استحشثت خروجي، فلما أردت الإنصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟

فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء فدفعته إليّ رقعة وقال لي: إذا أدت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة. قال: فأدبت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة، فلما صرتُ في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟

قلت: نعم.

قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟

قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة.

ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رددتُ، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟

قلت: لا.

قال: أقرأها، فقرأتها فإذا فيها «عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره» فقلت له: والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك.

قال: أتدري لم كتبها؟

قلت: لا.

قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك.

قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردتُ إلا ما قال.

## ١٢٣

### أمنت عندنا يا شعبي

قالوا:

أحضر الشعبي بين يدي الحجاج - وكان قد خرج مع ابن الأشعث - فسلم على الحجاج بالإمرة ثم قال: أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن اعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً: قد والله خرجنا عليك وجهدنا كل الجهد فما كنّا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الاتقياء، قد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرّت إلينا أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك،

وبعد، فالحجة لك علينا.  
فقال الحجاج: أنت والله أحب إليّ ممن يدخل عليّ يقطر سيفه من دماننا ثم يقول: ما فعلت وما شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي، فانصرف.

## ١٢٤

### أيلحن الأمير ويعرب هو؟!

يُقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال للشعبي يوماً: كم عطاءك في السنة؟  
فقال: ألفين.  
فقال: ويحك! كم عطاؤك؟  
فقال: ألفان.  
قال: كيف لحت<sup>(١)</sup> أولاً؟  
قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا. فاستحسن ذلك منه وأجازه.  
قالوا:  
وكان الشعبي مزاجاً، يُحكى أن رجلاً دخل عليه ومعه امرأة في البيت فقال:  
أيكما الشعبي؟ فقال: هذه.

## ١٢٥

### ابرزها ترَ قمرا

قيل:  
إن هارون الرشيد عمل في الليل بيتاً ورام أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه،  
فقال: عليّ بالعباس بن الأحنف، فلما طرق عليه ذعر وفزع أهله، فلما وقف بين  
يدي الرشيد قال له: وجهت إليك بسبب بيت قلته ورمت أن أشفعه بمثله فامتنع  
القول عليّ، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني حتى ترجع إليّ نفسي فلإني تركت عيالي

(١) لحت: أخطأت في الاعراب.

على حال من القلق عظيمة، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف، فانتظر هنيهة ثم أنشده:

جنان قد رأيناها ولم نَر مثلها بَشْراً

فقال العباس بن الأحنف:

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدتَه نظراً

فقال: زدني، فقال:

إذا ما الليل سال عليك بالإِظلام واعتكرا

وَدَجَّ فلم تَر قمرأ فأبرزها تَر قمرأ

فقال له الرشيد: قد ذعرك وأفزعنا عيالك وأقل الواجب أن نعطيك دينك، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

## ١٢٦

### قدّمه لبيتين قاهما ولشاعريته

حكى عمر بن شبة قال:

مات ابراهيم الموصلي المعروف بالنديم سنة ١٨٨ هـ، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف وهشيمة الخمار، فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفا بين يديه فقال: من هذا الأول؟ فقالوا: ابراهيم الموصلي.

فقال: آخروه وقدّموا العباس بن الأحنف، فقدم فصلى عليه، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال:

يا سيدي، كيف آثرت العباس بن الأحنف بالتقدمة على من حضر؟ فأشده<sup>(١)</sup>:

وسعى بها ناس فقالوا: إنها هي التي تشقى بها وتكابدُ

فجحدتهم ليكونَ غيرك ظنهم إني ليعجبني المحبُّ الجاحدُ

(١) ديوانه، ص ٨١.

ثم قال: أتحفظهما؟  
فقلت: نعم، وأنشدته.  
فقال لي المأمون: أليس مَنْ قال هذا الشعر أولى بالتقدمة؟  
فقلت: بلى والله يا سيدي.

### كلنا يبكي على سَكَنه

حكى المسعودي في كتاب «مروج الذهب»<sup>(١)</sup> عن جماعة من أهل البصرة قالوا:  
خرجنا نريد الحج، فلما كنّا ببعض الطريق إذا غلام واقف على المحجة وهو  
ينادي: أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة؟  
قال: فعدلنا إليه وقلنا له: ما تريد؟  
قال: إن مولاي لما به يريد أن يوصيكم، فملنا معه، فإذا بشخص ملقى على  
بعد من الطريق تحت شجرة لا يُحير جواباً، فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه وهو  
لا يكاد يرفعه ضعفاً، وأنشأ يقول<sup>(٢)</sup>:

يا غريب الدار عن وطنه      مُفرداً يبكي على شَجِنه  
كلما جدَّ البكاء به      دبَّت الأسقام في بدنه  
ثم أغمي عليه طويلاً ونحن جلوس حوله، إذ أقبل طائر فوقع على أعلى  
الشجرة وجعل يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر، ثم أنشأ الفتى يقول:  
ولقد زاد الفؤاد شَجِي      طائرُ يبكي على فنِينه  
شفهُ ما شفني فبكي      كلنا يبكي على سَكِنه  
قال: ثم تنفّس تنفّساً فاضت نفسه منه، فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفّناه  
وتولّينا الصلاة عليه، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه، فقال: هذا العباس بن  
الأحنف، رحمه الله تعالى، والله أعلم أيّ ذلك كان.

(١) «مروج الذهب»، ٤: ١٠٩.

(٢) ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٧٨.

### استظرف رسالته فأجازه

كان ليحي بن خالد البرمكي كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته، فعزم على حتان ولده، فاحتفل له الناس على طبقاتهم، وهاداه أعيان الدولة ووجوده الكتاب والرؤساء على اختلاف منازلهم، وكان له صديق قد اختلّت أحواله وضاعت يده عما يريد له لذلك ممّا دخل فيه غيره، فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين، فجعل في أحدهما ملحاً وفي الآخر أشناناً مكفراً، وكتب معها رقعة نسختها:

لو تمّت الإرادة لأسعفت بالعادة، ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين إلى برّك وتقدمت المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة، وخفت أن تطوى صحائف البرّ وليس لي فيها ذكر فأنفذت المبتدأ بيمينه وبركته والمختتم بطييه ونظافته، صابراً على ألم التقصير، ومتجرعاً غصص الاقتصار على اليسير، فأما ما لم أجد إليه السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عزّ وجلّ: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾<sup>(١)</sup> والسلام.

فلما حضر يحي بن خالد البرمكي الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها، حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها وأمر أن يملأ الكيسان مالاً ويردّا عليه فكان ذلك أربعة آلاف دينار.

\*

(١) سورة التوبة: آية ٩١.

## في الكنيف

كان الطبيب أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي أُوحد عصره في علم الطب، وكان يلحق بأبيه في النقل، وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها. وكان يعرّب كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه.

وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء مَنْ خدمه أبوه، ثم انقطع إلى القاسم بن عبيد الله وزير الإمام المعتضد بالله واختصّ به، حتى أن الوزير المذكور كان يطلعه على أسرارهِ، ويفضي إليه بما يكتمه من غيره. وذكر ابن بطلان في كتاب «دعوة الأطباء» أن الوزير المذكور بلغه أن إسحاق المذكور استعمل دواءً سهلاً، فأحبّ مداعبته، فكتب إليه:

ابن لي كيف أمسيّت وما كان من الحال  
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي  
فكتب إليه جوابه:

بخير بتُ سروراً رضيّ البال والحال  
فأما السّير والناقة والمرتبّع الخالي  
فإجلالك أنسانيه يا غاية آمالي

وكنّت قد وقفت في كتاب «الكنايات» على مثل هذه القضية فذكر أن الأول كتب البيتين الأولين وأنّ الثاني كتب الجواب.

كتبتُ إليك والنعلان ما إن أقْلُهما من المشي العنيف  
فإن رمت الجواب إليّ فاكتبْ على العنوان يُوصلُ في الكنيف<sup>(١)</sup>

(١) الكنيف: بيت الخلاء.

### يا قاطعي : لمن نويت بعد أن تصل؟

حدّث أبو هفان قال :

أُهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً وأخرج كل قينة في داره واصطبَح<sup>(١)</sup>، فكان جميع من حضره من جواريه المغنيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر. واتّصل الخبر بأمّ جعفر فعُلّظ عليها ذلك، فأرسلت إلى عُلّية بنت المهدي تشكو إليها.

فأرسلت إليها عُلّية : لا يهولنك هذا، فوالله لأردنّه إليك، قد عزمّت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارِيّ، فلا تبقى عندك جارية إلّا بعثت بها إليّ وألبسيهنّ ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جوارِيّ. ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به عُلّية.

فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلّا وعُلّية قد خرجت عليه من حُجرتها، وأمّ جعفر من حُجرتها معها زهاء ألفي جارية من جوارِيها وسائر جوارِي القصر عليهنّ غرائب اللباس، وكلّهنّ في لحنٍ واحدٍ هزجٍ صنعته عُلّية.

منفصلٌ عني وما قلبي عنه منفصل  
يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل أمّ جعفر وعُلّية وهو على غاية السرور، وقال : لم أرَ كالـيوم قطّ. يا مسرور لا تُبقيْن في بيت المال درهماً إلّا نثرته. فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستة آلاف درهم. وما سُمع بمثل ذلك اليوم قطّ.

\*

(١) اصطبَح : شرب شراب الصباح.



### مكرمة أحمد بن أبي دؤاد

حدث علي بن عيسى قال: حدثني عبد الله بن سليمان قال: كنت وأبو العباس أحمد بن الخطيب مع خلق كثير من العمال والكتّاب وأصحاب الدواوين في الترسيم<sup>(١)</sup> مع محمد بن عبد الملك الزيّات وكان وزير الواثق بالله. وكان ابن الزيّات يطالبنا ببقايا ومحاسبات ونحن في أعظم ما يكون من المصادرات والشدة. قال: فمرض الواثق بالله، واشتد مرضه وحجب ستة أيام عن الناس، فدخل عليه أحمد بن أبي دؤاد يعودده وكان قاضي القضاة. فقال له الواثق بالله: يا أبا عبد الله ذهبت مني الدنيا والآخرة وقد أيقنت بالموت، فهل عندك من خير تدلّني عليه؟ فقال له أحمد: يا أمير المؤمنين إن وزيرك ابن الزيّات قد غرّك في جماعة من الكتاب وأصحاب الدواوين، وقد ملأ بهم الحبوس، وأنكاهم بالمصادرة، ولم يحصل لأمر المؤمنين على طائل. وهم خلق وراءهم ألف يد ترفع إلى الله عزّ وجلّ بالدعاء على أمير المؤمنين فيأمر أمير المؤمنين بإطلاقهم لترفع تلك الأيدي بالدعاء لأمر المؤمنين فلعلّ الله سبحانه وتعالى أن يهب لك العافية، فإنك محتاج في هذا الوقت إلى أن تقلّ خصومته عند الله تعالى. فقال الواثق بالله: إن هذا لنعم الرأي! وقّع لهم يا أبا عبد الله بإطلاقهم والفلّ عنهم.

فقال أحمد: يا أمير المؤمنين إن رأى خطي الوزير عاند وتغافل ولجّ عليهم، ولكن يغنم أمير المؤمنين الأجر والثواب، ويحمل على نفسه المضض ويشد ويوقع لهم بخطه.

ففعّل الواثق ما أشار إليه أحمد ووقع لهم بخطه - وهو يضطرب - إلى ابن الزيّات: «اطلق كل من في السجن من غير مراجعة ولا مرادة في ذلك». ودفع التوقيع إلى رجل من خاصته، وسير معه جماعة إلى ابن الزيّات من مماليكه وأمرهم

(١) الترسيم: مصلحة صك النقود والأختام.

أن يأخذوا بامثال الأمر عاجلاً، ويمنعونه من الحضور بين يدي الواثق بالله قبل إطلاقهم.

فتوجهوا إلى ابن الزيات بالتوقيع فوجدوه راكباً يريد دار الواثق بالله، فمنعوه ومسكوا بغلته فارتاع لذلك، وظن أن الحادثة وقعت به فنزل عن دابته وجلس على غاشيته وقال: مَنْ تحدّث في أمرهم مع أمير المؤمنين؟؟

قالوا: أحمد، قاضي القضاة.

قال: إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أجمع المال للأجناد؟ حتى أراجع أمير المؤمنين.

قالوا: لا سبيل إلى ذلك.

ثم إنهم لم يدعوه حتى أطلق الجميع.

قال عبيد الله وأحمد: فلما دخل علينا الحاجب السجن أيسنا من أنفسنا.

فقال: البشارة، فإن أمير المؤمنين أطلقكم أجمعين، وحكى لنا السبب وما فعل القاضي أحمد بن أبي دؤاد معنا. فخرجنا من السجن ووقفنا لأحد في الطريق التي يمرّ فيها. فلما رأيناه دعونا له وشكرناه فكره ذلك منا وأراد أن ينزل عن دابته فمنعناه، وجعل يخبرنا بالخبر ونحن ندعوه وهو يستصغر فعله ويقول: هذا بعض ما يجب لكم علينا. وستعلمون ما أفعل وقت عودي إلى أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى.

ثم انه رجع إلى الواثق بالله عشية النهار فوجده قد خفّ من مرضه وأكل الخبز فلما رآه الواثق بالله قال: هذا بركة رأيك يا أبا عبد الله.

فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن الأيدي التي كانت تدعو عليك صارت تدعو لك، ويدعو لك خلق كثير من رعيتك بسببهم، ولكنه قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة، لا فرش ولا كسوة، ولا دواب وأمير المؤمنين إن رغب أن يستكمل الأجر ويستديم نعمة الله تعالى عليه فيكمل نعمته عليهم.

قال: بماذا؟

قال: بالذي في خزائنك من آثارهم، وفي إصطبلاتك من دوابهم، وفي قصرك من جوارهم. فإن أمرت برّد ذلك عليهم، وتفرج لهم عن ضياعهم ليعيشوا وتقوى العافية ويتضاعف الدعاء.

فوقع لهم بذلك.

قال: فأخذنا جميع ما كان أخذ لنا.  
ومات الواثق بالله بعد ذلك بثلاثة أيام، وبقيت هذه المكرمة مؤرخة لأحمد بن  
أبي دؤاد.

١٣٢

### أنت في غيره دون سائر أهله

قال محمد بن عطية العطوي الشاعر:  
كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم، فوافق إسحاق بن إبراهيم الموصلي،  
وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه، فأحسن وقاس  
واحتج، وتكلم في الشعر واللغة، ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال  
له: أعز الله القاضي! أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن؟  
قال: لا،  
قال: فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر  
الناس عليه؟ يعني الغناء،  
قال العطوي: فالتفت إلي القاضي يحيى وقال لي: الجواب في هذا عليك. وكان  
العطوي من أهل الجدل. فقال للقاضي يحيى: نعم، أعز الله القاضي! الجواب علي.  
ثم أقبل على إسحاق فقال: يا أبا محمد، أنت كالقراء والأخفش في النحو؟  
فقال: لا.  
فقال: فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي وأبي عبيدة؟ قال: لا.  
قال: فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي؟ قال: لا.  
قال: فأنت في الفقه كالقاضي؟ وأشار إلى القاضي يحيى، قال: لا.  
قال: فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس؟ قال: لا.  
قال: فمن ههنا نسبت إلى ما نسبت إليه لأنه لا نظير لك فيه، وأنت في غيره  
دون رؤساء أهله.  
فضحك وقام وانصرف. فقال القاضي يحيى للعطوي: لقد وفيت الحجة حقها،  
وفيها ظلم قليل لإسحاق، وإنه ممن يقل في الزمان نظيره.

### يشكو تلون أهل وده

أسامة بن منقذ شاعر معروف، له أبيات رقيقة أرسلها لوالده رداً على أبيات منه وهي:

وما أشكو تلون أهل ودي	ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويثست منهم	فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم فؤادي	كظمت على أذاهم وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا	كأنني ما سمعت وما رأيت
تجننوا لي ذنوباً ما جنتها	يداي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرأ	كما قد أظهره ولا نويت
ويوم الحشر موعدنا وتبدو	صحيفة ما جنوة وما جنيث

وقال عندما قلع ضرسه - وهو معنى غريب يصلح أن يكون لغزاً في الضرس:

وصاحب لا أمل الدهر صحبته	يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا	لناظري افترقنا فرقة الأبد

### يا هذا، دعائي غير مُستجاب

روى أهل العراق أن أبا بكر أزهر بن سعد السمان كان يصحب أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جاءه أزهر مهنتاً، فحجبه المنصور فترصد له يوم جلوسه العام وسلم عليه، فقال له المنصور:

ما جاء بك؟

قال: جئت مهنتاً بالأمر.

فقال المنصور: أعطوه ألف دينار وقولوا له: قد قضيت وظيفة العيادة، فلا تعد

إلي.

فمضى وعاد في قابل<sup>(١)</sup>، فحجبه، فدخل عليه في مثل ذلك المجلس وسلم عليه، فقال له:  
 ما جاء بك؟  
 فقال له: سمعت أنك مرضت فجئتك عائداً.  
 فقال: اعطوه ألف دينار وقولوا له: قد قضيت وظيفة العيادة فلا تعد إليّ، فإني قليل الأمراض.  
 فمضى وعاد في قابل، فقال له في مثل ذلك المجلس: ما جاء بك؟  
 فقال: سمعت منك دعاءً مستجاباً فجئت لأتعلّمه منك.  
 فقال له: يا هذا، إنه غير مستجاب، إني في كلّ سنة أدعو الله به أن لا تأتيني وأنت تأتي.  
 وله وقائع وحكايات مشهورة.

١٣٥

### اتَّقَتْهُ مِنْ دَمٍ بَدَمٍ

حكى الشيخ أبو علي الفارسي النحوي قال:  
 دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد إليه الخادم فسأره بسرّ استبشر له، ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك لأنس كان بينهما، فقال له:  
 كانت تختلف إلينا جارية لإحدى القينات فسُمّتها أن تبيعني إياها، فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضعف لها ثمنها. فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لافتضااضها فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه، وكتب:

فارسٌ ماضٍ بحربتهِ حاذقٌ بالطعن في الظلمِ  
 رامٌ أن يُدمي فريستهِ فاتَّقَتْهُ مِنْ دَمٍ بَدَمٍ

(١) قابل: أي في العام القادم.

## الخفاف بدل الجعاب

قالوا:

كان بالدينور شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه ويدرسون عنده، يُقال له بشر الجعاب، فرفع صاحب الخبر بالدينور إلى المتوكل أن بالدينور رجلاً رافضياً يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبّون الصحابة ويشتمون السلف، فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسها، فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك فلما وصل إلى العامل كتابه - وكان صديقاً لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه - همّه ذلك وشقّ عليه فاستدعى بشراً وأقرأه ما كُتِبَ به في أمره وأمر أصحابه، فقال له بشر: عندي من هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبظاً فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف عليّ منه، قال: وما هو؟ قال:

بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ومن الممكن المتيسّر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة. فسّر العامل بقوله وعمد إلى حرف العين من «الجعاب» فغيّر عينها وغيّر استواء خطّها وانبساطه ووصل الباء بما صارت به فاء، فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة وأنه هزأة عند أهل بلده وضحكة، وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة<sup>(١)</sup> ويعدونّه بأثمائها عند حصول الغلة، فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ما طلوه بدينه ولووه بحقه واعتلّوا بأنواع الباطل عليه، فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها، وافوا بشراً هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدونه الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة، فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم إليهم ويستأنف إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يريدونه، فإذا خضرت

(١) النسيئة: التأجيل.

الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة .  
ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعة في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه  
في إبان غلاتهم فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته .

فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه  
بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكناً . . . فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم  
عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم  
فيما حُكي عنهم ، وأمر فعلق بينه وبينهم سبيبة ليقف على ما يجري ويسمعه  
ويشاهده ، ففعل ذلك .

وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف ، فلما  
جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له : أنت بشر الخفاف ؟  
فقال : نعم .

فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه  
المغالطة ، فقال له : إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكروه وأمر بالكشف عنه  
وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته .

فقال له بشر : نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به ؟  
قال : بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع إليك قوم فيخوضون معك في الترفّض وشتم  
الصحابة .

فقال بشر : ما أعرف من هذا شيئاً .  
قال : قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم . فقال : ما تقول في  
السلف ؟

فقال بشر : لعن الله السلف .  
فقال له عبيد الله : ويلك أتدري ما تقول ؟  
قال : نعم لعن الله السلف ، فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله :  
يقول لك أمير المؤمنين : سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه . فقال له : إني  
أسألك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت أمرت بقتلك ، فما تقول الآن في  
السلف ؟ فقال : لعن الله السلف ، قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني

وأهلك عيالي .

قال : وكيف؟

قال : أنا رجل أسلف الأكرة<sup>(١)</sup> وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن، مما يحصل من غلاتهم، فأصير إليهم عند حصول الغلة في بيادهم، فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي مالي، ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إليّ ويحلفون بالله لا يعاودون مطلي وظلمي، فإنهم يؤدون إليّ المتقدّم والمتأخر من مالي، فأجيئهم إلى ما يلتبسونه وأعطيهما ما يطلبونه، فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي، فقد اختلت حالي وافتقرت عيالي .

قال : فسمع ضحك عالٍ من وراء الستارة وخرج الخادم فقال : استحلل هؤلاء القوم وخلّ سبيلهم، فقالوا : يا أمير المؤمنين في حلّ وسعة، فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين : هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر متيقظ لا يكتب إلّا بما يعلمه ويثق بصحته، وينبغي أن يستقصى الفحص عن هذا والنظر فيه، فأمر بردهم، فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض : ليس هذا من ذلك الذي تقدّم، فينبغي أن نتولّى الكلام نحن ونسلك طريق الجّد والديانة، فرجعوا فأمرؤا بالجلوس، ثم أقبل عبيد الله على القوم فقال : إن الذي كتب في أمركم ليس بمن يقدم على الكتب بما لا يقبله علماً ويحيط به خبراً وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وانعام التفتيش عن أمركم، فقالوا : افعل ما أمرت به، فقال : من خير الناس بعد رسول الله (ص)؟

قلنا : علي بن أبي طالب .

فقال الخادم بين يديه : قد سمعت ما قالوا، فأخبر أمير المؤمنين به، فمضى ثم عاد فقال : يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي . قلنا : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقة على مذهبه، ثم قال لهم : ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه؟

فقالوا : رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيراً .

---

(١) الأكرة: الفلاحون .



قلنا: رحمة الله عليه ولا نجبه.

قال : ولم؟

قلنا: لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى.

قال: فسمعنا من وراء الستارة ضحكاً أعلى من الضحك الأول.

ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل: اتبعهم صلة فقد لزمهم في طريقهم مؤونه واصرفه.

فقالوا: نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج، وانصرفوا.

12V 

## انقطع حسّه ومات

قال مؤلف كتاب «وفيات الأعيان»:

قد جرى في زماني شيء يليق أن أحكيه عن «ذي النون» المصري . وذاك أنه كان عندنا بمدينة إربل مغنيّ موصوف بالحذق والإجادة في صنعة الغناء يقال له : الشجاع جبريل بن الأواني ، فحضر سمعاً قبل سنة ٦٢٠ فلإني أذكر الواقعة وأنا صغير ، وأهلي وغيرهم يتحدثون بها في وقتها . فغنى الشجاع المذكور القصيدة الطنانة البديعة التي لسبط ابن التعاويذي وأولها<sup>(١)</sup> .

سَقَاكَ سَارٍ مِنْ الْوَسْمِيِّ<sup>(٢)</sup> هَتَانُ      وَلَا رَقَتْ<sup>(٣)</sup> لِلْغَوَادِي فِيكَ أَجْفَانُ  
إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ مِنْهَا:

ولي إلى البان من رمل الحمى وَطَرُ فاليوم لا الرَّمْل يُصَيِّنِي ولا البانُ<sup>(٤)</sup>

(١) راجع: «ديوان سبط بن التعاويذي»، ص ٤١٢.

(٢) الوسمي : مطر الربيع الأول.

(۳) رقت العیون: هدأ دمعها.

(٤) البان: نوع من الشجر. والوطر: الحاجة.

وما عسى يدرك المشتاق من وَطَرٍ  
كانوا معاني المغاني والمنازلُ أُمُورُ  
لله كم قمرت لُبِّي بجوِّك أقمار،  
وليلة بات يجلو الراح من يده  
خالٍ من الهمِّ في خلخاله حرجُ  
يذكي الجوى بارد من ثغره شُبْمُ  
إن يُمسِ رِيَّان من ماء الشباب فلي  
بين السيوف وعينيهِ مُشَارَكَةُ  
إذا بكى الربع والأحباب قد بانوا  
ات إذا لم يكن فيهنَّ سَكَّانُ<sup>(١)</sup>  
وكم غازلتني فيك غزلانُ<sup>(٢)</sup>  
فيها أغنَّ خفيف الروح جَذْلانُ  
فقلبه فارغ والقلب ملآنُ  
ويوقظ الوجد طرفٌ منه وِسْآنُ  
قلبٌ إلى ريقه المعسول ظمآنُ  
من أجلها قيل للأغمار أجفانُ

فلما انتهى إلى هذا البيت قام بعض الحاضرين وقال له: يا شجاع، أعذ ما قلته، فأعاده مرّتين أو ثلاثاً وذو النون الشيخ الصالح متواجد، ثم صرخ صرخة هائلة ووقع. فظنّوه قد أغمي عليه، فافتقدوه بعد أن انقطع حسّه فوجدوه قد مات.

## ١٣٨

### المقنّع الخراساني

المقنّع الخراساني، اسمه عطاء، ولا يعرف اسم أبيه وقيل اسمه حكيم والأول أشهر.

كان قصاراً من أهل مرو وكان يعرف شيئاً من السحر والنجرات<sup>(٣)</sup> فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن الله سبحانه وتعالى تحوّل إلى صورة آدم، ولذلك قال للملائكة: اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس فاستحقّ بذلك السخط، ثم تحوّل من آدم إلى صورة نوح عليه السلام، ثم إلى صورة واحدٍ فواحدٍ من الأنبياء عليهم السلام والحكماء حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني.

(١) المغاني: المنازل.

(٢) قمرت: غلبت.

(٣) النجرات: ما يشبه السحر.

ثم زعم أنه انتقل إليه منه فقبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه، مع ما عاينوا من عظيم ادعائه وقبح صورته، لأنه كان مشوّه الخلق أعور أكن قصيراً، وكان لا يُسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنّع به فلذلك قيل له «المقنّع».

وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات. وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب، فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله<sup>(١)</sup>:

أفق إنما البدر المقنّع رأسه ضلال وغيّ مثل بدر المقنّع

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر في جملة قصيدة طويلة بقوله<sup>(٢)</sup>:

إليك فما بدر المقنّع طالعاً بأسحر من ألحاظ بدر المعتم

ولما اشتهر أمر المقنّع وانتشر ذكره ثار عليه الناس، وقصدوه في قلعتهم التي اعتصم بها وحصروه، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتنّ منه، ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعتهم فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في سنة ١٦٣ هـ.

## ١٣٩

### أبو الحسن العسكري

هو أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن عليّ الرضا ويعرف بالعسكري، وهو أحد الأئمة الإثني عشر عند الإمامية. كان قد سعي به إلى المتوكل، وقيل إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوجّه إليه بعدة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة<sup>(٣)</sup> من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنم

(١) راجع: «شروط السقط»، ١٥٤٤.

(٢) ديوانه، ص ٦٩٨.

(٣) المدرعة: الثوب، وقيل جبة مشفوقة المقدم.

بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وُجد عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حالة يُتعلّق عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قطّ فأعفني منه، فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للشعر. قال: لا بدّ أن تنشديني فأنشده:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم      عُلّب الرجال فما أغتتهم القُلل<sup>(١)</sup>  
واستزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم      فأودعوا حفراً يا بشس ما نزلوا  
ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا      أين الأسرّة والتيجان والحُلل<sup>(٢)</sup>  
أين الوجوه التي كانت منعمةً      من دونها تُضرب الأستار والكلل<sup>(٣)</sup>  
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم      تلك الوجوه عليها الدود يفتّيل<sup>(٤)</sup>  
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا      فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال: فأشفق من حضر على عليّ وظنّ أن بادرة تبدر إليه. فبكى المتوكل بكاءً كثيراً حتى بَلَّت دموعه لحيته وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب ثم قال: يا أبا الحسن، أعليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرماً.

١٤٠

### الكسائي

الكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر، وكان يؤدّب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب، ولم

(١) قُلل الجبال: أعلاها. وراجع: «البصائر والذخائر»، ٤: ٢٢٣.

(٢) الكلل: جمع كلة، وهي بيت صغير يزِين وتكون فيه العروس.

يكن له زوجة ولا جارية، فكتب إلى الرشيد يشكو العزبة في هذه الأبيات:

قُلْ للخليفة ما تقول لمن      أمسى إليك بحرمة يُدلي  
ما زلت مذ صار الأمين معي      عبدي يدي ومطيتي رجلي  
وعلى فراشي من ينبّهني      من نومي وقيامه قبلي  
أسعى برجلٍ منه ثالثة      موفورة مني بلا رجلي  
وإذا ركبْتُ أكون مرتدفاً      قدّام سرجي راكب مثلي  
فامنن عليّ بما يسكنه      عني وأهد الغمد للنصل

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء بجميع آلاتها وخادم وبرذون بجميع آلتها.

١٤١

### إرادة الله أقوى

ذكر الحميدي في كتاب «حذوة المقتبس»<sup>(١)</sup> قال:

كان الوزير أبو عمر أحمد والد ابن حزم جالساً بين يدي مخدمه المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالسه العامة، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور اعتقله حنقاً عليه لجرم استعظمه منه، فلما قرأها اشتد غضبه وقال: ذكّرتني والله به، وأخذ القلم وأراد أن يكتب: يُصلب، فكتب: يُطلق. ورمى الورقة إلى وزيره المذكور، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة، فقال له المنصور: ما هذا الذي تكتب؟ قال: بإطلاق فلان، فحرد وقال: من أمر بهذا؟

فناوله التوقيع، فلما رآه قال: وهمت والله، ليصلبن، ثم خط على التوقيع، وأراد أن يكتب «يُصلب» فكتب «يطلق». فأخذ الوزير الورقة، وأراد أن يكتب إلى الوالي بالاطلاق، فنظر إليه المنصور وغضب أشد من الأول وقال: من أمر بهذا؟

(١) راجع: «الجنوة»، ص ١١٨.

فناولته التوقيع، فرأى خطّه، فخطّ عليه، وأراد أن يكتب «يُصلب» فكتب «يطلق». وأخذ الوزير التوقيع وشرع في الكتابة إلى الوالي، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المرّتين الأوليين، فأراه خطّه بالإطلاق، فلما رآه عجب من ذلك، وقال: نعم يُطلق على رغمي، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه.

١٤٢

### نعرف من عفا عن عمّه

كان لابن حزم الظاهري محمد بن أحمد... ولد نبيه سريّ فاضل يقال له أبو رافع الفضل بن أبي محمد علي، وكان في خدمة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس، وكان المعتمد قد غضب على عمّه أبي طالب عبد الجبار بن محمد بن إسماعيل بن عباد وهمّ بقتله لأمر رابه منه، فاستحضر وزراءه وقال لهم: من يعرف منكم من الخلفاء أو ملوك الطوائف من قتل عمّه عندما همّ بالقيام عليه؟

فتقدّم أبو رافع المذكور وقال: ما نعرف أيّدك الله إلّا من عفا عن عمّه بعد قيامه عليه، وهو إبراهيم بن عمّ المأمون من بني العباس، فقبله المعتمد بين عينيه وشكره، ثم أحضر وبسطه وأحسن إليه.

١٤٣

### العكوك الذي أخرجوا لسانه من قفاه

العكوك، هو علي بن جبلة الشاعر المشهور، وُلد أعمى وله في أبي دُلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غرّ المدائح، فمن قصائده الفائقة في أبي دُلف القصيدة التي أولها:

ذاد ورّد الغي عن صدره فارعوى واللهو من وطّره  
يقول في مدحها:

إنما الدنيا أبو دُلف بين مغزاه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره  
ومنها:

كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضرة  
مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخرة

وهي طويلة عددها ثمانية وخمسون بيتاً، ولولا خوف الإطالة لأثبتها كلها لأجل  
حسنها. ولقد سئل شرف الدين بن عنين وكان بأخبار الناس بنقد الشعر، عن هذه  
القصيدة وقصيدة أبي نواس الموازنة لها التي أولها:

أيها المنتاب من عُفْرة لست من ليلي ولا سَمرة

وهي من نواذر الشعر أيضاً، فلم يفضل إحداها على الأخرى، وقال: ما  
يصلح أن يفاضل بين هاتين إلا شخص يكون في درجة هذين الشاعرين.

ويحكي أن العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لأبي دلف بهذه  
القصيدة فقال له حميد: ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف:  
إنما الدنيا أبو دلف... وأنشد البيتين، فقال: أصلح الله الأمير، قد قلت فيك ما  
هو أحسن من هذا، قال: وما هو؟ فأنشد:

إنما الدنيا حميد وأديابه الجسم  
فإذا ولي حميد فعلى الدنيا السلام

قال: فتبسّم ولم يجر جواباً، فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم  
بالشعر أن هذا أحسن مما قاله في أبي دلف، فأعطاه وأحسن جائزته.

وحكي أنه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها، وتوسل بحميد الطوسي في إيصالها  
إليه، فقال له المأمون: خير بين أن نجمع بين قوله هذا وبين قوله فيك وفي أبي  
دلف، فإن وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف، وإلا ضربناه مائة سوط،  
فخيره حميد فاختر الإعفاء.

وقال ابن المعتز في «طبقات الشعراء»<sup>(١)</sup>: ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة

(١) راجع: «طبقات ابن المعتز»، ص ١٧٢. وفي الرواية بعض الاختلاف.

غضب غضباً شديداً وقال: اطلبوه حيثما كان واثنوني به، فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيماً بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق أن يؤخذ حيث كان، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات، فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون، فلما صار بين يديه قال له: يا ابن اللخناء<sup>(١)</sup>، أنت القاتل في قصيدتك للقاسم بن عيسى، وهو أبو دلف:

كلّ من في الأرض من عرب...

وأنشد البيتين، جعلتنا ممّن يستعير المكارم منه والافتخار به، قال: يا أمير المؤمنين: أنتم أهل بيت لا يُقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكاً عظيماً، وإنما ذهبت في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس، فقال: والله ما أبقيت أحداً، ولقد أدخلتنا في الكل، وما استحلّ دمك بكلمتك هذه، ولكنّي أستحلّه بكفرك في شعرك حيث قلت في عبدٍ ذليلٍ مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكاً قادراً، وهو:

أنت الذي تُنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال  
وما مددت مدى طرف إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ  
ذاك الله عزّ وجلّ يفعلُه، أخرجوا لسانه من قفاه. فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك في سنة ٢١٣ هـ في بغداد.

١٤٤

### تطير ابن الرومي

رووا من ألوان وسأوسه أنه كان ربما لزم بيته ثلاثة أيام لا يخرج منه، وقد حدثت زوجته مرة أن باب بيتهم مقفل من ثلاثة أيام وذلك أن ابن الرومي، كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ثم يصير إلى الباب والمفتاح معه فيضع عينه على ثقب في خشب الباب فتقع عينه على جارٍ له وكان أحذب، فاذا نظر ابن الرومي ورآه تشاءم

(١) اللخناء: المتنّة.



وتطير ورجع فخلع ثيابه ومنع أحداً من فتح الباب.  
وروا أن بعض أصحابه افتقده فأرسل إليه خادمه واسمه إقبال، لعلمه أن ابن الرومي يتطير بالأسماء. فلما سمع ابن الرومي اسم هذا الخادم تشاءم بدلاً من أن يتفاءل وسبب تشاؤمه أنه قلب الاسم فأصبح: لا بقاء.  
وروا أن بعض أصحابه أرسل إليه يوماً بغلام اسمه: حسن. فلما طرق عليه الباب قال: من؟ أجاب الغلام: حسن. فتفاءل ابن الرومي وخرج وإذا على باب داره حانوت خياط مقفل وعلى بابه درفتان كهيئة اللام ألف «لا» وتحت الباب نوى تمر فتطير ابن الرومي إذ فسّر المشهد بأنه يعني: لا تمر ورجع ولم يذهب.  
وروا أيضاً أن أصحابه كانوا يعابشونه فكان أحدهم يقرع عليه الباب في الصباح، فاذا سأل ابن الرومي من الطارق، أجابه: مرة بن حنظلة، أو الشيطان، أو الموت أو غير ذلك من الأسماء التي يتطير بذكرها فيحبس نفسه في بيته ولا يخرج طيلة يومه.

### ما طريقه على النار

قيل: إن سبب موت ابن الرومي الشاعر المشهور أن الوزير أبا الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفتلات لسانه بالفحش، فدرس عليه ابن فراس، فأطعمه خشكناجة<sup>(١)</sup> مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها ابن الرومي أحسّ بالسّم فقام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثني إليه، فقال له: سلّم على والدي، فقال: ما طريقي على النار، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياماً ومات.



(١) خشكناجة: نوع من الفطير.

### قواتل الأحداق

حكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد بن داود الظاهري قال:

فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة، فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل عليّ بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وإذا في الرقعة:

يا ابن داود يا فقيه العراق أفينا في قواتل الأحداق  
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق  
وإذا الجواب:

كيف يفتيكم قتيل صريح بسهام الفراق والإشتياق  
وقتيل التلاق أحسن حالاً عند داود من قتيل الفراق

### العادل الجائر

كان علي بن السلار، المنعوت بالملك العادل سيف الدين شهماً مقدماً مائلاً إلى أرباب الفضل والصلاح، وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائرة وسطوة قاطعة يؤاخذ الناس بالصغائر والمحقرات.

ومما يحكى عنه أنه قبل وزارته بزمان وهو يومئذ من أفراد الأجناد، دخل يوماً على الموقف أبي الكرم ابن معصوم التنيسي، وكان يتولّى الديوان، فشكا إليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفريطه في شيء من لوازم الولاية بالغريبة. فلما أطال عليه الكلام قال له أبو الكرم: والله إن كلامك ما يدخل في أذني، فحقد عليه.

فلما ترقى إلى درجة الوزارة طلبه، فخاف منه واستمر مدة، فنادى عليه في البلد، وأهدر دم من يخفيه، فأخرجه الذي خبأه عنده، فخرج في زي امرأة بإزار وحفّ، فعرف فأخذ وحمل إلى العادل، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل وأمر

به فألقي على جنبه وطُرح اللوح تحت أذنه، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى،  
وصار كلما صرخ يقول له: دخل كلامي في أذنك بعد أم لا؟  
ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح، ثم عطف المسمار على  
اللوحة. ويقال: إنه شنقه بعد ذلك.

١٤٨

### الجاحظ ومحمد بن ابراهيم

من أخبار الجاحظ أنه قال:  
ذُكِرْتُ للمتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رأي استشيع منظري فأمر لي بعشرة  
آلاف درهم وصرفني، فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد  
الإنصراف إلى مدينة السلام<sup>(١)</sup>، فعرض عليّ الخروج معه والإنحدار في حرّاقته<sup>(٢)</sup> وكنا  
بسرّ من رأي<sup>(٣)</sup>، فركبنا في الحرّاقة، فلما انتهينا إلى فم نهر القاطول نصب ستارة وأمر  
بالغناء، فاندفعت عوادة فغنت:

كلّ يومٍ قطيعةً وعتابٌ      ينقضي دهرنا ونحن غضابٌ  
ليت شعري أنا خُصصت بهذا      دون ذا الخلق أم كذا الأحباب  
وسكنت فأمر الطنبورية فغنت:

وارحنا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا  
كم يُجرون ويُصرمو نَ وَيُقَطعون فيصبرونا

قال: فقالت لها العوادة: فيصنعون ماذا؟ قالت: هكذا يصنعون، وضربت  
بيدها إلى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر، فألقت نفسها في الماء، وعلى رأس  
محمد غلام يضاهيها في الجمال، وييده مدبّة، فألقى الموضع ونظر إليها وهي تمرّ بين

(١) مدينة السلام: بغداد.

(٢) الحرّاقة: سفينة فيها مضارب نيران العدو.

(٣) سرّ من رأي: أي سامراء.

الماء، وأنشد:

أنت التي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا  
وألقي نفسه في أثرها فأدار الملاح الحراقة فإذا بهما معتقان ثم غاصا فلم يريا،  
فاستعظم محمد ذلك وهاله أمره ثم قال: يا عمرو، لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل  
هذين وإلا ألحقتك بهما، قال: فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك، وقد قعد  
للمظالم يوماً وعُرضت عليه القصص، فمرت به قصة فيها:  
«إن رأى أمير المؤمنين أن يُخرج إليّ جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات  
فعل»، فاعتاظ يزيد من ذلك، وأمر من يخرج إليه ويأتيه برأسه، ثم أتبع الرسول  
برسول آخره يأمره أن يدخل إليه الرجل، فأدخله، فلما وقف بين يديه قال له: ما  
الذي حملك على ما صنعت؟

قال: الثقة بحلمك والإتكال على عفوك، فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من  
بني أمية إلا خرج، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها، فقال لها الفتى غني:  
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل وإن كنت قد ازمت صرمي فأجيلي  
فغنته، فقال له يزيد: قل، فقال: غني:

تألّق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إنّي عنك مشغول  
فغنته، فقال له يزيد: قل: قال: تأمر لي برطل شراب، فأمر له، فما استتمّ  
شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات.  
فقال يزيد: إنا لله وإنا إليه راجعون، أترأه الأحق الجاهل ظن أني أخرج إليه  
جاريتي وأردها إلى ملكي. يا غلمان خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له أهل،  
وإلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه.

فانطلقوا بها إلى أهله، فلما توسطت الدار نظرت إلى حفيرة في وسط دار يزيد  
قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت:

من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير في عشقي بلا موت  
وألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت. فسُرّي عن محمد وأجزل صلتي.

### خلع له يده وتحير في أمره

حكى بعض فقهاء العجم أنه كان في صحبة السهروردي<sup>(١)</sup> وقد خرجوا من دمشق. قال: فلما وصلنا إلى القابون، القرية التي على باب دمشق في طريق من يتوجّه إلى حلب، لقينا قطيع غنم مع تركماني. فقلنا للشيخ: يا مولانا نريد من هذه الغنم رأساً نأكله.

فقال: معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم. وكان هناك تركماني فاشترينا منه رأساً بها، ومشينا قليلاً فلحقنا رفيق له وقال: ردّوا هذا الرأس، خذوا أصغر منه، فإن هذا ما عرف يبيعكم، يساوي هذا الرأس أكثر من ذلك، وتناولنا نحن وإياه، فلما عرف الشيخ ذلك قال لنا: خذوا الرأس وامشوا وأنا أقف معه وأرضيه، فتقدمنا نحن، وبقي الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه، فلما أبعدنا قليلاً تركه وتبعنا، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت إليه، فلمّا لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسرى وقال: أين تروح وتخليني؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من كتفه وبقيت في يد التركماني ودمها يجري. فبهت التركماني وتحير في أمره، فرمى اليد وخاف، فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا.

وبقي التركماني راجعاً وهو يلتفت إليه حتى غاب عنه.

ولما وصل الشيخ إلينا رأينا في يده اليمنى منديلاً لا غير.

قلت: ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة، والله أعلم بصحتها.

### أمر للجند وللكتاب معاً

قال أحمد بن يوسف الكاتب:

دخلت على المأمون وهو يمسك كتاباً بيده، وقد أطل النظر فيه زماناً وأنا ملتفت

(١) السهروردي: اسمه أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين السهروردي الحكيم المقتول بحلب، وقيل اسمه أحمد وقيل كنيته اسمه.

إليه، فقال: يا أحمد، أراك مفكراً فيما تراه مني. قلت: نعم، وقى الله أمير المؤمنين من المكارة وأعاده من المخاوف.

قال: فإنه لا مكروه فيه، ولكنني قرأت كلاماً وجدته نظير ما سمعته من الرشيد يقوله في البلاغة. كان يقول: البلاغة التباعد عن الإطالة، والتقرب من معنى البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على المبالغة في هذا المعنى، حتى قرأت هذا الكتاب، ورمى به إليّ وقال: هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إليه.

قال: فقرأته فإذا فيه: «كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وبائثر أجناده في الإنقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم، واختلت لذلك أحوالهم، والتأثت معه أمورهم». فلما قرأته قال: إن استحساني إياه بعثني على أن أمرت للجند قبله بعطائهم لسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته.

### من عجائب الاتفاقات

يُقال: أشأم من طويس المغني. وطويس هو عيسى بن عبد الله يضرب به المثل في الشؤم لأنه ولد في اليوم الذي مات فيه رسول الله (ص) وفطم في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخُتِن في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل بل بلغ الحلم في ذلك اليوم. وتزوج في اليوم الذي قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووُلد له مولود في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل بل في يوم مات فيه الحسن بن علي، رضي الله عنهما، فلذلك تشاءموا به. وهذا من عجائب الاتفاقات.



### اسمه غازي

يُحكى عن غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب الملك الظاهر أنه كان ملكاً مهيباً حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك.

ويُحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة: منها أنه جلس يوماً لعرض العسكر، وديوان الجيش بين يديه، فكان كلما حضر واحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه ليزكوه وينزلوه، حتى حضر واحد فسأله عن اسمه فقَبِل الأرض، فلم يفتن أحد من أرباب الديوان لما أراد، فعاودوا سؤاله، فقال الملك الظاهر: اسمه غازي، وكان كذلك، وتأذّب الجندي أن يذكر اسمه لما كان موافقاً لاسم السلطان، وعرف هو مقصوده.

### تذوق الموت قبل أن تذوقه

قال ابن قتيبة في كتاب «طبقات الشعراء»: قال أبو ضرار الغنوي: رأيت مئة المنقرية وإذا معها بنون لها فقلت: صفها لي، قال: مسنونة الوجه طويلة الحذّ شتاء الأنف، عليها وسم جمال. قلت: أكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة؟ قال: نعم.

ومكثت مئة زماناً تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه، فجعلت لله تعالى عليها أن تنحر بَدَنَةً<sup>(١)</sup> يوم تراه، فلما رآته رأت رجلاً دميماً أسود، وكانت من أهل الجمال، فقالت: واسوأته، وابؤساه، فقال ذو الرمة:

على وجه ميّ مسحّة من مَلاحيةٍ      وتحت الثياب العار لو كان باديا

(١) البدنة: واحدة من الضأن.

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافياً  
فواضيعة الشعر الذي لجّ فانقضى بميّ ولم أملك ضلال فؤاديا  
ويروى أن ذا الرمة لم ير مية قط إلا في برقع، فأحب أن ينظر إلى وجهها فقال:  
جزى الله البراقع من ثياب عن الفتيان شراً ما بقينا  
يوارين الملاح فلا نراها ويخفين القباح فيزدهينا  
فنزعت البرقع عن وجهها، وكانت باهرة الحسن، فلما رآها مسفرة قال:

على وجه ميّ مسحة من ملاحية...

البيت المقدم، فنزعت ثيابها وقامت عريانة، فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه

البيت المذكور، فقالت له: أتحب أن تذوق طعمه؟

قال: إي والله.

فقالت له: تذوق الموت قبل أن تذوقه، والله أعلم.

## ١٥٤

### يحيى البرمكي وابنه الفضل

كان هارون الرشيد قد جعل ولده محمداً في حجر الفضل بن يحيى البرمكي،  
والمأمون في حجر جعفر البرمكي، فاختص كل واحد منهما بمن في حجره.  
ثم إن الرشيد قلّد الفضل بعمل خراسان، فتوجّه إليها وأقام بها مدة، فوصل  
كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه ومضمون  
الكتاب: أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور  
الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى، وقال له: يا أبت - وكان يدعوه هكذا -  
اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عن هذا، فكتب يحيى على ظهر كتاب  
صاحب البريد:

«حفظك الله يا بني وامتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من



التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعادوا ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به، والسلام». وكتب في أسفله هذه الأبيات:

انصَبَ نهاراً في طَلابِ العُلا      واصْبِرْ على فقد لقاء الحبيبِ  
حتى إذ الليل أتى مقبلاً      واستترت فيه وجوه العيوبِ  
فكابد الليل بما تشتهي      فإنما الليل نهار الأريبِ  
كم من فتى تحسبه ناسكاً      يستقبل الليل بأمر عجبِ  
غطى عليه الليل أستاره      فبات في لهو وعيشٍ خصيبِ  
ولذة الأحمق مكشوفةً      يسعى بها كلُّ عدو رقيبِ

وكان الرشيد ينظر إلى ما يكتب، فلما فرغ قال: أبلغت يا أبت. فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً إلى أن انصرف من عمله<sup>(١)</sup>.

❖❖❖ ١٥٥ ❖❖❖

### تعلّم من عمارة الكرم والتّيه

قيل للفضل بن يحيى:

ما أحسن كرمك لولا تيّه فيك.

فقال: تعلّمتُ الكرم والتّيه من عمارة بن حمزة.

ف قيل له: وكيف ذلك؟

فقال: كان أبي عاملاً على بعض كُور بلاد فارس، فانكسرت عليه جملة مستكثرة، فحُمِلَ إلى بغداد وطولب بالمال، فدفع جميع ما يملكه، وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهاً، والطلب عليه حثيث، فبقي حائراً في أمره، وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو، فقال لي يوماً وأنا صبي: امضِ إلى عمارة وسلّم عليه عني وعرفه الضرورة

(١) راجع هذه القصة أيضاً في كتاب: «سرور النفس» للتيغاثي، ص ٤٥ - ٨٤٦

التي قد صرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهل الله تعالى باليسرة، فقلت له: أنت تعلم ما بينكما، وكيف أمضي إلى عدوك بهذه الرسالة، وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك؟

فقال: لا بد أن تمضي إليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة. قال الفضل: فلم يمكني معاودته، وخرجت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، حتى أتيت داره واستأذنت في الدخول عليه، فأذن لي، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه متكئاً على مفارش وتيرة وقد غلّف شعر رأسه ولحيته بالمسك، ووجهه إلى الحائط، وكان من شدة تبهه لا يقعد إلا كذلك.

قال الفضل: فوقفت أسفل الإيوان، وسلمت عليه فلم يردّ السلام، فسلمت عليه عن أبي وقصصت عليه القصة، فسكت ساعة ثم قال: حتى ننظر. فخرجت من عنده نادماً على نقل خطاي إليه، موقناً بالحرمان عاتباً على أبي كونه كلّفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه، وعزمت على أن لا أعود إليه غيظاً منه. فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي، فلما وصلت إلى الباب وجدت أبغلاً محمّلة. فقلت: ما هذه؟

فقيل: إن عمارة قد سیر المال، فدخلت على أبي ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كيلاً أكدر عليه إحسانه. فمكثنا قليلاً، وعاد أبي إلى الولاية وحصلت له أموال كثيرة فدفع إليّ ذلك المبلغ وقال: تحمله إليه.

فجئت به ودخلت عليه، فوجدته على الهيئة الأولى، فسلمت عليه فلم يرد، فسلمت عليه عن أبي وشكرت إحسانه وعرفته بوصول المال، فقال لي بحرّد: ويحك أفسطاراً<sup>(١)</sup> كنت لأبيك؟ اخرج عني لا بارك الله فيك، وهولك.

فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله، فقال لي: يا بني، والله ما تسمح نفسي لك بذلك، ولكن خذ ألف ألف درهم واترك لأبيك ألفي ألف درهم، فتعلّمت منه الكرم والتّيه.

وحكى الجهمشياري في «أخبار الوزراء» هذه الحكاية، لكن بين الحكايتين

---

(١) القسطار: الصيرفي.

اختلاف قليل، وذكر أن جملة المال ألف ألف درهم، وكان ذلك في أيام المهدي، وكان يحيى قد ضمن فارس فانكسر عليه المال، وقال المهدي لمن يطالبه بالمال: إن أدى لك المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه، وكان المهدي مغضباً عليه.

### من فضائل الفضل بن يحيى

يُحكى أن الفضل بن يحيى البرمكي دخل عليه حاجبه يوماً فقال له: إن بالباب رجلاً زعم أن له سيباً يمتّ به إليك. فقال: ادخله، فأدخله فإذا هو شاب حسن الوجه رث الهيئة، فسلم، فأومأ إليه بالجلوس فجلس فقال له بعد ساعة: ما حاجتك؟ قال، أعلمتك بها رثانة ملبسي. قال: نعم، فما الذي تمتّ به إليّ؟ قال: ولادة تقرب من ولادتك، وجوارٍ يدنو من جوارك، واسم مشتق من اسمك.

قال الفضل: أمّا الجوار فيمكن، وقد يوافق الاسم الاسم، ولكن من أعلمك بالولادة؟

قال: أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها: قد ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل، فسَمّيتني أمي فضيلاً إكباراً لإسمك أن تلحقني به، وصغرت له لقصور قدرتي عن قدرك، فتبسّم الفضل وقال له: كم أتى عليك من السنين؟ قال: خمس وثلاثون سنة.

قال: صدقت، هذا المقدار الذي أعدّ.

قال: فما فعلت أمك؟

قال: ماتت.

قال: فما منعك من اللحاق بنا متقدماً؟

قال: لم أرض نفسي للقائك، لأنها كانت في عامية معها حداثة تفعدني عن لقاء الملوك، وعلق هذا بقلبي منذ أعوام، فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي.

قال : فما تصلح له؟  
قال : الكبير من الأمر والصغير.  
قال : يا غلام ، أعطه لكل عام مضي من سنّه ألف درهم ، وأعطه عشرة آلاف درهم يحمل بها نفسه إلى وقت استعماله واشتغاله .

## ١٥٧

### لو طابت لأولئك لطابت لي

كان الفضيل بن عياض الزاهد المشهور من كبار السادات . حدث سفيان بن عيينه قال :  
دعانا هارون الرشيد فدخلنا عليه ، ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه ، فقال لي : يا سفيان ، وأيّهم أمير المؤمنين؟  
فقلت : هذا ، وأومأت إلى الرشيد .  
فقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتى كل رجل منا ببذرة<sup>(١)</sup> ، فكل قبلها إلا الفضيل .  
فقال الرشيد : يا أبا علي - كنية الفضيل - إن لم تستحل أخذها فاعطها ذا دين أو اشبع بها جائعاً أو أكس بها عارياً ، فاستعفاه منها .  
فلما خرجنا قلت : يا أبا علي ، أخطأت ، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر؟  
فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد ، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .



(١) البذرة : كمية من الدراهم موضوعة في كيس ، قيل تساوي عشرة آلاف درهم .

### أم البنين وعزة الميلاء

يقال إن عزة الميلاء صاحبة كثير دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز، وهي أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك، فقالت لها: أرايت قول كثير:

قضى كل ذي دينٍ فوق غريمه وعزه ممطول مُعنى غريمها  
ما كان ذلك الدين؟

قالت: وعدته قبله فخرجت منها.

فقالت أم البنين: انجزها وعليّ إثمها.

قالوا: ثم ندمت أم البنين فاستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة.

### العتابي والمأمون وإسحاق الموصلي

لما قدم كلثوم بن عمرو المعروف بالعتابي، الشاعر المشهور بمدينة السلام<sup>(١)</sup> على المأمون أذن له فدخل وعنده إسحاق الموصلي، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فردّ عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده، ثم أمره بالجلوس فجلس، ثم أقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان طلق، فاستطرف المأمون ذلك منه فأقبل عليه بالمداعبة والمزح، فظن الشيخ أنه استخفّ به فقال: يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإيساس<sup>(٢)</sup>، فاشتبه على المأمون قوله فنظر إلى إسحاق مبتسماً فأوماً إليه بعينه وغمزه على معناه حتى فهمه ثم قال: يا غلام، ألف دينار، فأتى بذلك فوضعه بين يدي العتابي وأخذوا في الحديث، ثم غمز المأمون إسحاق بن إبراهيم الموصلي عليه،

(١) مدينة السلام: بغداد.

(٢) الإيساس: ضد الإيناس.

فجعل العتّابي لا يأخذ في شيء إلاّ عارضه فيه إسحاق بن إبراهيم، فبقي العتّابي متعجباً ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم سلّه.

فقال إسحاق: يا شيخ، من أنت وما اسمك؟ قال: أنا من الناس واسمي كُلّ بَصَل. فتبسّم العتّابي ثم قال: أما النسب فمعروف وأما الاسم فمفكر.

فقال له إسحاق: ما أقلّ انصافك! أتتكر أن يكون اسمي كُلّ بَصَل واسمك كُلّ ثُوم؟ وما كلثوم من الأسماء؟ أو ليس البصل أطيب من الثوم؟ فقال له العتّابي: لله درّك ما أحجك، أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أصله بما وصلتني به؟

فقال له المأمون: بل ذلك موقر عليك ونأمر له بمثله. فقال إسحاق الموصلي: أما إذا أقررت بهذه فتوهمني تجدني. فقال له: ما أظنّك إلاّ إسحاق الموصلي الذي تنأهى إلينا خبره. فقال: أنا حيث ظننت. فأقبل عليه بالتحية والسلام. فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذا اتفقتما على المودّة فانصرفا. فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

❖❖❖ ١٦٠ ❖❖❖

### القليل محمود

قال الأصمعي: كتب كلثوم بن عمرو العتّابي إلى رجل:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته      حتى تراه غنياً وهو مجهودُ  
وللبخيل على أمواله عِلْلُ      زرق العيون عليها أوجه سودُ  
بُثُّ النوال ولا يمنعك قِلَّتُهُ      فكل ما سدّ فقراً فهو محمودُ  
قال: فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله.

\*

### اشترينا لسانه وقبلنا هديته

قرأت في كتاب فوات الوفيات أن المهدي جلس جلوساً عاماً فدخل عليه رجل من العامة ويده منديل فيه نعل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله (ص) قد أهديتها لك، فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم. فلما خرج قال المهدي لجلسائه: ما ترون؟ إني أعلم أن رسول الله (ص) لم يرها ولم يلبسها وهي ليست له، لكن لو كذبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله (ص) فردّها عليّ، وكان من يصدّقه أكثر ممّن يكذبه، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القويّ وإن كان ظالماً. ولهذا فقد اشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدّقنا قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح.

### باعه عرضه برغيف

كان مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني أحد فحول الشعراء، مدح الرشيد فأمر له بأموال طائلة ومدح يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني فأجازة مرة بمائة وتسعين ألف درهم وأقطعه إقطاعات تبلغ مائتي ألف درهم. قال مسلم: ثم أفضت الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني يزيد المذكور فهجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني وقال: أتبيعني عرض يزيد؟ قلت: نعم. قال: بكم؟

قلت: برغيف. فغضب الرشيد حتى خفته على نفسي وقال: قد كان رأيي أن أشتريه منك بمالٍ جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، وأنا بريء من أبي، ووالله، إن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكّيك. قال: فأمسكت عنه بعد ذلك ولم أذكره.

### المعتصم ذاك المثلث القوي

كان المعتصم أبيض أصهب اللحية، ربع القامة، ذا شجاعة وقوة وهمة عالية، وكان يقال له «المثلث» لأنه ثامن خلفاء بني العباس، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية أولاد وثمان بنات وعمره ٤٨ سنة، وفتح ثمانية فتوح وقتل ثمانية أعداء وهم: بابك وباطيش، ومازيار، والأفشين، وعجيف، وقاروت، وقائد الرافضة ورئيس الزنادقة. وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الدراهم مثلها، ومن الخيل ثمانين ألف فارس، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور وتوفي سنة ثمانمائة وواحد وأربعين م.

قال أحمد بن أبي دؤاد:

كان المعتصم يخرج يده إليّ ويقول: عضّ ساعدي بأكبر قوتك، فأقول: ما تطيب نفسي، فيقول: إنه لا يضرّني، فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنان. وقبض يوماً على جندي أخذ ابناً لامرأة فأمره برده فأبى، فقبض عليه، فسمعت صوت عظامه، ثم أطلقه فسقط، وكان ذلك في حياة المأمون. وجعل زند رجل بين إصبعيه فكسره.

### لم تنزل بالرّها

\* كان مزبد المدني كثير المجون حلوا النادرة له أخبار كثيرة في البخل. رآه إنسان وهو بالرّها وعليه جبة خز فقال: هب لي هذه الجبة، فقال: ما أملك غيرها. فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾<sup>(١)</sup>.

فقال: الله أرحم بعباده من أن ينزل هذه الآية بالرّها في كانون، وإنما أنزلت بالحجاز في حذيران وتموز وآب.

(١) سورة الحشر: آية ٩.



\* وباع جارية على أنها تحسن الطبخ جيداً، فلم تحسن شيئاً، فطلب إلى القاضي وطُوب بأن يحلف على أنها تحسن الطبخ، فاندفع وحلف أيماناً مُغلظة أنه دفع إليها مرّة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد، سوى الجنب فإنها عملته جودابة. فضحك من حضر ويش الخصم من الوصول إلى شيء منه فخلّى سبيله.

١٦٥

### ما وجدت تاريخاً غيره؟!

كان علي بن المحسن بن علي، أبو القاسم التنوخي ظريفاً نبيلاً، تقلّد قضاء عدة نواحٍ منها المدائن واذربيجان وغيرهما، وكان جيّد النادرة. اجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا أُختي؟ فقالت: رزقتها يوم صُفع القاضي التنوخي وضرب بالسياط. فرفع رأسه إليها وقال: يا بطراء<sup>(١)</sup>، صار صفعي تاريخك؟! ما وجدت تاريخاً غيره!!

١٦٦

### أتوب ولا أعود

وكان أبو القاسم التنوخي، الذي سبق ذكره، نائماً في أحد الأيام فاجتاز واحد غتً وأزعجه مما يصيح: شراك النعال، شراك النعال. فقال للغلام: أجمع كل نعل في البيت وأعطاها لهذا يصلحها ويشغل بها حتى لا نسمع مرّة ثانية صوته المزعج، ثم نام. وأصلحها الإسكافي واشتغل بها إلى آخر النهار ومضى لشأنه. فلما كان في اليوم الثاني فعل كما فعل في المرّة الأولى فلم يدعه ينام. فقال للغلام: ادخله، فأدخله

(١) البطراء: ذات البظر، وهو اللحم الناتئة بين شفرتي فرج المرأة.

فقال له: يا ماصَّ بظر أمه<sup>(١)</sup>، أمس أصلحت كل نعلٍ عندنا، واليوم تصيح على بابنا، هل بلغك أننا نتصافح بالنعال ونقطعها؟! قفاه، قفاه. فقال: يا سيدي أتوب ولا أعود أدخل إلى هذا الدرب أبداً.

قلت: وهذا أبو القاسم من أهل بيت كلهم فضلاء، ذكر ابن خلكان أباه المحسن وجده القاضي التنوخي الكبير.

١٦٧

### كافور الأخشيدي وابن جابر

ذكر المسيحي في تاريخه قال:  
حدثني أبو الدابة كاتب أبي بكر القمي عن أبي الحسن البغدادي قال:  
وردت إلى مصر مع والدي وأنا صبيّ دون البلوغ في أيام كافور، وكان أبو بكر المحلي يتولى نفقات مصالحه وخواص خدمه. وقد نتجت بينه وبين أبي مودة، وكان يزوره ويصله.

قال: فجاءه ذات يوم فتذاكرا أخبار كافور وطريقته وما هو عليه من الخشوع، فقال أبو بكر لأبي وأنا أسمع: هذا الأستاذ كافور له في كل عيد أضحية عادة، وهي أن يسلم إليّ بغلاً محملاً ذهباً وورقاً<sup>(٢)</sup> وجريدة تتضمن أسماء قوم من حدّ القرافة إلى المئامة وما بينهما، ويمضي معي صاحب الشرطة ونقيب<sup>(٣)</sup> يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الآخرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من جعل له وتتضمن اسمه الجريدة، وأطوف منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول: الأستاذ أبو المسك كافور يهنئك بعيدك ويقول: اصرف هذا في منفعتك، فأدفع إليه ما جعل له.

فلما كان في هذا العيد جريت على العادة ورأيت زادني في الجريدة الشيخ أ. عبد الله بن جابر مائة دينار. فأنفقت المال في أربابه ولم يبق إلا الصرة، فجعلتها كميّ وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة، فطرقت الباب فنزل إلينا

(١) هو سبّ كان يجري على ألسنة العرب قديماً.

(٢) الورق: الفضة.

(٣) النقيب: بمعنى الرئيس.

شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يردّ عليّ وقال :

ما حاجتك؟

قلت : الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام .

فقال : والي بلدنا؟

قلت : نعم .

قال : حفظه الله ، الله يعلم أنني أدعوه في الخلوات وأدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومجيبه .

قلت : وقد أنفذ معي هذه الصّرة وهو يسألك قبولها لتصرفها في مؤونه هذا العيد المبارك .

فقال : نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعلة .

فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق والتلهف واستحييت من الله تعالى أن أقطعه عمّا هو عليه فتركته وانصرفت .

قال : فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرنني فلما رأياني قال : هيه يا أبا بكر ، فقلت له : أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف .

فقال : الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عياله ، ثم أخبرته بامتناع ابن جابر - وكان صوفياً زاهداً - .

فقال : نعم هو بذلك جدير ، لم يجز بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم .

ثم قال لي : عُدْ إليه واركب دابة من دواب النوبة فلست أشكك فيما لقيت لك في هذه الليلة من التعب ، ثم امضْ إليه وأطرق بابَه فإذا نزل إليك فإنه

سيقول :

ألم تكن عندنا؟ فلا ترد عليه جواباً ثم استفتح وقرأ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما في السموات وما في الأرض وما تحت الأرض﴾<sup>(١)</sup> .

١ : الآيات ١ - ٦ .

يا ابن جابر، يقول لك كافور: ومن كافور العبد الأسود ومن مولاه ومن الخلق؟ أبقى لأحد مع الله تعالى ملكة أو شركة؟ تلاشى الناس كلهم، ها هنا تدري من معطيك وعلى من رددت أنت ما سألت، هو أرسل إليك يا ابن جابر، ما تفرق بين السبب والمسبب!

قال: فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إليّ وقال لي مثل لفظ كافور، فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال كافور. فبكى ابن جابر وقال: أين ما حملت؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال: علّمنا الأستاذ كيف التصوّف. قل له: أحسن الله جزاءك.

قال: فعدت إليه فأخبرته فسّر بذلك ثم سجد لله تعالى شكراً وقال: الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عباده ثم ركب حينئذٍ.

❖❖❖ ١٦٨ ❖❖❖

### أتريد أن يكون عسكري العشرين؟!

عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال: لما توفّي أبو العباس السفاح<sup>(١)</sup> دخل أبو دلامة الشاعر المشهور بنوادره وطرائفه على المنصور والناس عنده يعزّونه فأنشأ يقول:

ويلي عليك وويل أهلي كلهم      وويلاً وعَوْلاً في الحياة طويلاً  
فلتبكين لك النساء بعبرةٍ      ولييكن لك الرجال عويلاً  
مات الندى إذ متّ يا بن محمدٍ      فجعلته لك في الثراء عديلاً  
إني سألت الناس بعدك كلهم      فوجدت أسمح من سألت بخيلاً...

قال: فأبكى الناس قوله. فغضب المنصور غضباً شديداً وقال: لئن سمعتك تُنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرماً وهو

---

(١) هو أول الخلفاء العباسيين، توفي سنة ١٣٦ هـ.

الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فُسِّرَ عن المنصور وقال: وقد أقلناك يا أبا دُلّامة، فسَلْ حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضها.

فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مُجالد وأبو الجهم فقالا: صدق أبو دُلّامة نحن نعلم ذلك.

فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيط: يا سليمان ادفعها إليه وسيّره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup>) وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف. فوثب أبو دُلّامة وقال: يا أمير المؤمنين، إني أُعِيذك بالله أن أخرج معهم، فوالله إني لمشؤوم.

قال المنصور: امض فإن يُمَيّ يغلب شؤمك فاخرج. فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرّب ذلك مني على مثل هذا العسكر، فإني لا أدري أيهما يغلب: أيكنك أم شؤمي، إلّا أنني بنفسني أوثق وأعرف وأطول تجربة.

قال: دعني من هذا فما لك من الخروج بدّ. فقال: إني أصدقك الآن، شهدتُ والله تسعة عشر عسكرياً كُلّها هُزِمَتْ، وكنت سببها. فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكريك العشرين فافعل. فاستغرب أبو جعفر ضحكاً<sup>(٣)</sup>، وأمره أن يتخلّف مع عيسى بن موسى<sup>(٤)</sup> بالكوفة.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

(٢) عبد الله بن علي: أمير، هو عم الخليفة المنصور، توفي سنة ١٤٧ هـ.

(٣) استغرب ضحكاً: أي أكثر من الضحك وبالف فيه.

(٤) عيسى بن موسى: أمير من الولاة الفاتحين، وهو ابن أخي السفاح، توفي سنة ١٦٧ هـ.

### يريد أن يلقي بها رسول الله (ص)

رأيت في بعض المجاميع أن الشاعر أبا دُلف العجلي لما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه. فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام، فقال لحاجبه: من بالباب من المحتاجين؟ فقال: عشرة من الأشراف، وقد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقاً، فقعده على فراشه واستدعاهم، فلما دخلوا رَحَّب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق، وأخرج منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار، ودفع لكل واحد منهم كيسين، ثم أعطى كل واحد منهم مؤونة طريقه وقال لهم: لا تمسُّوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم، واصرفوا هذا في مصالح الطريق.

ثم قال: ليكتب لي كل واحدٍ منكم خطه: أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر جدته فاطمة بنت الرسول (ص) ثم ليكتب: يا رسول الله إني وجدت إضافةً وسوء حال في بلدي وقصدت أبا دُلف العجلي فأعطاني ألفي دينار كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاء لشفاعتك. فكتب كل واحد منهم ذلك، وتسلم الأوراق. وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفته، حتى يلقي بها رسول الله (ص) ويعرضها عليه.

### سلي أخاك حماداً

كانت بين الفقيه محمد بن أبي ليلى وبين أبي حنيفة وحشة يسيرة. وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة. فيحكى أنه انصرف يوماً من مجلسه، فسمع امرأة تقول لرجل:

يا ابن الزانين، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه، وأمر بها فضربت حدّين وهي قائمة.

فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء: \* في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه.

\* وفي ضربه الحدّ في المجلس، وقد نهى رسول الله (ص) عن إقامة الحدود في المساجد.

\* وفي ضربه المرأة قائمة، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات.

\* وفي ضربه إياها حدّين، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حدّ واحد.

\* ولو وجب أيضاً حدان لا يوالي بينهما بل يضرب أولاً ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأول.

\* وفي إقامة الحدّ عليها بغير طالب.

فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى، فسير إلى والي الكوفة وقال: ها هنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضني في أحكامي ويُفتي بخلاف حكمي ويشنّع عليّ بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه الوالي ومنعه عن الفتيا.

فيقال إنه كان يوماً في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق؟ فقال لها: سلي أخاك حماداً فإن الأمير منعي من الفتيا.

وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسّكه بامتنال إشارة ربّ الأمر، فإن اجابته طاعة، حتى إنه أطاعه بالسّر، ولم يردّ على ابنته جواباً، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر.

\*

### البخاري العالم بالحديث

حكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب «جذوة المقتبس»<sup>(١)</sup> والخطيب في «تاريخ بغداد»<sup>(٢)</sup> أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه.

فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين كذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

(١) راجع: «الجذوة»، ص ١٢٨.

(٢) راجع: «تاريخ بغداد»، ٢: ٢٠.



### وقف حمار الشيخ في العقبة

أبو علي الجبائي، كان إماماً في علم الكلام، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وله مناظرة روتها العلماء. فيقال إن أبا الحسن الأشعري سأله عن ثلاثة إخوة:

أحدهم كان مؤمناً برأ تقياً.

والثاني كان كافراً فاسقاً شقيماً.

والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم؟

فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر في الدرجات، وأما الصغير فمن أهل السلامة.

فقال الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول الباري جلّ وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك.

فقال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟

فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون.

فقال: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة. فانقطع الجبائي.

وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خصّ من شاء برحمته، وخصّ آخر بعذابه، وأن أفعاله غير معللة بشيء من الأغراض.

\*

### هل الرشيد من أهل الجنة؟

كان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء فلم يفتحه أحد بأنه من أهلها فقبل له عن أبي العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك وكان زاهداً عابداً صاحب مواعظ، فاستحضره وسأله، فقال له: هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى؟

فقال: نعم، كان لبعض الناس جارية فهوريتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها، ثم إني فكّرت في النار وهولها، وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى. فقال له ابن السماك: أبشر يا أمير المؤمنين فانك من أهل الجنة.

فقال هارون الرشيد: ومن أين لك هذا؟

فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(١)</sup> فسرّ الرشيد بذلك.

### اجعل حماري في ضيافة مهرك

نقلت من كتاب «الهدايا والتحف»<sup>(٢)</sup> ان اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن أذربيجان يريد أخرى، وتحتته مهر له رائع، وكانت السنة مجدبة، فضمّه الطريق وغلاماً حدثاً على حمار له، قال: فحادثته فرأيت أديباً راوية للشعر، خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة، فسرنا بقية يومنا، فأمسينا إلى خان على ظهر الطريق، فطلبت من صاحبه شيئاً نأكله، فامتنع أن يكون عنده شيء، فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين، فأخذت واحداً ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر، وكان غمي على

(١) سورة النازعات: آية ٤٠.

(٢) «الهدايا والتحف»، ص ٩٤.

المهر أن يبيت بغير علفٍ أعظم من غمّي على نفسي، فسألت صاحب الخان عن الشعر فقال: ما أقدر منه على حبة واحدة.

فقلت: فاطلب لي، وجعلت له جعيلة<sup>(١)</sup> على ذلك، فمضى وجاءني بعد وقت طويل وقال: قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم. فقلت: ما بعد يمين الطلاق كلام، فدفعت إليه خمسين درهماً، فجاءني بمكوك، فعلقته على دابتي وجلست أحدث الفتى، وحماره واقف بغير علف، فأطرق ملياً ثم قال: تسمع، أيّذك الله، أبياتاً حضرت الساعة؟ فقلت: هاتها، فأنشد:

يا سيدي شعري نفاية شعركا      فلذاك نظمي ما يقوم بنثركا  
وقد انبسطت إليك في إنشاد ما      هو في الحقيقة قطرة من بحركا  
آنستني وسررتني وبررتني      وجعلت أمري من مقدّم أمركا  
وأريد أذكر حاجة إن تقضها      أكُ عبد مدحك ما حييت وشكركا  
أنا في ضيافتك العشية ها هنا      فاجعل حماري في ضيافة مهركا  
فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره، وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهماً ودفعته إليه.

١٧٥

### الأبله

وجدت في كتاب «الهدايا والتحف» أن أبا القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخبز أرزي الشاعر المشهور نادرة طريفة فأحببت إثباتها هنا وهي<sup>(٢)</sup>:

كان بأصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان، وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بأمر عمرو.

(١) الجعيلة: الأجير.

(٢) انظر: «الهدايا والتحف»، ص ١٧٦ - ١٧٧.

ولإفراط حبه إياها وصبايته بها وهبها عدّة من ضياعه، وكتب عليه بذلك كتباً، وحمل الكتب إليها على بغل، فشاع الخبر بذلك، وتحدث الناس به واستعظموه. وكان بأصيهان رجل متخلف بين الركافة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكاً أهدى إلى أم عمرو جلوداً بيضاً لا كتابة فيها، وأن هذا من الهدايا التي تُستحسن ويجلّ موقعها عند من تُهدى إليه. فابتاع جلوداً كثيرة، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك، وأنفذها إلى التي يحب، فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيّظت عليه، وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبداً، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة، ففعل، وكانت الأبيات:

لا عاد طوعك من عصاكا      وحُرِمْتَ من وصل مُناكا  
فلقد فضحت العاشقي      ن بقبح ما فعلت يداكا  
أرأيت من يهدي الجلو      د إلى عشيقته سواكا  
وأظن أنك رمت أن      تحكي بفعلك ذا «سماكا»  
ذاك الذي أهدى الضيا      ع لأم عمرو والصّكاكا  
فبعثت منتنةً كائ      ك قد مسحت بهنّ فاكا  
من لي بقربك يا رقي      ع ولست أهوى أن أراكا  
لكن لعلّي أن أقط      ع ما بعثت على قفاكا

❖❖❖ ١٧٦ ❖❖❖

### هذا من معرفة علم النجوم

حكى ابن أبي منصور الجوالقي، أبو محمد اسماعيل، وكان من أنجب أولاده قال:

كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر، والناس يقرأون عليه، فوقف عليه شاب وقال: يا سيدي، قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناه، وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناه فقال: قل، فأنشده:

وَصَلَّ الحبيبَ جِنَانُ الخلد أسكنها      وهجره النار يصليني به النارا

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلةً إن لم يزرني، وبالجوزاء إن زارا  
 قال إسماعيل: فلما سمعها والدي قال: يا بني، هذا شيء من معرفة علم  
 النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب، فانصرف الشاب من غير حصول فائدة،  
 واستحيا والدي من أن يُسأل عن شيء ليس عنده منه علم، وقام، وآلى على نفسه  
 أن لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ولا يعرف تسيير الشمس والقمر،  
 فنظر في ذلك وحصل معرفته، ثم جلس.  
 ومعنى البيت المسؤول عنه أن الشمس إذا كانت في آخر القوس كان الليل في  
 غاية الطول، لأنه يكون آخر فصل الخريف، وإذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل  
 في غاية القصر، لأنه آخر فصل الربيع، فكأنه يقول: إذا لم يزرني فالليل عندي في  
 غاية الطول، وإن زارني كان الليل عندي في غاية القصر، والله أعلم.

### تفل على رجل عبد الملك فشفي

حدث العتبي عن أبيه قال:  
 دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه، فقال: يا أمير  
 المؤمنين، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسفار؟  
 قال: لست صاحب هزل، والجدّ مع علّتي أحجى بي.  
 قال: وما علّتك يا أمير المؤمنين؟  
 قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني.  
 قال: فإن بديحاً مولاي أرقى<sup>(١)</sup> الناس. فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول  
 سقط في يدي<sup>(٢)</sup> ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة. فما كان بأسرع من أن  
 طلع بديح فقال: كيف رقيتك من عرق النسا؟  
 قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين.

(١) أرقى الناس: أي خبير بالرقية.

(٢) سقط في يدي: أي تحيرت واضطربت.

قال: فسُرِّي عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة يُعرف بها، فمَدَّ رجله فتقل عليها وهَمَّهَمَ ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خِفَةً وراحة يا غلام، ادْعُ فلانة حتى تكتب الرقية، فإننا لا نأمن هيجها بالليل فلا ندعر بديحاً. فلما جاءت الجارية قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي. فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال: وامرأته طالق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي. فأمر فحمل إلى منزله، فلما أحرزه قال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نُصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت على النأي مني ذنب غيري تنقم

قال: ويلك ما تقول؟

قال: امرأته طالق إن كان رقاك إلا بما قال.

قال: فأكتمها عليّ.

قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البردُ إلى أخيك بمصر؟ فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه.

## ١٧٨

### الانتحار ولا العار

قال عمرو الشيباني:

أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس، فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد وإخوته راكبةً على جمل لها، فقادها بجملها، فقالت له: أي رجل، ضلّ حلمك، والله لئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامنا وراعا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبداً، لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاؤوه. وحسبك من شرّ سماعه. قال: فإني أذهب بك حتى ترعى عليّ إيلي.

فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من أعلى البعير فماتت خوفاً من أن يلحق بنيتها عارٌ فيها.

### طلبت عائشة ناراً فجاءها بعد سنة

عن حماد عن أبيه قال:

كان فَنَدُ أبوزيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص خليعاً متهتكاً، وقد أرسلته عائشة مرّةً ليجيئها بنار (جمرة) فخرج لذلك، فلقي عييراً خارجاً إلى مصر فخرج معهم وأقام هناك عاماً فلما رجع أخذ ناراً ودخل على عائشة وهو يركض فسقط وقد قرب منها، فقال: تَعَسَّتْ العجلة، فقال بعض الشعراء في رجل ذُكِرَ بمثل هذه الحال:

ما رأينا لُعْبِيدٍ مثلاً إذ بعثناه يجي بالمسلة  
غير فَنَدٍ بعثوه قابساً<sup>(١)</sup> فثوى حولاً وسبَّ العجلة

### الحارث المتشدّد في أمر الدين

لَمَّا ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة، حجّ في تلك السنة. فلما انصرف رحل معه الحارث بن خالد المخزومي إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فانصرف عنه وقال فيه:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوةٌ فلَمَّا انجلتُ قَطَّعتُ نفسي ألومها  
وما بي وإن أقصيتني من ضراعةٍ ولا افتقرتُ نفسي إلى من يضيّمها  
عطفْتُ عليك النفسَ حتى كأنما بكفيك بؤسي أو عليك نعيمها

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر، فأرسل إليه من رده من طريقه، فلما دخل عليه قال له: حارٍ<sup>(٢)</sup>، أخبرني عنك: هل رأيت عليك في المقام بياي غضاضةً<sup>(٣)</sup> أو في

(١) القابس: طالب النار.

(٢) حار: ترخيم حارث، أي: يا حارث.

(٣) غضاضة: منقصة وذلة وعيب.

قصدي دناءة؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: فما حملك على ما قلت وفعلت؟

قال: جفوة ظهرت لي، كنت حقيقاً<sup>(١)</sup> بغير هذا.

قال: فاحتر، فإن شئت أعطيتك مائة ألف درهم، أو قضيت دينك، أو وليتك مكة سنة. فولاه إياها، فحج بالناس وحجّت عائشة بنت طلحة<sup>(٢)</sup> عامئذ، وكان يهواها، فأرسلت إليه: آخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي. فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلّى بالناس. وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه. فعزله عبد الملك وكتب إليه يؤنبه فيها فعّل، فقال: ما أهون والله غضبه إذا رضيت عائشة، والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل.

فلما قضت حجّها أرسل إليها: يا ابنة عمي ألمي بنا أو عدينا مجلساً نتحدث فيه. فقالت: في غدٍ أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها.

## ١٨١

### لغز

لتاج الدّين ابن الجراح لغز في الدّملج الذي تلبسه النساء، وهو بديع في بابه فأحببت ذكره وهو نثر:

ما شيء قلبه حجر، ووجهه قمر، إن نبذته صبر، واعتزل البشر، وإن أرجعته رضي بالنوى، وانطوى على الخوى، وإن أشبعته قبل قدمك، وصحب خدمك، وإن غلفته ضاع، وإن أدخلته السوق أبى أن يباع، وإن أظهرته جمل المتاع، وأحسن الإمتناع، وإن شددت ثانية، وحذفت منه القافية، كدر الحياة، وأوجب التخفيف في الصلاة، وأحدث في وقت العصر الضجر ووقت الفجر الخدر، وجمع بين حسن

(١) حقيقاً: جديراً.

(٢) عائشة بنت طلحة: أديبة عالمة بأخبار العرب فصيحة، أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وخالتها عائشة أم المؤمنين. توفيت سنة ١٠١ هـ.



العقبى وقبح الأثر، هذا وإن فصلته دعا لك، وأبقى ما إن ركبته هالك، وربما بلغك آمالك، وكثر مالك، وأحسن بعون المساكين مآلك، والسلام.

قلت: وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حلّه، فيعسر عليه تفسيره فيحتاج إلى الإيضاح، فأقول:

أما قوله: «ما شيء قلبه حجر»: فمراده قلب حروف دملج فإننا إذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها «جلمد» وهو الحجر.

وقوله: «ووجهه قمر»: يريد أنه مستدير كالقمر.

وقوله: «إن نبذته صبر واعتزل البشر»: فالبشر جمع بشرة، فالإنسان إذا ألقى الدملج عنه صبر واعتزل بشرته إذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه.

وقوله: «وإن أوجعته رضي بالنوى»: فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر، وعادتهم في بلاد العراق أن يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر، وقصد ها هنا هذه التورية، فإن الدملج إذا خرج من العضد أو من الساق فقد جاع، لأنه يكون فارغ الجوف، ويرضى بالنوى الذي هو البعد عن عضو صاحبه، ويقولون: فلان يرضى بالنوى إذا كان فقيراً لا يجد ما يتبلّغ به فهو يجتزى بمصّ النوى، وهذا يفعله أهل الحجاز والبلاد المجربة كثيراً، لقلة الأقوات عندهم، فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى في هذين المعنيين وهذه هي التورية.

وقوله: «وانطوى على الخوى»: فالخوى هو الخلو وإذا كان فارغ الجوف فهو خاو، وقوله: «أشبعته قبل قدمك»: مراده بالإشباع هنا: لبس، الدملج، فإن صاحبه إذا لبسه فقد ملأ جوفه ويكون فوقه القدم فكأنه يقبله.

وقوله: «وصحب خدمك»: فيه تورية أيضاً فإن الخدم جمع خادم، وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فإنه لا يقال فاعل وجمعه فَعَلَ إلّا في ألفاظ مسموعة مثل خادم وخدم، وغائب وغيب، وحارس وحرس، وجامد وجمد، وغير ذلك، فهو موقوف على السماع، وخدم جمع خدمة أيضاً، وهو سير يُشدّ في رسغ البعير تُشدّ إليه سريحة الفعل وبه سُمّي الخللخال خَدَمَة لأنه ربما كان من سيور يركب فيه الذهب والفضة ويجمع على خدام أيضاً.

وقوله: «وإن غلفته ضاع»: هذا فيه تورية أيضاً، فإن التغليف أن يجعل للشيء غلافاً، والتغليف استعمال الطيب أيضاً.

وقوله: «ضاع» فيه تورية أيضاً، فإنه يقال: ضاع الشيء من الضياع، وضاع الطيب إذا عبت رائحته.

وقوله: «وإن أدخلته السوق أبي أن يباع»: فالسوق جمع ساق وفيه التورية أيضاً لأن السوق موضع البيع والشراء، والسوق كما ذكرناه.

وقوله: «أبي أن يباع»: لأن العادة أنه لا يُباع إلا إذا أخرج من العضو الذي هو فيه، ولا يباع قبل إخراج فكله قبل الإخراج أبي البيع.

وقوله: «وإن أظهرته جل المتاع، وأحسن الإمتاع»: فهذا ظاهر لا حاجة له إلى تفسير.

وقوله: «وإن شددت ثانيه»: وهو الميم.

وقوله: «وحذفت منه القافية» وهي الجيم، فيبقى الدمّل وهو يكدر الحياة بألمه ويوجب التخفيف في الصلاة للألم أيضاً.

وقوله: «وأحدث في وقت العصر الضجر»: فالعصر فيه التورية أيضاً لأنه اسم للصلاة وهو مصدر لفعل عَصَرَ، وكذلك الفجر، لأنه اسم للصبح وهو مصدر لفعل فَجَرَ، فالإنسان في وقت عصر الدمّل يحصل له الضجر والقلق وإذا فجره وخلص منه حصل له الخدر والراحة.

وقوله: «وجمع بين حسن العقبي وقبح الأثر»: فقصر المقابلة بين الحسن والقبح، ولا شك أن عقبي انفجار الدمّل حسنة، وإن كان الأثر الذي يبقى في المكان قبيحاً.

وقوله: «وإن فصلته دعا لك»: معناه أنك إذا فصلت أحد النصفين من لفظ الدمليج من النصف الآخر، فالنصف الأول منه «دُم» وهو دعاء للإنسان بالدوام.

وقوله: «وأبقى ما إن ركبته هالك» فالباقي منه «لج» واللج هو لج البحر، وإن كان النصف من الدمليج مخففاً. ولج البحر مشدداً لكنهم يغفرون مثل هذا في الألفاظ والتصحيف والأحاجي ولا يبالون به، ولا شك أن ركوب البحر أمر هائل فلهذا قال: «هالك وربما بلغك آمالك» لأنه يوصل الإنسان إلى الموضع الذي يقصده.

وقوله: «وكثر مالك» معناه إذا ركب الإنسان للتجارة.  
وقوله: «وأحسن بعون المساكين مآلك»: فعون المساكين هو السفينة فهي عون لهم على حاجتهم وسدّ خلّتهم ومآل الشيء عاقبة أمره. قال الله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم.

## ١٨٢

### قضى حاجته بعد توقيع الوزير

نقلت من كتاب «الهفوات النادرة...» لمحمد بن هلال حكاية ظريفة، ولا بدّ في الكتب من مزج المذل بالجدّ، والحكاية هي:  
أن أبا سعيد ماهك بن بندار المجوسي الرازي كان من كبار كتاب الديلم المشهور وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم، فأراد الوزير أبو محمد المهلب أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له، وقد أراد الخروج من عنده: يا أبا سعيد، لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شيء أريده معك، فقال: السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير، ونهض من بين يديه، فقال الوزير: هذا رجل مجنون، وربما طال بي الشغل وضاق صدره وانصرف، فتقدّموا إلى البواب أن لا يدعه يخرج من الباب، فجلس ماهك طويلاً، وأراد دخول بيت الخلاء، فقام يطلب ذلك فرأى الأخلية مقفلة، وكان قد تقدم الوزير بذلك، وقال: كانت دار أبي جعفر الصيمري ممتنة الرائحة لأجل خلاء كان بها لعامة الناس. فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل، وعليه ستر مسبل، فرفع الستر ليدخل، فجاء الفراش فمنعه ودفعه، فقال: يا هذا أليس هذا بيت خلاء؟

قال: بلى.

فقال: أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني؟

قال: هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير.

قال: فبقية الأخلية مقفلة، فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البوّاب

(١) سورة الكهف: آية ٧٩.

أفأخرى في ثيابي؟

فقال الفرّاش: استأذن في دخول بيت الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الأخلية فتقضي حاجتك، فاشتدّ به الأمر، فكتب إلى الوزير رقعة وقال فيها: قد احتاج عبد سيدنا الوزير مالهك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس ولا يحسن ذكره، والفرّاش يقول لا تدخل، والبواب يقول لا تخرج، وقد تحيّر العبد في البين، والأمر في الشدة، فإن رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بأن يعمل ما يحتاج إليه في بيت الخلاء فعَل إن شاء الله تعالى، والسلام. ودفع الرقعة إلى بعض الحجاب، فأوصلها إلى الوزير، فلم يعلم ما أراد بالرقعة، فاستعلم ما الصورة فعرف بها، فضحك واستلقى على ظهره، ووقع على ظهر الرقعة:

يَحْرَى أبو سعيد أعزّه الله بحيث يختار، إن شاء الله تعالى.

فجاء الحجاب بها فأخذه ودفعه إلى الفرّاش وقال: هذا ما طلبت، وهو توقيع سيدنا الوزير، فقال الفرّاش: التوقيعات يقرأها أبو العلاء ابن أبرونا كاتب ديوان الدار، وأنا لا أحسن أن أكتب ولا أقرأ، فصاح مالهك في الدار: هات من يقرأ في الدار صك الخرا!!

فضحك فرّاش آخر وأخذ بيده، وحمله إلى بعض الحجر حتى قضى حاجته.

## ١٨٣

### مما أوصى به عمر بن عبد العزيز

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة، دعا بنيه وكانوا أحد عشر ابناً. وكان عنده مسلمة بن عبد الملك. فأحضر عمر بن عبد العزيز أحد عشر ديناراً ونصف دينار، فأمر أن يكفّن وأن يُشترى له مكان يُدفن فيه بخمسة دنانير ويقسم الباقي على بنيه، وقال: يا بني، ليس لي مال فأوصي لكم به، ولكن ما تركت لأحدٍ عليكم علاقة تبعة، ولا يطأكم مدخل ولا أخذ ثأر، ولا عرض ولا دم. والله الخليفة عليكم.

فقال له مسلمة: أو خير من هذا يا أمير المؤمنين.

قال: وما هو؟

قال : تأخذ من مالي ثلاثمائة ألف دينار وتقسمها بينهم كما تريد .  
فقال عمر : أو خير من ذلك ؟  
فقال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟  
قال : أن تردّ المال على من أخذ منه ، فإنه ليس بملكك .  
قال : فبكى مسلمة عند ذلك .

## ١٨٤

### ما أخطأ من جعلك سيّداً

قيل إن المهلب بن أبي صفرة مرّ بحيّ من همدان فرآه شاب من أهل الحيّ  
فقال : أهذا المهلب ؟  
قالوا : نعم !  
فقال : والله إن ما يساوي خمسمائة درهم .  
وكان المهلب أعور ، فسمعه ، فلما كان من الغد أخذ المهلب في كمّه خمسمائة  
درهم وأتى إلى الحيّ وارقب الغلام حتى رآه . فأتى إليه وقال له :  
افتح حجرك . ففتح الشاب حجره ، فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال له : خذ  
قيمة عمك المهلب والله يا ابن أخي لو قومتني بخمسة آلاف درهم لأتيتك بها .  
فسمعه شيخ من أهل الحيّ فقال : والله ، ما أخطأ من جعلك سيّداً .

## ١٨٥

### أعطاه البعير بما عليه

خرج أعرابي حاجاً ، فلما كان في بعض الطرق مات جملة فذهب إلى عمرو بن  
عثمان وكان يومئذٍ والي المدينة فشكا إليه فلم يعطه شيئاً فقعد الأعرابي يتصفّح وجوه  
الناس ، فمرّ به عبد الله بن جعفر فقام إليه الأعرابي وقال :

أبا جعفر إن الحجيج يحملوا      وليس لرحلي فاعلمنّ بعيرُ  
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بماله      وأنت على ما في يديك أميرُ

أيا جعفر يا ابن الشهيد الذي له جناحان في أعلى الجنان يطير  
أبا جعفر من بيت آل نبوة صلاتهم للعالمين طهور  
وكان لعبد الله بن جعفر بغير يقّده، فعزله، وقال له: خذه بما عليه. فذهب  
غلام عبد الله ليأخذ سيفاً كان على البعير. فقال عبد الله: دعه، فقد أعطيته البعير  
بما عليه، وقال للأعرابي: احتفظ بالسيف، فشراؤه ألف دينار. فرحة الله على من  
كانت هذه الفعال فعالمهم.

١٨٦

### ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين

روي عنه (ص) أنه قال:  
إذا جمع الله الخلق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم أناس وهم  
يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنّا نراكم قليلاً فما كان  
فضلكم؟ فيقولون: كُنّا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أُسيء إلينا غفرنا وإذا جُهل علينا  
حلمنا.  
فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

١٨٧

### حديث الكرم والمروءة

حدّث الأصمعي قال:  
كنت أخشى رجلاً لكرمه فأتيته بعد مدّة فوجدته قد أغلق بابيه، ولزم بيته،  
فأخذت ورقة وكتبت فيها هذا البيت:  
إذا كان الكريم له حجابٌ فما فضلُ الكريم على اللئيم  
وبعثت بها إليه، ووقفت أنتظر الجواب. فعادت وعلى ظهرها هذا البيت:  
إذا كان الكريم قليل مالٍ تسرّب بالحجاب عن الغريم

ومع الورقة صرة فيها خمسمائة دينار.  
فقلت: والله لأتحفن أمير المؤمنين بهذه الحكاية، فأخذت الصرة والرقعة ومضيت  
إلى المأمون فدخلت عليه.

فقال: من أين يا أصمعي؟

فقلت: من عند أكرم الناس، حاشا أمير المؤمنين!

ثم قصصت عليه القصة ووضعت الصرة والرقعة بين يديه، فتأمل الصرة  
وقال: يا أصمعي، هذه الصرة بختم بيت المال. فأحضر الرجل الذي دفعها إليك.  
فقلت: والله يا أمير المؤمنين، الرجل قد أولاني خيراً.

قال: لا بد منه.

قلت: غير مروّع؟

قال: غير مروّع.

فعرفته مكانه، فبعث إليه فحضر، فلما مثل بين يديه، جعل المأمون يتوسمه  
وينظر إليه. ثم قال: أأست الرجل الذي وقف بموكبنا بالأمس وشكا إلينا رقه حاله  
وكثرة عياله؟

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: وأمرنا لك بخمسمائة دينار.

قال: نعم! وهي هذه.

قال: ولم دفعتها للأصمعي على بيت واحد من الشعر؟

قال: إستحييت من الله تعالى أن أرد قاصدي إلا كما ردي أمير المؤمنين  
بالأمس.

قال: لله درك!! ما أكرم خلقك وأوفر مروءتك!

ثم أمر بألف دينار فأخذها وانصرف.

قال الأصمعي: فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يلحقني به.

قال: لا، نحن نكمل لك الألف، فأمر للأصمعي بكماها.

\*

### إن مثلك لا يؤذي

دخل بعض الشطار اللصوص إلى دار خلف بن أبي أيوب فرآه قائماً يصلي بالليل، فجمع ما كان في بيته من قماش وغيره. وربط ذلك كرةً وحملها على رأسه وخلف ينظر إليه، ولم يكلمه. فخرج اللص إلى الحائط فلم يقدر على النهوض، فقال له خلف: يا أخي، لا تتعب نفسك. خذ المفتاح وافتح الباب فلعلك محتاج. فقال اللص: والله إن مثلك لا يؤذي. ثم ترك القماش وتاب إلى الله تعالى.

### الأرض والعبيد ملكك

كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبي سفيان وكان فيها عبيد لعمارة، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله واغتصبوا منها قطعة. فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية: «وأما بعد،

يا معاوية فإنّ عندك عبيداً قد اغتصبوا أرضي، فمُرهم بالكف عنها وإلا كان لي ولكم شأن».

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال: ما تقول يا يزيد؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عندك وآخره عندنا يأتيك برأسه وتستريح منه.

قال: عندي خير من ذلك.

قال: ما هو يا أبت؟

فقال: عليّ بدواة وقرطاس. ثم كتب فيه:

«وقفت على باب ابن أخي وقد ساءني والله ما ساءه والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي سطوراً أشهدت فيها الله تعالى وجماعة من



المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك . فضمّها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام» .

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه كتب له جواباً فيه :  
«وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمني الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحلّه هذا المحل والسلام» فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد فلما قرأه تهلّل وجهه فرحاً .  
فقال له : يا بنيّ، إذا بُليت بشيء من هذا الداء داوّه بمثل هذا الدواء، وإنّا لقوم لم نر في الحلم إلا خيراً .

١٩٠

### اعتقه ووهب له النخيل

خرج عبد الله بن جعفر وكان يشتهر بالكرم والجود إلى بعض أسفاره، فنزل على نخيلٍ لقوم، وفيها عبدٌ أسود يجرسها، فأتى بقوته، وهو ثلاثة أقراص، فدخل كلب إلى تلك النخيل وهو يلهث، فدنا من الغلام وهو يتشوّف إلى تلك الأقراص، فرمى له العبد قرصاً فأكله ثم رمى له الثاني فأكله، ثم الثالث فأكله، وعبد الله ينظر إليه .

فقال : يا غلام، كم قوتك في كل يوم؟

قال : ثلاثة أقراص .

قال : فلم آثرت هذا الكلب بها؟

قال : يا سيدي، ليست أرضنا بأرض كلاب، ولم أشك أنه جاء من مسافة بعيدة، وهو جائع، ولم يحضرني سواها، فكرهت ردّه من غير شبع .

قال : فما أنت صانع في هذا اليوم؟

قال : أطوي<sup>(١)</sup> إلى غدٍ .

قال عبد الله : بخ بخ !! والله إن هذا الغلام أسخى مني، فما برح حتى اشترى النخيل والغلام، ثم أعتقه ووهب له النخيل وارتحل عنه .

---

(١) أطوي : أجوع .

### اعلمهم أنَّ المال والدار لهم

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داراً كانت له من السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل، سمع عبد الله بكاء آل خالد فقال: ما بالهم يبكون؟ قال: لخروجهم من دارهم التي اشتريتها. فقال: يا غلام، أعلمهم أنَّ المال والدار لهم جميعاً.

### من معجزات النبي (ص)

لما أُصيب عينا قتادة بن النعمان الخزرجي يوم أحد، خرجت حدقتها، فجاء إلى النبي (ص) فقال له رسول الله (ص): أيما أحب إليك أن أسأل الله تعالى أن يرد عليك عينك أو أسأله أن يحفظ عليك أجرك؟ فقال: يا رسول الله، إن تحتي امرأة تحبني وأحبها، وإن هذا يشينني عندها، فاسأل الله تعالى أن يرد علي عيني، فهو أكرم من أن يجرمني ثوابي. فأخذ رسول الله (ص) عينه بيده وردّها إلى مكانها فأبصر بها في الحال كأحسن ما كانت، وعاش بعد ذلك خمسين سنة ما رمدت عينه، ولا آلمته أبداً، وكان يقول: هذه أشرف عيني وأصحها. ودخل بعض ولده على عمر بن عبد العزيز في يوم قسمة فقال: انتسب. فقال هذين البيتين:

أنا ابنُ الذي سألت على الخدِّ عينُهُ      فرُدَّتْ بكفِّ المصطفي أحسن الرَدِّ  
فعادت كما كانت كأحسن حالها      فبوركت من عيني وبوركت من يدِ

\*

### أشدّ البلاء أمر اللؤماء على الكرماء

سأل المهلب بن أبي صفرة ولده يزيد وهو صغير، فقال له: يا بني، ما أشدّ البلاء؟

قال: معاداة العقلاء.

قال: فهل غير ذلك يا بني؟

قال: نعم!

قال: مسألة البخلاء.

قال: فهل غير ذلك يا بني؟

قال: نعم.

قال: وما هو؟

قال: أمر اللؤماء على الكرماء.

### لا تظلمهم أيها الأمير

قال خالد بن كلثوم.

كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأمر بأصحاب الملاحى فحبسوا وحبس عطرّد المغنيّ الفقيه، فأخبروه أن عطرّد هذا من أهل الهيئة والمروءة والنعمة والدين، فدعا به فخلّى سبيله، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له.

وخرج فإذا هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا، فعندما رآهم عطرّد عاد إليه وقال: أصلح الله الأمير، أعلى الغناء حبست هؤلاء؟

قال: نعم.

قال: فلا تظلمهم أيها الأمير، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً وهم ليسوا بمغنين. فضحك الأمير كثيراً وخلّى سبيلهم.

## أشدّ ذكاءً من بشار

قال شبيب بن عافية :

كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يُقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعنَ شعره، فعشق امرأةً منهنّ، وقال لغلّامه: عرّفها محبّي لها واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها. ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ. فتبعها إلى منزلها حتى عرفه. فكان يتردّد إليها حتى ضاقت به، فشكته إلى زوجها فقال لها: أجيبيهِ وعديهِ إلى أن يبيّثك إلى البيت ففعلت.

وجاء بشار مع امرأة وجّهت بها إليه. فدخل بيتها وزوجها جالسٌ وهو لا يعلم، فجعل يحدّثها وقال لها: ما اسمك بأبي أنت؟ فقالت: أمانة. فقال:

أمانةٌ قد وُصِفَتْ لنا بحسنٍ وإنّا لا نراكِ فالْمِسِينَا<sup>(١)</sup>  
قال: فأخذت يده فوضعتها على (....)<sup>(٢)</sup> زوجها وقد أنعظ<sup>(٣)</sup>، ففزع ووثب قائماً وصرخ وقال:

عليّ أليّة ما دمتُ حياً أُمْسُكِ طائعاً إلّا بعودٍ  
ولا أهدي لقومٍ أنتِ فيهم سلام الله إلّا من بعيدٍ  
طلبتُ غنيمةً فوضعتُ كفيّ علي (....)<sup>(٤)</sup> أشدّ من الحديدِ  
فخيرٌ منك من لا خيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكُم قُعودي

وقبض زوجها عليه وقال: هممت بأن أفضحك. فقال له: كفاني، فديتك، ما فعلت بي، ولست والله عائداً إليها أبداً، فحسبك ما مضى، وتركه وانصرف.

(١) أَلْمِسِينَا: أي دعينا نلمسك، يريد مغازلتها.

(٢) ما يُستقبح ذكره عند الرجل.

(٣) انعظ: انتصب واشتهى الجِماع.

(٤) ما يُستقبح ذكره عند الرجل.

### لو سمع بالشعر ما قطعها

كان مطيع بن إياس شاعراً خليعاً حلو النادرة وهو الذي يقول في نخلتي حلوان<sup>(١)</sup>:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان  
واعلم أن ريبه لم يزل يَفُ رُقُ بين الألاف والأقران  
ولعمري لو ذقتما ألم الفُرْ قة أبكاكما الذي أبكاني  
أسعداني وأبقيا أن نحسا سوف يلقاكما فتفترقان

فلما خرج هارون الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان، فوصف له الحكيم أكل جُمار النخل، فلم يكن بحلوان إلا تلك النخلتان اللتان في العقبة، فقطعوا له رأس إحداهما وأتى به إليه، فأكل منه، فلما بلغ إلى العقبة نظر إلى القائمة وإذا عليها مكتوب هذه الأبيات التي تقدّمت، فاغتم لذلك وبكى وقال: والله لو سمعت بهذا الشعر ما قطعتها ولو قتلتني الدم، ويعز عليّ أن أكون النّحس الذي فرّق بينهما.

### ما ذنبي أنا؟

شكا أبو العيناء محمد بن القاسم بن سليمان إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال، فقال له: أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر في أمرك؟ قال: نعم، قد كتبت إلى رجلٍ قد قصر من همته طول الفقر، وذلّ الأسر، ومعاناة الدهر، فأخفق سعيي وخابت طلبتي. فقال عبيد الله: أنت اخترته.

فقال: ما ذنبي، وما عليّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد، واختار النبي (ص) عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع

(١) راجع: «شعراء عباسيون»، ص ٩٦.

إلى المشركين مرتدًا، واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكمًا له فحكم عليه .  
ولمّا قال «ذلّ الأسر» لأن إبراهيم المذكور كان قد أسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب السجن وهرب .

١٩٨

### تطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم

ودخل أبو العيناء على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٦ هـ فقال له المتوكل :

ما تقول في دارنا هذه؟

فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شربك للخمر؟

قال : أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره .

فقال له ؛ دع عنك هذا ونادمنّا .

فقال : أنا رجل مكفوف، وكل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أخدم ولست آمن من أن تنظر إليّ بعين راضية وقلبك عليّ غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راضٍ . ومتى لم أُميّز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء .

فقال : بلغنا عنك بذاء في لسانك .

فقال : يا أمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم فقال : ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ .

وقال عز وجل : ﴿همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم﴾ .

وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً      ولم اشتم النكس اللئيم المذمماً  
ففيّم عرفت الخير والشرّ باسمه      وشقّ لي الله المسامع والفما

قال : فمن أين أنت؟

قال : من البصرة .

قال: فما تقول فيها؟  
قال: ماؤها أجاج وحرّها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنّم.

### نبشوا القبور وأحرقوا بقاياها

حكى المسعودي في «مروج الذهب»<sup>(١)</sup> في ولاية هشام بن عبد الملك أن الهيثم بن عديّ روى عن عمر بن هانئ الطائي قال: خرجت مع عبد الله بن علي وهو عمّ السّقّاح والمنصور، فانتبهنا إلى قبر هشام بن عبد الملك، فاستخرجناه صحيحاً ما فقد منه إلّا حرمة أنفه، فضربه عبد الله ثمانين سوطاً ثم أحرقه، واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق، فلم نجد منه شيئاً إلّا صلبه وأضلاعه ورأسه، فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أميّة، وكانت قبورهم بقنسرين.

ثم انتبهنا إلى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلاً ولا كثيراً، واحتفروا عن عبد الملك فما وجدنا إلّا شؤون رأسه، ثم احتفروا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه إلّا عظماً واحداً، ووجدنا مع لحدّه خطأ أسود كأنما خطّ بالرماد بالطول في لحدّه، ثم تتبّعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم. وكان سبب فعل عبد الله ببني أميّة هذا الفعل أن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم خرج على هشام بن عبد الملك وسَمَتُ نفسه إلى طلب الخلافة، وتبعه خلق من الأشراف والقراء، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشدّ قتال وهو يقول متمثلاً.

ذلّ الحياة وعزّ المسامات وكلا أراه طعاماً وبيلاً  
فإن كان لا بدّ من واحدٍ فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

(١) «مروج الذهب»، ٣: ٢١٩.

وحال المساء بين الفريقين، فانصرف زيد مُثخناً بالجراح، وقد أصابه سهم في جبهته، فطلبوا من ينزع النصل، فأق بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل، فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك، وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع. فلما أصبح مضى إلى يوسف منتصباً له، فدلّه على موضع قبره، فاستخرجه يوسف وبعث رأسه إلى هشام. فكتب إليه هشام: أن أصلبه عرياناً فصلبه يوسف كذلك، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يُصلب  
وبني تحت خشبته عموداً، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وتذريته في الرياح، وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين وقيل إثنين وعشرين ومائة.

وذكر أبو بكر ابن عياش وجماعة من الإخباريين أن زيدا أقام مصلوباً خمس سنين عرياناً فلم ير أحد له عورة سترأ من الله سبحانه وتعالى له، وقال بعضهم: إن العنكبوت نسج على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة. فلما كان في أيام الوليد بن يزيد وظهر يحيى بن زيد بخراسان، وهي واقعة مشهورة، كتب الوليد إلى عامله بالكوفة: أن أحرق زيدا بخشبته ففعل ذلك وأذرى رماده في الرياح على شاطئ الفرات، والله تعالى أعلم أي ذلك كان. فهذا الذي حمل عبد الله بن عليّ على ما فعله ببني أمية انتصاراً لبني عمّه وانتقاماً لهم بنظير ما فعل بهم.

❖ ❖ ❖ ٢٠٠ ❖ ❖ ❖

### بات ليلته متعجباً

اختص الهيثم بن عديّ بمجالسه المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم.

قال الهيثم: قال لي المهدي: ويحك يا هيثم، إن الناس يخبرون عن الأعراب شحاً ولؤماً وكرماً وسباحاً وقد اختلفوا في ذلك، فما عندك؟  
فقلت: على الخير سقطت. خرجت من عند أهلي أريد ديار فرائد لي ومعي ناقة أركبها إذ نذت فذهبت، فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها، ونظرت فإذا



خيمة أعرابي فأتيتها، فقالت ربّة الخباء: من أنت؟

فقلت: ضيف.

فقالت: وما يصنع الضيف عندنا؟ إن الصحراء لواسعة، ثم قامت إلى برّ فطحنته، ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت، ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن، فسلم ثم قال: من الرجل؟

فقلت: ضيف.

فقال: مرحباً حيّاك الله، فدخل الخباء وملاً عقباً<sup>(١)</sup> من لبن، ثم أتاني به وقال: اشرب، فشربت شرباً هنيئاً، فقال: ما أراك أكلت شيئاً، وما أراها أطعمتك. فقلت: لا والله، فدخل إليها مغضباً وقال: ويلك أكلت وتركت ضيفك. فقالت: وما أصنع به؟ أطعمه طعامي؟ وجارها في الكلام حتى شجّها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها فقلت: ما صنعت عافاك الله؟

فقال: لا والله ما يبيت ضيفي جائعاً. ثم جمع حطباً وأجج ناراً وأقبل يكبّب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول: كلي لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركني ومضى، فقعدت مغموماً، فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه، فقال: هذا مكان ناقتك، ثم زوّدي من ذلك اللحم ومما حضره، وخرجت من عنده. فمضني الليل إلى خباء، فسلمت فردت صاحبة الخباء السلام وقالت: من الرجل؟

فقلت: ضيف.

فقالت: مرحباً بك حيّاك الله وعافاك، فنزلت، ثم عمدت إلى برّ فطحنته وعجنته، ثم خبزته خبزة روتها بالزبد واللبن ثم وضعت بين يدي فقالت: كُلْ واعذر، فلم ألبث أن أقبل أعرابي كرية الوجه، فسلم فرددت عليه السلام، فقال: مَنْ الرجل؟

قلت: ضيف.

قال: وما يصنع الضيف عندنا، ثم دخل إلى أهله فقال: أين طعامي؟

---

(١) العقب: الوعاء والقدر.

فقالت زوجته: أطعمته الضيف.  
 فقال: أتطعمين الضيف طعامي؟ فتحاربا الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها  
 فشجها، فجعلت أضحك، فخرج إلي فقال: ما يضحكك.  
 قلت: خير.  
 قال: والله لتخبرني. فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله.  
 فأقبل علي وقال: إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل، وتلك التي عنده هي  
 أختي. فبت ليلتي متعجباً وانصرفت.

## ٢٠١

### إنهم يقولون ما لا يفعلون

رُوي أن أبا نواس الحسن بن هانئ الشاعر المشهور حضر مجلس الهيثم بن  
 عدي في حديثه، والهيثم لا يعرفه، فلم يستدنيه ولا قرب مجلسه، فقام مغضباً،  
 فسأل الهيثم عنه، فخير باسمه، فقال: إنا لله! هذه والله بليّة لم أجنها على نفسي،  
 قوموا بنا إليه لنعذر، فصاروا إليه، ودق الباب عليه وتسمّى له، فقال: ادخل،  
 فدخل فإذا هو قاعد يصفّي نبيذاً له، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله، فقال:  
 المعذرة إلى الله تعالى وإليك، والله ما عرفتكم وما الذنب إلّا لك حيث لم تعرفنا  
 نفسك فنقض حقك ونبلغ الواجب من برك، فأظهر له قبول العذر، فقال الهيثم:  
 استعهدك من قول يسبق منك في. فقال: ما قد مضى فلا حيلة فيه، ولك الأمان  
 فيما استأنف. فقال: وما الذي مضى جعلت فداك؟ قال: بيت مرّ وأنا فيما ترى  
 (يعني أنه غضبان). قال: فتنشدني، فدافعه فألح عليه فأنشده:

يا هيثم بن عديّ لست للعربِ      ولست من طيءٍ إلّا على شغبٍ  
 إذا نسبّت عدياً في بني ثعلٍ      فقدّم الدال قبل العين في النسبِ

(يريد: دعِي، وهو المشكوك في نسبه).

فقام من عنده، ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي:

لهيثم بن عديّ في تلونه      في كلّ يومٍ له رجل على خشبٍ

فما يزال اخا حلٍ ومرتحلٍ      إلى الموالي وأحياناً إلى العربِ  
له لسان يزجّيه بجوهره      كأنه لم يزل يُغدى على قتبِ  
كأنني بك فوق الجسر منتصباً      على جوادٍ قريب منك في الحسبِ  
حتى نراك وقد درّعته قمصاً      من الصديد مكان الليف والكربِ  
لله أنت فما قربى تهم بها      إلا اجتلبت لها الأنساب من كُتبِ  
فعاد الهيثم إلى أبي نواس وقال له: يا سبحان الله! أليس قد أمتنتني وجعلت لي  
عهداً أن لا تهجوني!  
فقال: إنهم يقولون ما لا يفعلون.

٢٠٢

### الحَرْفُ بـ ٨٠ ألف درهم

للنضر بن شُميل الشاعر النحوي مع المأمون حكايات ونوادر، لأنه كان  
يجالسه. فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب «درة الغواص في أوهام الخواص» في  
قوله: ويقولون هو سَدَاد من عَوَز فيلحنون في فتح السَّين، والصواب أن يُقال  
بالكسر.

وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شُميل المازني استفاد بإفادة هذا  
الحرف ثمانين ألف درهم، وساق خبره. وذكر إسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح  
الأهوازي قال:

حدثني النضر بن شُميل قال: كنت أدخل على المأمون في سَمَره، فدخلت ذات  
ليلة وعليّ ثوب مرقوع، فقال: يا نضر، ما هذا التقشّف حتى تدخل على أمير  
المؤمنين في هذه الخُلُقَان؟<sup>(١)</sup>

قلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ ضعيف وحرٌّ مَرُو شديد، فأتبرّد بهذه  
الخُلُقَان.

قال: لا، ولكنك قشف. ثم أجرينا الحديث، فأجرى هو ذكر النساء فقال:

(١) راجع: «درة الغواص»، ص ١٠٥.

حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله (ص): «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها كان فيه سَدَادٌ من عَوَزٍ» فأورده بفتح السين.

قال: فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن حسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال: قال رسول الله (ص): «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها كان فيها سَدَادٌ من عَوَزٍ».

قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا نضر، كيف قلت سَدَادٌ؟ قلت: لأن السَدَادَ ها هنا لحن.

قال: أو تلحنني؟

قلت: إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه.

قال: فما الفرق بينهما؟

قلت: السَدَادُ، بالفتح، القصد في الدين والسبيل، والسَدَادُ، بالكسر، البُلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سَدَادٌ.

قال: أو تعرف العرب ذلك؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين هذا العرجي يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسَدَادٌ ثغر

فقال المأمون: قبح الله من لا أدب له، وأطرق ملياً ثم قال: ما مالك يا نضر؟

قلت: أريضة بمرؤاتصابيها واتمّزها.

قال: أفلا نفيدك مالاً معها؟

قلت: إني إلى ذلك لمحتاج.

قال: فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب. ثم قال: كيف تقول إذا أمرت

أن يترّب؟

قلت: اترّبهُ.

قال: فهو ماذا؟

قلت: مُتَرَبُّ.

قال: فمن الطين؟

قلت: طَنَّهُ.

قال: فهو ماذا؟

قلت: مطين.

قال: هذه أحسن من الأولى. ثم قال: يا غلام، أترَبُهُ وِطْنُهُ. ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل بن سهل. قال: فلما قرأ الفضل الكتاب قال: يا نضر، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أكذبه، فقال: لحت أمير المؤمنين؟ فقلت: كلاً إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، وقد تُتَبِعَ ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار، ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني.

## ٢٠٣

### أضاعه فوجده فرده

قال عبد الله بن رجاء<sup>(١)</sup>: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنته الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دبّ الشراب فيه غرّد بصوت عالٍ وهو يقول:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر  
فلا يزال يشرب ويردّد هذا البيت حتى يأخذه النوم. وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته مرة فسأل عنه فقيل: أخذه العَسَسُ<sup>(٢)</sup> منذ ليلٍ وهو محبوس. فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ وركب بغلته واستأذن على الأمير، فقال الأمير: إيدنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه، وقال: ما حاجتك؟

فقال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليلٍ، يأمر الأمير بتخليته.

(١) انظر القصة في: «تاريخ بغداد»، ١٣: ٣٦٢، و«الأغانى»، ١: ٣٨٩.

(٢) العسس: رجال الأخلاق الذين يطوفون بالليل بحثاً عن المشاغبين.

فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم  
أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه  
وقال: يا فتى أضعنك؟  
فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق.  
وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

## ٢٠٤

### خَلَّصَهُ وَخَلَّصَ نَفْسَهُ

قال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع صاحب  
المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان  
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك  
بيوم أو يومين جاز الاستثناء. وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً  
باليمين. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب  
جُندك بيعة.  
قال: وكيف؟

قال: يملفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم. فضحك  
المنصور وقال: يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة.  
فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي. قال: لا، ولكنك  
أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

## ٢٠٥

### هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ

قال أسد بن عمرو<sup>(١)</sup>: صلى أبو حنيفة فيما حُفِظَ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة  
العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يُسمع

(١) راجع: «تاريخ بغداد»، ١٣: ٣٥٤ و ٣٦٥.

بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه. وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة.

٢٠٦

### الدهاء والفتنة

كان يحيى بن أكثم بن صيفي من أدهى الناس وأخبرهم بالأمور، وقد رأيت في بعض المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض المستراحات، فوقف، فقال له المأمون: اصعد، فصعد وجلس على طرف السرير معه. فقال أحمد: يا أمير المؤمنين إن القاضي يحيى صديقي ومن أثق به في جميع أموري، وقد تغير عتاً عهدته منه. فقال المأمون: يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم، وما يعد لكما عندي أحد، فما هذه الوحشة بينكما؟ فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين والله إنه ليعلم أني له على أكثر مما وصف، ولكنه لما رأى منزلي هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوماً فأقده في عندك، فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني، وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبداً. فقال المأمون: أكذلك يا أحمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: استعين بالله عليكما، فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما.

٢٠٧

### لماذا يُسمى الروم «بنو الأصفر»

ها هنا نكتة غريبة يُحياج إليها ويكثر السؤال عنها، وهي: أن أهل الروم يقال لهم «بنو الأصفر» واستعملته الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة:

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

ولقد تتبعت ذلك كثيراً فلم أجد ما يشفي الغليل، حتى ظفرت بكتاب قديم  
 اسمه «اللفيف» ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته:  
 عن أبي العباس عن أبيه قال: انخرم مُلك الروم في الزمان الأول، فبقيت منه  
 امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شرٌّ، فاصطلحوا على أن يملكوا أول من  
 يُشرف عليهم، فجلسوا مجلساً لذلك، وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي  
 يريد الروم، فأبّق العبد منه، فأشرف عليهم فقالوا: انظروا في أي شيء وقعتم؟  
 فزوجه تلك المرأة، فولدت غلاماً فسموه «الأصفر» فخاصمهم المولى، فقال  
 الغلام:

صدق أنا عبده فأرضوه، فأعطوه حتى رضي، فبسبب ذلك قيل للروم بنو  
 الأصفر، لصفرة لون الولد، لكونه مولداً بين الحبشي والمرأة البيضاء، والله أعلم.

## ٢٠٨

### المذاكرة أعجب من الصلة

كان المأمون يكرم جانب أبي عبد الله محمد بن عمر عمر الواقدي ويبالغ في  
 رعايته. وكتب إليه الواقدي مرة يشكو ضائقة لحقته وركبه بسببها دين، وعين مقداره  
 في رسالته، فوقع المأمون فيها بخطه:  
 فيك خلّتان<sup>(١)</sup>: سخاء وحياء، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت، والحياء  
 حملك أن ذكرت لنا بعض دينك، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت، وإن كنا قصرنا  
 عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك،  
 فإن خزائن الله مفتوحة وبه بالخير مبسوطه، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء  
 الرشيد أن النبي (ص) قال للزبير: يا زبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش. ينزل الله  
 سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلّ قلّ عليه.  
 قال الواقدي: وكنت نسيت الحديث، فكانت مذاكرته إياي أعجب إليّ من  
 صلته.

(١) خلّتان: عادتان، خصلتان.



### أريحية أهل الخير والمعروف

روى المسعودي في كتاب «مروج الذهب» أن الواقدي الذي تقدم ذكره قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد فقالت امرأة: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم.

قال: فكتبتُ إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر، فوجّه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم فما استقرّ قراره حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجّهت إليه الكيس بحاله، وخرجتُ إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتي، فلما دخلتُ عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنّني عليه. فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: أصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه فقال لي: إنك وجّهت إليّ وما أملك على الأرض إلّا ما بعثت به إليك، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجّه كيسي بخاتمي.

قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنّا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون فدعاني وسألني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحدٍ منّا ألف دينار وللمرأة ألف دينار.

### لقمان ولبد

كان لقمان بن عاد قد سيّره قومه - وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز - إلى الحرم يستقي لهم، فلما هلك عاد خيراً لقمان بين أن يعيش عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر، كلما هلك نسر خلف بعده نسر آخر، فاختار

النسور، فكان يأخذ الفرخ عند خروجه من البيضة فيريه فيعيش ثمانين سنة، وهكذا، حتى هلك منها ستّة، وبقي السابع فسُمّي لبدّاً، فلما كبر وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان: انفضّ لبد، فلما هلك لبد مات لقمان. وقد ذكرت العرب لبدّاً في أشعارها كثيراً. فمن ذلك قول النابغة الذبياني: أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

٢١١

### المستنصر وأيام الغلاء

أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله، بُيع بالأمر بعد موت والده الظاهر سنة ٢٤٧ هـ، وجرى على أيامه ما لم يجرِ على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه أو تأخره.

منها: أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام، وأقام سبع سنين، أكل الناس بعضهم بعضاً، حتى قيل إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده، وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع. وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الأمر توجّهت أمّ المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع، وذلك في سنة ٤٦٢ هـ، وتفرّق أهل مصر في البلاد وتشتتوا، ولم يزل هذا الأمر على شدّته حتى تحرّك بدر الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر وجاء إلى مصر وتولّى تدبير الأمور فصلّحت، وشرح ذلك يطول.

٢١٢

### العجب وحسن الإتفاق

قرأ بعض الفضلاء في أحد الكتب أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسامراء وهو لا يعرفها، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها

وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحداث. وتمثل بقول الشريف الرضي المذكور<sup>(١)</sup>:

ولقد وقفتُ على ربوعهم وطلوها بيد البلي نهبُ  
فبكيتُ حتى ضجَّ من لغبِ نضوي ولجَّ بعذلي الركبُ  
وتلفتتُ عيني فمد خفيتُ عني الطلول تلفت القلبُ

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات فقال له: هل تعرف هذه الدار لمن هي؟

فقال: لا.

فقال: هذه الدار لصاحب هذه الأبيات، الشريف الرضي، فتعجباً من حسن الإتفاق.

ولقد اذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري في كتاب «درة الغواص في أوهام الخواص»<sup>(٢)</sup> وهي على ما رواه أن عبيد بن شربة الجرهمي عاش ٣٠٠ سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة، فقال له: حدثني بأعجب ما رأيت، فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر:

يا قلبُ إنك من أسماء مغرورُ فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكيرُ  
قد بحث بالحَبِّ ما تخفيه من أحدٍ حتى جرت لك أطلاقاً محاضيرُ  
فلست تدري وما تدري أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخيرُ  
فاستقدر الله خيراً وأرضين به فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ  
وبينما المرء في الأحياء مغتبطُ إذا هو الرمسُ تعنوه الأعاصيرُ<sup>(٣)</sup>  
يبكي الغريب عليه ليس يعرفهُ وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ

قال، فقال لي رجل: أتعرف من يقول هذا الشعر؟ فقلت لا، قال: إن قائله هو الذي دفناه الساعة، وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست تعرفه، وهذا الذي

(١) ديوانه، ١: ١٨١.

(٢) «درة الغواص»، ص ٥٥.

(٣) الرمس: القبر. وتعنوه: تحموه.

خرج من قبره أمسُّ الناس رحماً به وأسَرَّهم بموته .  
فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً ، فمن الميت ؟  
قال : هو عثير بن لبيد العذري .

❖ ❖ ❖ ٢١٣ ❖ ❖ ❖

### يريد فروة من صفاتها : كذا . . .

ذكر العماد الأصبهاني في كتاب «الخريدة» أن أبا الفتح محمد بن عبيد الله بن الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر كان صاحبه لما كان بالعراق . فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يطلب منه فروة ، وذكر الرسالة وهي :

«وقد كلف مكارمه وإن لم يكن للجود عليها كلفة ، وأتحفه بما وجهه إليه من أمله وهو لعمر الله تحفه ، أهدى فروة دمشقية ، سرية نقيّة ، يلين لمسها ، ويزين لبسها ، ودباغتها نظيفة ، وخياطتها لطيفة ، طويلة كطوله ، سابغة كأنعمه ، حالية كذكره ، جميلة كفعله ، واسعة كصدره ، نقية كعرضه ، رفيعة كقدره ، موشية كنظمه ونثره ، ظاهرها كظاهره ، وباطنها كباطنه ، يتجمل بها اللابس ، وتتحلّى بها المجالس ، وهي لخادمه سربال ، وله - حرس الله مجده - جمال ، يشكره عليها من لم يلبسها ، ويثني عليه من لم يتدرعها ، تذهب خميلة وبرها ، ويبقى حميد أثرها ، ويخلف إهابها وجلدها ، ويتجدّد شكرها وحدها ، وقد نظم أبياتاً ركب في نظمها الغرر ، وأهدى بها التمر إلى هجر ، إلا أنه قد عرض الطيب على عطاره ، ووضع اثوب في يد بزازه ، وأحلّ الثناء في محله ، وجمع بين الفضل وأهله ، وهي في حسنه وخفارة كرمه» ثم ذكر القصيدة التي أولها<sup>(١)</sup> :

بأبي من ذبت في الحر      بّ له شوقاً وصبوة

وهي موجودة في ديوانه .

وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروي أيضاً ، وهما طويلتان .

---

(١) ديوانه ، ص ٤٥٣ .

## الدنيا تنقل من قومٍ إلى قوم

كان الوزير ابن الزيات<sup>(١)</sup> قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال في أيام وزارته. وكان يعدب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشدّ الألم ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة.

وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني فيقول له: الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور، وقيده بخمسة عشرة رطلاً من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة - كما كان يقول للناس - فطلب دواة وبطاقة فاحضرتا إليه فكتب:

هي السبيلُ فمن يومٍ إلى يومٍ كأنه ما تريك العينُ في النومِ  
لا تجزعنَ رويداً إنها دولٌ دنيا تنقلُ من قومٍ إلى قومٍ  
وسيرها إلى المتوكل، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجها، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً وذلك في سنة ٢٣٣ هـ وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً.

ولما مات وجد في التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول:

من له عهدٌ بنومٍ يرشد الصَّبَّ إليه  
رحم الله رحيماً دلَّ عيني عليه  
سهرت عيني ونامت عين من هُنتُ لديه

وقال أحمد الأحول: لما قبض على ابن الزيات تَلَطَّفْتُ إلى أن وصلت إليه فرأيتُه في حديدٍ ثَقِيلٍ، فقلت له: يعزُّ عليَّ ما أرى، فقال:

(١) ابن الزيات: كان وزير المعتصم بالله.

سل ديار الحي من غيرها وعفاها ومحا منظرها  
وهي الدنيا إذا ما أقبلت صيرت معروفها منكراها  
إنما الدنيا كظلٍ مائلٍ نحمد الله كذا قدرها

وعندما دُفن لم يعمق قبره فنبشته الكلاب وأكلته .  
وكان الجاحظ منقطاً إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه ، فغاب وكان يقول : كدتُ  
أكون . . .

وحكى ابن أبي العيناء قال :  
كنت عند ابن أبي داود بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً وكان في  
أسبابه وناحيته ، وعند ابن أبي داود محمد بن منصور ، وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس  
وخورستان فقال ابن أبي داود للجاحظ : ما تأويل هذه الآية ﴿وكذلك أخذ ربك إذا  
أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد﴾ .  
فقال : تلاوتها تأويلها أعز الله القاضي .  
فقال : جيئوا بحداد .

فقال : أعز الله القاضي ، ليفك عني أو ليزيدني ؟  
فقال : بل ليفك عنك ، فجيء بالحداد وغمزه بعض أهل المجلس أن يعتف  
بساق الجاحظ ويطيل أسره قليلاً ، ففعل ، فلطمه الجاحظ وقال :  
إعمل عمل شهر في يوم ، وعمل يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة فإن الغرر  
على ساقى وليس بجدع ولا ساجة ، فضحك ابن أبي داود وأهل المجلس منه ، وقال  
ابن أبي داود لمحمد بن منصور : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه .



### قتلوه ودفنوا أعضائه في كل اتجاه

كان أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري من رجال الدهر جوداً وسخاءً وكتابةً وشهامة، استوزرهُ السلطان طغرلبيك السجلوقي ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، ولم يزل وزيراً إلى أن توفي طغرلبيك وقام في المملكة ابن أخيه ألب أرسلان الذي عزله من الوزارة سنة ٦٥٤ هـ لسبب يطول شرحه وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي وحبس عميد الملك الكندري بنيسابور في دار عميد خراسان، ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره، فكان في حجرة تلك الدار عياله، وكانت له بنت واحدة لا غير، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودّع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي همّ بقتله مائة دينار نيسابورية وقال:

حقي عليك أن تكفني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم، وقال لجلاّده: قل للوزير نظام الملك: بشئ ما فعلت، علّمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان، ومن حفر مهواة<sup>(١)</sup> وقع فيها، ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ورضي بقضاء الله المحتوم.

قتل سنة ٤٥٦ هـ ومن العجائب أنه دُفنت مذاكيره بخوارزم، وأريق دمه بمرو الروذ ودُفن جسده بقرية كندر، وجمجمته ودماغه بنيسابور، وحُشيت سوائته بالتبن ونقلت إلى كرمان، وكان بها نظام الملك دفنت هناك، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، بعد أن كان رئيس عصره.

### الرازي ذلك الطبيب الماهر

ذكر القاضي التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» في باب من اشتدّ بلاؤه بمرض فعافاه الله بأيسر سبب وأقاله: أن غلاماً من بغداد قدم الريّ وكان ينفث

(١) المهواة: الحفرة.

الدم، وكان لحقه ذلك في طريقه، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحدق، صاحب الكتب المصنفة، فأراده ما ينث ووصف له ما يجد. فأخذ الرازي مجسّه، ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتداء ذلك به، فلم يقد له دليل على سلّ أو قرحة، ولم يعرف العلّة، واستنظر الرجل لينتظر في الأمر، فقامت على العليل القيامة وقال: هذا أياس لي من الحياة لحدق الطبيب وجهله بالعلّة، فزاد ما به من الألم، فولد الفكر للرازي أن عاد إليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه، فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج، فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذكاء أن علقه كانت في الماء وقد حصلت في معدته وأن ذلك الدم من فعلها وقال له: إذا كان في غدٍ جئتكَ فعالجتك ولم أنصرف حتى تبرأ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك لما أمرهم، فقال: نعم.

فانصرف الرازي فجمع ملء مركنين كبيرين من طحلب فأحضرهما في غدٍ معه فأراه إياهما وقال له: ابلع.

فقال: لا أستطيع.

فقال للغلمان: خذوه فأنيموه، ففعلوا به ذلك، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه وأقبل الرازي يدسّ الطحلب في حلقة ويكبسه كبساً شديداً ويسأله أن يبلعه ويهدّده بأن يضرب إلى أن أبلعه كارهاً أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء إلى أن قال العليل: الساعة أقذف، فزاد الرازي في ما يكسبه في حلقة، فذرعته القوي فقف، فتأمل الرازي قذفه فإذا فيه علقه، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قرّبت إليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب ونهض العليل معافى.

❖ ❖ ❖ ٢١٧ ❖ ❖ ❖

### هل هذه صلاة أبي حنيفة؟

ذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه «مغيث الخلق في اختيار الأحق» أن السلطان محموداً بين سبكتكين كان على مذهب أبي حنيفة، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكان يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه،



وهو يسمع، وكان يستفسر الأحاديث، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي، فوقع في خلده حكمة، فجمع الفقهاء من الفريقين في مَرَوْ والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين عى الآخر، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي، وعلى مذهب أبي حنيفة، لينظر فيه السلطان، ويتفكر ويختار ما هو أحسنها.

فصل «القفال المروزي» بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة، وأتى بالأركان والهيئات والسّنن والآداب والقرائض على وجه الكمال والتبام وقال: هذه صلاة لا يجوز الإمام الشافعي دونها.

ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطح ربهه بالنجاسة، وتوضأ بنبذ التمر، وكان في صميم الصيف في المفازة، واجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكساً منعكساً، ثم استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء، وكبر بالفارسية «دوبركك سبز» ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع، وتشهد، وضرط في آخره من غير نية السلام وقال: أيها السلطان، هذه صلاة أبي حنيفة.

فقال السلطان: لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين، فأنكرت الحنيفة أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين جميعاً، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاها القفال. فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي. انتهى كلام إمام الحرمين.

❖❖❖ ٢١٨ ❖❖❖

### معذور بما صنع

ليحيى بن المنعم النديم مع المعتضد وقائع ونوادر، فمن ذلك ما حكاها أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب «مروج الذهب»<sup>(١)</sup> عن يحيى

(١) راجع: «مروج الذهب»، ٤: ٢٧٩.

المذكور أنه قال: كنت يوماً بين يديّ المعتضد وهو مغضب، فأقبل بدر مولاه، وكان شديد الغرام به، فلما رآه من بعيد ضحك وقال: يا يحيى من الذي يقول من الشعرا:

في وجهه شافع يحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعنا  
فقلت: يقوله الحكم بن عمرو الشاري.  
فقال: لله درّه! أنشدني هذا الشعر، فأنشدته:

ويلي على من أطار النوم فامتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا  
كأنه الشمس من أعطافه لمعت حسناً أو البدر من أزراره طلعا  
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الذنوب ومعدور بما صنعنا  
في وجهه شافع يحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعنا

❖ ❖ ❖ ٢١٩ ❖ ❖ ❖

### قطع الله يديك ورجليك

قال الجاحظ: سألتني بعضهم كتاباً بالتوصية إلى بعض أصحابي، فكتبت له رقعة وختمتها. فلما خرج الرجل من عندي فضّها فإذا فيها: «كتابي إليك مع من لا أعرفه ولا أوجب حقّه، فإن قضيت له حاجة لم أحملك، وإن رددته لم أذمك».

فرجع الرجل إليّ، فقلت له: كأنك فتحت الرقعة وقرأتها؟  
قال: نعم.

قلت: لا يضيرك ما فيها، فإنه علامة لي إذا أردت العناية بشخص!  
فقال: قطع الله يديك ورجليك ولعنك!  
قلت: ما هذا؟! ما هذا؟

قال: هذا علامة لي إذا أردت أن أشكر أحداً..

❖ وقال الجاحظ:

ما أنجلني أحد إلا امرأتان: رأيت إحداهما، وكانت طويلة القامة، وكنت على

طعام فأردت أن أمازحها فقلت لها؛ انزلي كُلي معنا (معرّضاً بطولها). فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا (معرّضة بقصره).

\* وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب داري فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي. فقممت معها إلى أن أتت بي إلى صائغ وقالت له: مثل هذا وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إليّ تسألني أن أنقش لها على خاتم صورة شيطان فقلت لها ما رأيت الشيطان لأنقش صورته. فذهبت فأنت بك وقالت ما سمعت.

❖ ❖ ❖ ٢٢٠ ❖ ❖ ❖

### عُنيزة صاحبة امرئ القيس

جاء في كتاب شرح المعلقات السبع للزوزني، وفي كتاب الأغاني للأصفهاني ما يلي:

ذكر رواية أيام العرب أن امرأة القيس بن حجر بن عمرو الكندي كان يعشق عُنيزة ابنة عمّه شرحبيل، وكان لا يحظى بلقائها ووصالها، فانتظر ظعن<sup>(١)</sup> الحبي، وتخلّف عن الرجال حتى إذا ظعن النساء سبقهنّ إلى الغدير المسمى دارة جلجل واستخفى لأنه كان يعلم أنهنّ سيردن هذا الماء ويغتسلنّ.

فلما وردت العذارى اللواتي كانت عُنيزة فيهنّ وخلعنّ ثيابهنّ وشرعنّ في الإنغماس في الماء ظهر امرؤ القيس وجمع ثيابهنّ وجلس عليها، ثم حلف على أن لا يدفع إليهنّ ثيابهنّ إلّا بعد أن يخرجنّ إليه عاريات. فخاصمنه زمناً طويلاً من النهار فأبى إلّا إبراز قسمه، فخرجت إليه أوقههنّ فرمى بثيابها إليها، ثم تتابعن حتى بقيت عُنيزة، وأقسمت عليه فقال: يا ابنة الكرام لا بدّ لك أن تفعلي مثل ما فعلنّ، فخرجت إليه فرآها مقبلة ومدبرة.

فلما لبسنّ ثيابهنّ أخذت في عذله وقلن: قد جوعتنا وأخرتنا عن الحبي. فقال لهن: لو عقرت راحلتي أتناكلن؟

---

(١) ظعن: خروج وارتحال.

قلن: نعم.

فعقر راحلته ونحرها، وجمعت الإماء الحطب وجعلن يشوين اللحم إلى أن شبعن، وكانت معه ركوة فيها خر فسقاهن منها، فلما ارتحلن قسمن أمتعته فبقي هو دون راحلة فقال لعنيزة: يا ابنة الكرام لا بد لك من أن تحمليني، وألحت عليها صواحبا أن تحمله على مقدم هودجها، فحملته، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها ويشمها، وذكر هذه القصة في أثناء معلقته التي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

٢٢١

### معاوية أدهى

جاء في بعض المجاميع<sup>(١)</sup> أن أعرابياً طلب إلى حاجب معاوية أن يستأذن له بالدخول عليه، فلما سأله عن اسمه وحاجته أجاب «أنا أخوه لأبيه وأمه» ولم يزد على ذلك.

ولما أذن له بالدخول، سأله معاوية: «أي الأخوة أنت؟»

فقال الأعرابي: ابن آدم وحواء.

فقال الخليفة: يا غلام، أعطه درهماً.

فقال الرجل: أتعطي أخاك لأبيك وأمك درهماً واحداً؟

فقال معاوية: لو أنني أعطيت كل ما في بيت المسلمين لأخوتنا من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا الدرهم.

٢٢٢

### ليلي الأخيلية وتوبة

جاء في كتاب الأغاني أن ليلي الأخيلية من بني عامر، كانت بارعة الجمال، أحبها توبة بين الحمير وأحبته فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها رجلاً من بني

(١) المجاميع: جمع مجموع، وهو عدة موضوعات تكون في كتاب واحد.

الأدلع فكان شديد الغيرة عليها. وكان توبة كثير الغارات فقتل في إحدى غاراته، فرثته ليلي. ويروى أنها مرت بقبر توبة في أحد الأيام وهي في هودجها ومعها زوجها. فأرادت أن تسلم على توبة فأبى زوجها، فألحت، وصعدت، وهي في هودجها، إلى أكمة فيها قبر توبة. فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفتُ له كذبة قط قبل هذه.

قالوا: وكيف؟

قالت: أليس هو القاتل:

ولو أن ليلي الأخيلىة سلّمت عليّ ودوني تربةً وصفائح<sup>(١)</sup> لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدىً من جانب القبر صائح  
قالت ليلي: فما باله لا يسلم عليّ كما قال؟  
فما أتمت كلامها حتى ثارت من جانب القبر بومة كانت كامنة أخافها الهودج، فنفر الجمل فوقعت ليلي على رأسها وماتت من وقتها، فدفنوها إلى جنبه.



### ما معنى أن نقول: رجع بحقي حنين؟

قرأت في مجمع الأمثال للميداني أن أحد الأعراب ساوم حُنيئاً الأسكافي على حُقي<sup>(٢)</sup>، ولكنه لم يشترهما بعد جدل طويل، فغاض حُنيئاً جدل الأعرابي، فقام وعلّق أحد الحقيّين في طريق الأعرابي، ثم سار وطرح الآخر في طريقه، وكمن له. فلما مرّ الأعرابي ورأى أحد الحقيّين قال: ما أشبه هذا بخفّ حُنين ولو كان معه الآخر لأخذته. فتقدّم، ورأى الحفّ الثاني مطروحاً فندم على تركه الأول، فنزل وعقل راحلته<sup>(٣)</sup> ورجع إلى الأول.

(١) الصفائح: الحجارة.

(٢) الحفّ: الخداء.

(٣) الراحلة: الناقة.

فذهب حنين براحلته، ورجع الأعرابي إلى الحيّ وليس معه إلاّ الخفّان . فقال له قومه : ما الذي جئت به من سفرك؟ فقال : جئتكم بخفيّ حنين . «يضرب هذا المثل عند الرجوع بالخبية» .

❖❖❖ ٢٢٤ ❖❖❖

ما معنى أن نقول : إن وراء الأكمة ما وراءها؟

يقال إن فتاة واعدت صديقها أن تأتيها وراء الأكمة إذا فرغت من عملها في البيت ليلاً، فشغلها أهلها بما يأمرونها به من العمل، فقالت حين غلبها الشوق : حبستموني، وإن وراء الأكمة ما وراءها . يضرب هذا المثل لمن يفشي على نفسه أمراً مستوراً .

❖❖❖ ٢٢٥ ❖❖❖

ما معنى أن نقول : جزاء سنّار؟

سنّار رجل رومي بنى قصر الخوّرنق في العراق للنعمان، أحد ملوك المناذرة، فلما فرغ منه ألقاه الملك من أعلاه فخرّ ميتاً . وإنما فعل ذلك لثلاً بيّني مثله لغيره، فضربت العرب به المثل لمن يجزي الإحسان بالإساءة .

❖❖❖ ٢٢٦ ❖❖❖

لقد أحجلتني

ضمّ عثمان بن رواح السفر ورفيقاً له، فقال له الرفيق : امضِ إلى السوق فاشترِ لنا لحماً .

قال : والله ما أقدر . فمضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر .

قال : والله ما أقدر . فطبخها الرفيق، ثم قال : قم وضع الأكل على الطاولة، فقال : والله ما أقدر، فوضعها الرفيق وقال له : قم الآن فكل . فقال : والله لقد أحجلتني واستحييت من كثرة خلافي عليك، ولولا ذلك ما فعلت .

### سرّ دموع التماسيح

يقول أحد علماء الحيوان: أن عيون التماسيح تدمع كلّما همّت بابتلاع فريسة كبيرة الحجم، لا لأنها تبكي عليها كما يُظن، بل لأن فتح الفكّين يسبب ضغطاً على الغدد الدمعية بالعين، فتسيل منها الدموع. لذلك درج بعضهم على وصف من يتظاهر بالحزن ويفتعل البكاء بأن دموعه كدموع التماسيح.

### بخلاء العرب وأغربة العرب وصعاليك العرب

جاء في كتاب الأغاني برواية ابن دريد عن أبي عبيدة قال: بخلاء العرب أربعة: الخطيئة، وحيد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان. وأخبر ابن الكلبي أن أغربة العرب ثلاثة هم: عنتره وأمّه زبيبة، وخفان بن عمير الشريدي وأمّه ندبة، والسليك بن عمير السعدي وأمّه السلكة، وإليه ينسبون.

أما صعاليك العرب منهم طائفة من الناس اشتهروا بالعدو السريع والغارة على القبائل للنهب والسلب وأشهرهم: الشنفرى، وتأبط سُرّا، وعروة بن الورد، والسليك بن السلكة، وعمرو بن البراق وأسيد بن جابر.

ومما يروى عن الشنفرى أنه حلف ليقتلن مئة رجل من بني سلامان، فقتل تسعة وتسعين، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيد بن جابر ثم قتله، فمرّ به رجل منهم فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتل مائة.

\*

### لمن الجائزة؟

عينَ أحد الملوك إكليلاً من الذهب يقدّمه جائزة لأعظم عملٍ يقوم به أحد أفراد رعيّته، وذات يوم مثل أمامه شاعر ورّسام وعالم. وتقدّم الشاعر فأنشد أمام الملك قصائد من روائع شعره. وبعده جاء الرّسام الذي عرض أمامه لوحاته الفنّية ورسومه الجميلة وخطه البديع.

وأخيراً جاء العالم وهو يحمل كتبه ويشرح للملك بعض اختباراتهِ وتجاربهِ ويوضح له الاكتشافات والاختراعات التي توصّل إليها في مباحثه. وفي النهاية ظهرت امرأة كلّ الشيب شعرها، فسألها الملك: ما لديك أيها العجوز؟ وما عندك لتقدميه؟ أجابت: إن الذين مثلوا أمامك أيها الملك هم أولادي، وقد جئت لأرى من منهم ينال الجائزة ويحظى بتاج الذهب؟ وهتف الملك على الفور: ضعوا التاج على رأس هذه السيدة صانعة هؤلاء الرجال العظماء.

### الإيثار

لما دالت دولة الأمويين، هرب مروان إلى جهة حرّان بالشام، وهرب معه كاتبه عبد الحميد بن يحيى. فقال له مروان: يا عبد الحميد فرّ أنت واتركني إلى الغوائل فإن العباسيين إذا قتلوني لم يحسروني غير أهلي، وأمّا أنت، فإنهم إذا قتلوك خسرتك العرب كلّها.

ولما عزم عليه بالفرار، فرّ عبد الحميد بعد أن قتل سيده مروان ولم يمسك به بنو العباس، فذهب واختفى بدار صديقه عبد الله بن المقفّع، ففاجأه الطلب وهو في بيته، فقال الذين دخلوا عليهما من الجند: أيكما عبد الحميد؟ فابتدر ابن المقفّع، وكان يعلم الداهية، فقال: أنا ذلك عبد الحميد. وأراد بهذا



القول أن يضلّل الجند خوفاً على صاحبه .  
وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال: ترفقوا بنا، فإنّ كلاً منا له  
علامات، فوكلوا بنا بعضكم ويمضي بعضكم الآخر، ويتفقّ علامتنا من عند من  
وجّهكم إلينا .  
ففعل الجنود وعادوا بعلامة عبد الحميد فأخذوه إلى السفّاح فقتله .

## ٢٣١

### مع تفاحة

أهدت جارية من جوارى المأمون تفاحة إليه وكتبت معها:  
«فكرت في هدية تخف مؤونتها وتهون كلفتها، ويحل موقعها، فلم أجد إلا أن  
أهدي إليك تفاحة، هي أحسن الفاكهة، قد اجتمعت فيها ألوان قوس قزح، من  
الصفرة الدريّة، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة، ولون التبر،  
يلتذ بها من الحواس: العين ببهجتها، والأنف بريحتها، والفم بطعمها. إن حملتها لم  
تؤذك، وإن رماك بها أحد لم تؤلك، فتناولها بيمينك، ولا تبعدها عن عينك، فإذا  
طال لبثها عندك، ومقامها بين يديك، وخفت أن تزول بهجتها، وتذهب نظرتها،  
فكلها هنيئاً مريئاً» .

## ٢٣٢

### أبلغ الكلام

كان موسى بن نصير يوالي فتوحه في الأندلس، حتى وصل إلى بلد حصين  
يسمى «ماردة» فوجد العدو قد تحصّن به. وحاول العرب مرّة بعد مرّة إجلاء العدو،  
ولكن عبثاً، فلمّا يشّوا أقبل نفر من الجند إلى القائد وقالوا له: «لا سبيل إلى هؤلاء  
القوم، وهذا حصن صغير نستطيع أن نخافه، وقد كلّت أجسامنا من السعي، وما  
نرى إلا الرجوع» .  
فابتسم القائد الكبير، وكان في نحو الخامسة والثمانين من العمر وقال: «ليعد

منكم من يريد، أما أنا فقد خرجت في سبيل الله، ولن أعود إلا أن يشاء الله والجنة في آخر هذا الطريق». ثم امتطى حصانه واستعدّ للهجوم فاجتمع حوله الجند. وبعد ساعات كان الحصن قد استسلم.

٢٣٣

### الشاعر والبراغيث

أرق أحد الشعراء وهو مدمن للخمرة، ولم يكن لديه شراب، وحالت البراغيث دون إغفائه فكتب إلى صديق له يقول:

أشكو إليك براغيث بُليتُ بها      سوداً إذا انتبَهْتُ في الليل لم أنم  
أصيد ذا فيبقى ذا فيلدغني      فينقضي الليل في صيدي ولدغهم  
وقد تيقَّنتُ أني ليس ينقذني      غير الشراب وليس الصحو من شيمي  
فابعثْ إليّ دَمَ العنقود أشربه      حتى إذا نمتُ لم أشعر بسفك دمي

٢٣٤

### المتنبّي وبائع البطيخ

المعروف عن المتنبّي أنه كان لا يكفّ عن مدح الكرم وأهله، وكانت فيه كبرياء وعلوّ همّة، ومع ذلك اشتهر بالبخل والحرص على المال، وقد قيل له: «إن بخلك ينافي ما تتّصف به من خلال وما تمدح وما تمدح به الناس». فقال أبو الطيب:

«إن للبخل عندي سبباً... وردت من الكوفة إلى بغداد في صباي، ومررت ببائع فاكهة عنده باكورة بطيخ فسألته: بكم تباع البطيخة؟ فقال غير مكترث: إذهب فليس هذا من أكلك. فقلت له: سألتك عن الثمن فأجبنى. فقال: البطيخة بدرهمين. فعرضتُ عليه خمسة دراهم ثمناً لخمس بطيخات فلم يقبل. وإذا شيخ من التجار يمرّ فوثب إليه صاحب البطيخ يدعو له ويقول: يا مولاي، هذا بطيخ

باكورة، فهل تأذن لي أن أحمله إلى دارك؟ فساومه الشيخ في الثمن وقبل البائع أن يبيع البطيخات الخمس بدرهمين، وحملها إلى دار الشيخ ورجع مسروراً بما فعل. فقلت له: ما رأيت أعجب من جهلك يا هذا. عرضتُ عليك خمسة دراهم فأبيت وقبلت من ذلك الشيخ درهمين. فقال لي: اسكت، إن هذا الرجل يحمل مائة ألف دينار. فقلت: إن الناس لا يكرمون أحداً إلا إذا كان يملك المال الكثير، وأنا لا أزال حريصاً على المال حتى أسمع الناس يقولون: إن أبا الطيّب قد ملك مائة ألف دينار.

۲۳۵

\* الرقم ١٣ :

**\* حدوة الحصان:**

**\* المشى تحت السلام:**

### \* تحطيم المرايا:

من العقائد الشائعة في كثير من بلاد العالم أن تحطيم المرايا يجلب سوء الحظ، ومرجع هذه العقيدة أن انعكاس الصورة في الماء أو فوق زجاج المرآة يمثل الروح - أو ما كان يسميه المصريون القدماء «القرين» - وتحطيم المرآة نذير بتحطيم الروح وفراقها للجسد.

٢٣٦

### إِنْ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ

عن ابن الكلبي عن أبيه قال:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله (ص) فسأله بعض الأنصار عما يُتحدث به عنه من المؤودات<sup>(١)</sup> التي وأدَّهنَّ من بناته، فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدَّها. ثم أقبل على رسول الله (ص) يحدثه فقال له:

كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن مؤودة قط إلا بُنيَّة لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم.

وقدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً.

ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبيَّة ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من الطيب، ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة عقيق وجعلت في عنقها قلادة بلّح. فقلت، من هذه الصبيَّة فقد أعجبتني جمالها وعقلها. فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميتاً وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فامسكت حتى إذا كانت أمها في شغل عنها أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما تصنع بي؟! وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت

(١) المؤودات: اللواتي يُدفنَ وهنَّ أحياء، وهي عادة كانت شائعة عند البعض في أيام الجاهلية وأسبابها كثيرة (راجع: «الأغاني»، ١٤: ٧٢).

بالتراب؟! أثاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟! وجعلت أقذف عليها التراب حتى واريثها وانقطع صوتها، فما رحمت أحداً ممن واريثه غيرها.  
فدمعت عينا النبي (ص) ثم قال: «إن هذه لَقَسوة، وإن من لا يرحم لا يُرحم».

### من نوادر المعلمين

حكى الجاحظ فقال: ألفت كتاباً عن نوادر المعلمين، وما يقع لهم. ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع الكتاب، فدخلت يوماً مدينة، فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فردّ عليّ أحسن ردّ، ورحب بي، فجلست عنده وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر فيه، ثم باحثته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله ممّا يقوّي عزمي على تقطيع الكتاب. وكنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته فإذا بالكتاب مغلق، ولم أجده، فسألت عنه ف قيل مات له ميتٌ فعزن عليه، وجلس في بيته للغزاء فذهبت إلى بيته وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية، وقالت: «ما تريد؟» قلت: «سيدك».. فدخلت وخرجت. وقالت «باسم الله»، فدخلتُ إليه، فإذا به جالس، فقلت له: «عظم الله أجرك، كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر».. ثم قلت له: «هذا الذي توفي ولدك؟» قال: «لا» فقلت: «فأخوك» قال: «لا». قلت: «فزوجك» قال: «لا» قلت: «ومن هو منك؟» قال: «حبيبي».. قلت: «سبحان الله، النساء كثير، وستجد غيرها». فقال: «أتظنّ أُنِي رأيتها؟» قلت: «هذه منحسة ثانية» ثم قلت: «وكيف عشقت من لم تر؟» فقال:

- كنت جالساً في هذا المكان، فرأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمةً رديّ عليّ فؤادي أينما كانا  
فقلت في نفسي: لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر.. فعشقتها. فلما كان منذ يومين مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار  
فعلمت أنها ماتت، فحزنت عليها وأغلقت المكتب، وجلست في الدار.  
فقلت:

«يا هذا إني كنت ألقت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبك  
عزمت على تقطيعه، والآن قد قويت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك إن شاء  
الله».

٢٣٨

### قصة زرقاء اليمامة وهند بنت النعمان

جاء في كتاب الأغاني:

روي عن هند بنت النعمان أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة  
أحبت امرأة في العرب؛ فان الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً، فغزا  
قوم من العرب اليمامة، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول مع  
الزرقاء؟ فاجتمع رأيهم على أن يقتلوا شجراً تستر كل شجرة منها الفارس إذا  
حملها، فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته، وساروا بها؛ فأشرفت كما كانت تفعل،  
فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ - وذلك في آخر النهار - قالت: أرى شجراً يسير؛  
فقالوا: كذبت، أو كذبت عينك! واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا، صبحهم القوم  
فاكتسحوا أموالهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها: فوجدوا  
فيها عروفاً سوداً، فسئلت عنها فقالت: إني كنت أديم الاكتحال بالأثمد، فلعل  
هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام. وبلغ هنداً خبرها، فترهبت ولبست المسوح،  
وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

٢٣٩

### الجاحظ... ورسالة الترييع والتدوير

كان رجل في عصر الجاحظ اسمه «ابن عبد الوهاب» مدّعياً بنفسه فأرسل إليه  
الجاحظ متهكماً:

«أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك . قد علمت حفظك الله، إنك لا تحسد على شيء حسدك على حسن القامة، وضخم الهامة، وعلى حور العين وجودة القد، وعلى طيب الأحذوثة والصنعة المشكورة. وإن هذه الأمور هي خصائصك التي بها تكلف، ومعانيك التي بها تلهج . . . وبعد، أبقاك الله فأنت في يدك قياسك الذي إليه تنسب، ومذهبك الذي إليه تذهب، أن تقول: وما علي أن رآني الناس عريضاً وأكون في حكمهم غليظاً، وأنا عند الله طويل جميل، وفي الحقيقة مقدود رشيق. وقد علموا، أبقاك الله، أن لك مع طول الباذ ركباً طول الظهر جالساً. ولكن بينهم فيك إذا قمت اختلاف، وعليك لهم إذا اضطجعت مسائل، ومن غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت أنا لم نر مقدوداً واسع الجفرة غيرك، ولا رشيقاً مستفيض الخاصرة سواك، فأنت المديد، وأنت البسيط، وأنت الطويل وأنت المتقارب. فيا شعراً جمع الأعاريض ويا شخصاً جمع الاستدارة والطول! بل ما يهّمك من أقاويلهم ويتعاطمك من اختلافهم، والراسخون في العلم والناطقون بالفهم يعلمون أن استفاضة عرضك قد أدخلت الضيم على ارتفاع سمكك، وإن ما ذهب منك عرضاً قد استغرق ما ذهب منك طولاً. ولئن اختلفوا في طولك لقد اتفقوا في عرضك، وإذا قد سلموا لك بالرغم شطراً ومنعوك بالظلم شطراً، فقد حصلت ما سلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا.

ولعمري أن العيون لتخطيء وأن الحواس لتكذب وما الحكم القاطع إلا للذهن، وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل، إذا كان زمناً على الأعضاء وعبارة على الحواس . . .»

### قصّة في شعر

#### الرقص المقتنع

قرأت في بعض الكتب القصيدة النادرة التالية:

الحشد مك الدار لكن لم ير أحداً سواها

فتانة... خلابة	كالياسمينه في شذاها
أوفى عليها وهي تخطر	كالفراشة فاشتهاها
شكت الصباية مقلته	فجاوبته مقلتها
حتى إذا ما اختار كل	فتى رفيقته اصطفاه
ورأت به من تبتغي	وكما رأته كذا رآها
وتقدما للرقص يقرأ	ناظريه ناظراها
متلاصقي الجسمين يسند	ساعديه ساعداها
وتكاد لولا الخوف تلمس	وجنتيه وجنتها
متدافعين كموجتين	خطاه تتبعها خطاها
يمشي فتمشي وهي تحسبه	يسير على حشاها
هي في لثام كالدجى	محلولك وكذا فتها
لكننا الاحاظ تخرق	الشعور وما وراها
فاض الغرام فقال آه	وقالت الحسناء.. آها
فانسئل من أصحابه	سراً وأغضت جارتها
ومشى بها في روضة	قد نام عنها حارسها
حتى إذا أمنا الورى	وشكا الهوى وشكت هواها
طارت ببرقعها وبرقعته	على عجل يداها
كيما تقبل ثغره	ويقبل المعشوق فاها
فرأى المتيم بنته	ورأت مليحتنا أبها

### أقدم قصيدة غرام تنظمها امرأة في زوجها

كشفت الحفريات الأثرية، التي أجريت في هذا القرن في العراق وتركيا، عن أقدم حضارة في العالم، يرقى عهدها إلى ستة آلاف سنة، أسسها السومريون في البلاد الواقعة جنوب الجزيرة الفراتية، والممتدة إلى الخليج الفارسي. وقال العلماء



المشتغلون بالسومريات إن هذه الحضارة هي أول حضارة عرفها الانسان، فقد سبقت حضارة الصين والهند، كما سبقت الحضارة الفرعونية والحضارة الفينيقية، ثم حضارات بابل واليهود واليونان، مما دعا العالم الأثري الأميركي «كرامر» أستاذ السومريات في جامعة بنسلفانيا واحد المتخصصين بالحضارة السومرية، أن يؤلف كتاباً ضخماً ضمّنه خلال أعماله واكتشافاته السومرية خلال ربع قرن سمّاه «التاريخ يبدأ بسومر». «سومر: بلد من بلاد ما بين النهرين» خلال السبعين السنة الأخيرة، عثر على آلاف من الألواح السومرية الصغيرة والكبيرة، كتب عليها بالحروف الأكادية، وهي من فصيلة الحروف السامية. وبعد جهود جبارة استطاع العلماء حل هذه الكتابات ومعرفة ما فيها، فإذا هي تسجّل تاريخ سومر من نواحيه المختلفة: في صلاتها بالدول المجاورة، وحكوماتها وبرلماناتها، وحروبها الأهلية وثقافتها من طب وزراعة وريّ وفلسفة وأخلاق وحكمة وما وراء الطبيعة من البعث والحساب والجنّة والنار الخ... وهذه الألواح محفوظة في متاحف أميركا وتركيا والعراق وألمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان.

ومنذ ربع قرن والعلماء يجدّون في ترجمة هذه اللوحات، وحتى الآن لم يترجموا أكثر من خمسة آلاف منها.

وبين هذه الألواح لوح محفوظ في محتف الآثار الشرقية باستامبول عثر عليه العالم الأميركي «كرامر» فتبيّن له أن فيه أقدم قصيدة حب، تتغنّى فيها إحدى العرائس بجمال زوجها وحبّه. وكان هذا الزوج ملكاً على سومر منذ أربعة آلاف سنة. كانت العادة في سومر أن يتزوج الملك كل سنة إحدى الفتيات اللواتي نذرن أنفسهن لآلهة الحب «اينانا» ليضمن الخصب في الأرض، فتعطي الناس من ثمرها، والخصب في النساء فيلدن الأولاد وكانت حفلة الزواج تجري في أول يوم من العام. وكانت تسبقها الأعياد والولائم، فتهزج فيها الأهازيج، وتقام الرقصات، وترسل الأنغام وتشد الأشعار. ويعتقد العالم «كرامر» أن من المحتمل أن تكون قصيدة الحب هذه مما ألّفته إحدى الفتيات العرائس أمام زوجها الملك ليلة زفافها، في تلك الأعياد. وهذه ترجمة القصيدة.

أيها الزوج العزيز على قلبي!

جمالک باهر، وحلو كالعسل .

أيها الأسد العزيز على قلبي !

جمالک باهر وحلو كالعسل .

أسرتني، فدعني أقف مضطربة أمامك .

أريد أن تقودني بيدك إلى الغرفة .

أسرتني، فدعني أقف مضطربة أمامك .

أيها الأسد، أريد أن تقودني بيدك إلى الغرفة .

أيا زوجي دعني أداعبك،

فمداعبتي الوهلى أحلى من العسل !

وفي الغرفة المملوءة بالعسل،

دعني أنعم بجمالک الساطع .

أيها الأسد، دعني أداعبك،

فمداعبتي الوهلى أحلى من العسل .

وجدت فيّ يا زوجي، كل لذائذك،

فقل ذلك لأمي فتهدني إليك الثمار

وقل ذلك لأبي فيغمرك بالهدايا .

وأنت ما دمت تحبني،

فاقترب، أتوسل إليك، وداعبني .

أنت يا آلهي وحارسي

إقترب، أتوسل إليك، وداعبني !

تلك هي القصيدة، وهي قصيدة حلوة يظهر فيها حب المرأة وإعجابها بزواجها

الملك الجميل ورغبتها في إسعاده .

وبالرغم من أن هذه القصيدة نظمت منذ أربعة آلاف سنة، فانها لا تختلف في

عواطفها عن قصائد الحب النسائية التي نظمت فيما بعد، مما يدل على أن طبيعة

الانسان واحدة، وخفقات قلبه متشابهة، مهما اختلف الزمان والمكان .

### إله عمر يعلم! . . .

كان عمر بن الخطاب يجوب شوارع المدينة ليلاً وطال به المسير والطواف حتى أصابه شيء من التعب فأتكأ إلى جدار أحد البيوت وإذا بأصوات نسائية تخرق حجب الليل وتطرق أذنيه فتبين حديث امرأة تقول:

- قومي، يا بنية، إلى ذلك اللبن فاخلطيه بالماء!

وعقب عبارتها سكوت. فأنصت عمر، يريد أن يعرف ماذا تجيب الأخرى فسمعها تقول:

- يا أمّاه أوّما علمت بما كان اليوم من عزمة أمير المؤمنين؟

فقالت الأم: وما كان من عزمته يا بنية؟؟

قالت: إنه أمر مناديه فينادي ألا يشاب اللبن بالماء!

فقالت الأم: قومي يا بنية إلى اللبن فاخلطيه بالماء، فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر.

فأجابت البنت قائلة: لا، يا أمّاه، والله ما كنت لأطيعه في الملاء، واعصاه في الخلا.

إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم! . . . .

وسمع عمر ذلك كله. وكان معه رجل يدعى أسلم فقال له:

- يا أسلم، علّم المكان واعرف الموضع! ثم مضى مواصلاً طوافه. وإذا أصبح الصباح قال:

- يا أسلم، امض إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة ومن المقولة لها، وهل هما بعل؟

وذهب أسلم يستقصي الأمر، ثم عاد إلى عمر بن الخطاب وأخبره أن الفتاة أيم لا بعل لها، وأنها تعيش مع أمها وليس لها رجل.

ثم دعا عمر أولاده فاجتمعوا فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟.. ولو كان بأيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية.

فقال عبد الله: لي زوجة!

وقال عبد الرحمن: لي زوجة!  
وقال عاصم: لا زوج لي يا أبتاه، فزوجني!  
وهكذا زوج عمر بن الخطاب تلك الفتاة التي أعجبه بقوتها وأمانتها وخلقها،  
ابنه عاصم فولدت له بنتاً، وولدت هذه البنت عمر بن عبد العزيز.

٢٤٣

### زواج حاتم وقوة شخصية المرأة العربية الجاهلية

نزل حاتم في بعض أسفاره على بني فهم. وكان فيهم جارية بارعة الجمال يقال لها ماوية. وكانت قد وضعت على نفسها أن لا تتزوج إلا بمن تختبر أخلاقه حتى لا تسقط في الندامة. فضربت حول خبائها سرادقاً للضيوف. وكان كل طارق يأتيها تمتحنه حتى تقف على دخيلة أمره. وما زالت كذلك حتى نزل حاتم بقومها، وكان قد سبقه إليها رجلان من الشعراء يخاطبانه: أحدهما النابغة الذبياني والآخر رجل من بني مزينة. فحضر حاتم إليها. وأرسلوا إليها جميعاً يعلمونها بقدمهم. فأرسلت إليهم أن يبيتوا ليلتهم في السرادق. فإذا كان الغد استحضرتهم إلى مجلسها. وبعثت لكل واحد منهم جزوراً «أي جملًا سميناً» يصلح منه لنفسه ما شاء من الطعام. فوثب كل إلى جزوره فنحره وأضرم النار. ولما علمت ماوية بذلك خلعت ثيابها ولبست ثياب أمة لها وخرجت إليهم كأنها سائلة تستعطي.

وكان أول من وقفت عليه النابغة فاستطعمته. فأعطاه قليلاً من خبائث الجزور «أي الرديء من لحم الجمل» فأخذته. ومرّت على المزني، فأعطاه كذلك. ثم انتهت إلى حاتم، فاقتطع لها كثيراً من أطايب الجزور وتلطف لها في كلامه، فانصرفت وقد وقع حاتم في قلبها موقعاً جميلاً.

ولما دخلت إلى خبائها دفعت ما معها من اللحم إلى جارياتها وقالت: احفظيه إلى الغد. ولما كان الصباح استحضرتهم إلى مجلسها واستنشدتهم ما يصفون أنفسهم به، فقال النابغة:

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ نَسْبِي      يَوْمَ الطَّعَانِ، إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ

ولي لسان إذا نلت الملوك به      أمسى عليّ سحابُ المال يندفُقُ  
وقال المزني:

أماويّة أن ترغبي في فصاحةٍ      فاني إلى مثلي الفصاحة تُنسبُ  
وان ترغبي في المال فالمال هينٌ      وليس على مثلي إذا شاء يصعُبُ  
وان ترغبي في خوض يوم كريمةٍ      فاني في الهيجاء ليث مجرّبُ  
وأفضت النبوة إلى حاتم، فأنشد يقول:

أماويّ! إن المال غادٍ ورائحُ      ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ  
أماويّ! إن المال لا ينفع الفنى      إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
أماويّ! إني لا أقول لسائل      إذا جاء يوماً: حلّ في مالنا النذر  
وقد علم الأقسام لو أن حاتمًا      أراد ثراء المال كان له وفر  
فلما فرغ حاتم من إنشاده قالت ماوية: والله لا يسمع أحد بمثل هذه الأبيات ويبقى عنده قيمة للمال. ثم دعت بالطعام، وكانت قد أمرت الجارية إن تقدّم إلى كل واحد منهم ما أعطاه إياه لِمَا استطعمته أمس. ففعلت كذلك. فأطرق النابغة والمزني إلى الأرض، وخرجا منصرفين. ولبت حاتم عندها. فرفعت الحجاب وقالت: إن رأيت أن تطلق نواراً فأنا مكائها. قال: لا والله، لا تسمح نفسي بذلك. ثم فارقتها وانصرف إلى ديار طي. فما لبث إلّا قليلاً حتى توفيت زوجته نوار. فنازعه نفسه إلى ماوية وعاد إليها فتزوَّج بها وحملها إلى قومه. وكان يومئذ ابن ستٍ وعشرين سنة.

٢٤٤

### أعرابي لا يحسن القسمة

قال الجاحظ: قال أبو الحسن: حدثني أعرابي كان ينزل بالبصرة قال: قدم أعرابي من البادية فأنزلته، وكان عندي دجاج كثير، ولي امرأة وابنان وابنتان، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابنائي وابنتاي والأعرابي. قال: فدفعنا إليه الدجاجة وقلنا له: اقسّمها بيننا - نريد بذلك أن نضحك منه - فقال: لا أحسن

القسمة، فان رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم. قلنا: فلما نرضى. فأخذ رأس الدجاجة فقطعه فناولني إياه وقال: الرأس للرأس. وقطع الجناحين وقال: الجناحان للابنين. ثم قطع الساقين وقال: الساقان للابنتين. ثم قطع الزمكي (ذنب الطائر) وقال: العجز للعجوز. وقال: الزور للزائر. ثم أخذ الدجاجة وسخر منها. قال: ... فلما كان الغد قلت لامرأتي: اشوي لنا خمس دجاجات. فلما حضر الغداء قلت: أقسم بيننا.

قال: إني أظن أنكم غضبتم في أنفسكم.

قلنا: لا، لم نغضب في أنفسنا فاقسم.

قال: أقسم وتراً أو شغفاً؟

قلنا: أقسم وتراً.

قال: أنت وامراتك ودجاجة ثلاثة، ثم رمى إلينا بدجاجة. ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة، ثم رمى إليهما بدجاجة. ثم قال: وابنتك ودجاجة ثلاث، ثم رمى إليها بدجاجة. ثم قال: انا ودجاجتان ثلاثة، وأخذ دجاجتين وسخر منها. قال: ... فرأنا ننظر إلى دجاجتيه.

فقال: ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي. الوتر لا يكون إلا هكذا. فهل أقسم لكم قسمة الشفع؟ قلنا: نعم.

فضمهن إليهم، ثم قال:

- أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة. ثم قال: والعجوز وابنتها ودجاجة أربع، ورمى إليهن بدجاجة. ثم قال: أنا وثلاث دجاجات أربعة، وضم إليه الثلاث ورفع يديه إلى السماء وقال:  
- اللهم لك الحمد أنت فهِمْتَنِيهَا!.

### لن يبيت في داره

قرأت في كتاب «فوات الوفيات» الطرفة التالية:

قال الشريف محمد بن أسعد بن الجواني المعروف بالنحوي: كان الوزير أبو

الفضل ابن حنزابة يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى، وكان في داره التي تقابل دار الشكالي قاعة لطيفة موجهة فيها تلك الحيات، ولها قِيم وفراش وحاوي مستخدمون يرسم نقل سلل الحيات وحطّها. وكان كل حاوي في مصر يصيد ما يقدر عليه من الحيات، ويتناهون في ذوات العجب من أجناسها، في الكبار وفي الغريب منها، وكان يشيهم على ذلك أجل ثواب، ويبدل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها. وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلل، ويطرحونه على ذلك الرخام ويمرّشون بين الهوام، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه.

فلما كان ذات يوم أنفذ خلف بن المدبر الكاتب وكان من كتّاب أيامه ودولته، وهو عزيز عنده ويسكن جواره فأنفذ يقول له في رقعة: «إنه لما كان البارحة وعرض علينا الحواة الحشرات الجاري بها العادات، انساب منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة وما حصلوا لنا بعد عناء طويل ومشقة وجملة بذلناها للحواة، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتوقيع إلى حاشيته بصون ما وجد منها إلى أن ينفذ الحواة بردها إلى سللها».

فلما وقف ابن مدبر عليها قلب الرقعة وكتب:

«أتاني أمر سيدنا الوزير - أدام الله نعمته وحرس مدّته - بما أشار إليه من أمر الحشرات، والذي اعتمد عليه في ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو أحد من أولاده في الدار، والسلام».

### الفطنة وشدة الذكاء

كان الخفاجي يرى رأي الشيعة الإمامية وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب، وكان بينه وبين أبي نصر ابن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة، فأمر محمود أبا نصر ابن النحاس أن يكتب إلى الخفاجي كتاباً يستعطفه ويؤنسه وقال: إنه لا يؤمن إلا إليك ولا يثق إلا بك، فكتب إليه كتاباً، فلما فرغ منه وكتب

«إن شاء الله تعالى» شدّد النون من إن، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصداً حلب، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأس فرسه، وفكر في نفسه، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثاً، فلاح له أن أراد ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾<sup>(١)</sup>.

فعاد إلى عزاز وكتب الجواب «أنا الخادم المعترف بالأنعام» وكسر الألف من «أنا» وشدّد النون وفتحها. فلما وقف أبو نصر على ذلك سرّ به وعلم أنه قصد به ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup> وكتب الجواب يستصوب رأيه، فكتب إليه الخفاجي:

خَفَّ مِنْ أَمْنَتٍ وَلَا تَرْكُنْ إِلَى أَحَدٍ      فَمَا نَصَحْتُكَ إِلَّا بَعْدَ تَجَرُّبٍ  
إِنْ كَانَتْ التَّرْكُ فِيهِمْ غَيْرَ وَافِيَةٍ      فَمَا تَزِيدُ عَلَى غَدْرِ الْأَعَارِبِ  
تَمَسَّكُوا بِوَصَايَا اللُّؤْمِ بَيْنَهُمْ      وَكَادَ أَنْ يَدْرُسُوهَا فِي الْمَحَارِبِ

واستدعى محمود بأبي نصر ابن النحاس وقال له: أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجي وما أعرفه إلا منك، ومتى لم تفرغ بالي منه قتلتك وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة. قال: مُرّني بأمرٍ أمثله، قال: تمضي إليه وصحبتك ثلاثون فارساً، فإذا قاربته عرفه بحضورك فإنه يلتقيك، فإذا حضر وسألك النزول عنده والأكل معه فامتنع وقل له: إني حلفتك أن لا تأكل زاده، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك في الحضور عندي، وطاوله في الحديث حتى يقارب الظهر، ثم ادّع أنك جُعْتَ وأخرج هاتين الخشكنانجتين<sup>(٣)</sup> فكل أنت هذه وأطعمه هذه فإذا استوفى أكلها معجل الحضور إليّ فإنّ منيته فيها، ففعل ما أمره به. ولما أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجي إلى عزاز.

ولما استقرّ بها وجد مغصاً شديداً ورعدة مزعجة، وقال: قتلني والله أخي أبو نصر ثم أمر بالركوب خلفه ورده، ففاتهم، ووصل إلى حلب، وأصبح من الغد عند محمود فجاءه من اعزاز من أخبره أن الخفاجي في السياق ومات ومُحِل إلى حلب.

(١) سورة القصص: آية ٢٠.

(٢) سورة المائدة: آية ٤.

(٣) الخشكناجة: نوع من الفطير.



### لكل واحد ديناران ولك دينار واحد

روى محمد بن عون عن ابن عُيينة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار، فأعطني ديناراً وقالوا: هذا نصيبك. فقال المأمون: هذا خلف أربع بنات؟

قالت: نعم.

قال: هن أربعمائة دينار، وخلف والدته؟

قالت: نعم.

قال: لها مائة دينار، وخلف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً، بالله ألكِ إثنا عشر أخاً؟

قالت: نعم.

قال: لكل واحد ديناران ولك دينار واحد.

### أتفرح بموافقة هؤلاء؟!

قال يحيى بن أكثم: كنت عند المأمون، وعنده جماعة من قواد خراسان، وقد دعا إلى القول بخلق القرآن، فقال لهم: ما تقولون في القرآن؟ فقالوا: كان شيوخنا يقولون ما كان فيه من ذكر الجمال والبقر والخيل والحمير فهو مخلوق، وما سوى ذلك فهو غير مخلوق، فأما إذ قال أمير المؤمنين هو مخلوق فنحن نقول كله مخلوق.

فقلتُ للمأمون: أتفرح بموافقة هؤلاء؟!

\*

### لم يلتقوا وهم في موضع واحد

اشتهدى الشاعر أبو الهندي الصبوح<sup>(١)</sup> يوماً فدخل الخمار فاعطى ديناراً وجعل يشرب حتى سكر ونام، وجاء قوم يسلمون عليه فوجدوه نائماً فقالوا للخمار الحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، وانتبه أبو الهندي فسأل عنهم فعرفه الخمار حالهم، فقال: يا هذا الآن وقت السكر والآن طاب، الحقني بهم، فسقاه حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك هو نائم إلى الآن؟

فقال: لا، انتبه وعرفته خبركم وسكر ونام.

فقالوا: ألقنا به، فسقاهم حتى سكروا، ولم يزل على ذلك دأبه ثلاثة أيام، ولم يلتقوا وهم في موضع واحد.  
ثم تركوا الشرب عمداً حتى أفاق فلقوه.

### بعد الشرب يرجو حسن المغفرة

قال صدقة بن ابراهيم البكري: كان الشاعر أبو الهندي - يشرب معنا، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه. فكنا كثيراً ما نشدّ رجله لئلا يسقط. فسكرنا ليلة على سطح، وشددنا رجله بحبل طويل ليهتدي على القيام لبوله، فتقلب فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقي معلقاً منكساً، فأصبحنا فوجدناه ميتاً، فمررت على قبره بعد حين فوجدت عليه مكتوباً<sup>(٢)</sup>:

إجعلوا إن متّ يوماً كفني ورق الكرم وقبري المعصرة  
إنني أرجو من الله غداً بعد شرب السراح حُسن المغفرة  
وكان الفتيان يجيئون إلى قبره فيشربون ويصبون الأقداح عليه.

(١) الصبوح: شراب الصباح.

(٢) «الديوان»، ص ٣٣.

### عفا عنه لجودة بلاغته

كان يزيد بن المهلب والياً على خراسان، وكان حسن الوجه، جميل الصورة، فانعزل عنها وتولّى قتيبة بن مسلم. وكان سمج الوجه فقيل فيه:

كانت خراسان أرساً إذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح  
فبدلت بعده قرداً يطوف بها كأنما وجهه بالخل منضوح  
فبلغ ذلك قتيبة فطلب، فهرب منه، ومضى الشاعر إلى أم قتيبة فأخذ منها كتاباً  
بالوصية به، وقدم به إليه.

فلما دخل عليه قال: بأي وجه تلقاني؟

قال: بالوجه الذي ألقى به ربّي، فإنّ إحسانه إليّ أكثر من إحسانك إليّ ومخالفتي له أكثر من مخالفتي لك.  
فضحك، وتركه.

### أخذ المال والخيل والجارية

قيل: إن فتى من ذوي النعم، قعد به دهره، وألحّ عليه الفقر، وكانت له جارية من أحسن الناس وجهاً وجمالاً، وكان يحبها حباً شديداً، وهي كذلك، فلما ضاق عليه الحال واشتد به الأمر قال لها: ما ترين ما نحن فيه من الشدة، ورقة الحال، فإن رأيت أن أبيعك لبعض الممولين، فأتسع في ثمنك، وأنت تتمتعين عنده، فعلت.

فقالت: والله، إن فراق روحي من جسدي، عليّ أهون من فراقك.

ثم إنه طيب خاطرها وخرج بها واستشار بعض أصحابه أن يعرضوا ذكرها لبعض التجار ليشتريها أحد منهم.

فقالوا له: إن كان ذلك لا بدّ منه، فابعتها إلى عبد الله بن معمر، وكان عاملاً على العراق.

فحملها إليه وعرضها عليه فاستحسنها ووقعت منه موقع الإعجاب .

فقال : كم رجوت فيها؟

فقال : أربعين ألفاً .

فدفع له ثمنها ، وعشرة آلاف لنفقته وعشرة رؤوس خيل وقال له : هل رضيت

بذلك؟

قال : نعم ! وسّع الله عليك ورضي عنك .

فأمر عبد الله أن تدخل الجارية إلى داره ويكرم مشواها . فأمسكت الجارية

بجانب السرير وجعلت تقول :

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته ولم يبق في كفي غير التفكر

أقول لنفسي وهي في كرباتها أقلّي فقد بان الحبيب أو اكثري

إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري

فلما سمع الفتى ذلك ، بكى حتى ارتفع نحيبه ، ثم قال :

لولا قعود الدهر عنك فلم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاصبري

أروح بهم من فراقك مؤلم أناجي به قلباً قليل التصبر

عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال عبد الله بن معمر : قد شئت . خذها ، وخذ المال الذي صار إليك .

فأخذ الفتى المال ، والخيل ، والجارية ، وانصرف داعياً له على فعله الجميل

وإحسانه .

❖❖❖ ٢٥٣ ❖❖❖

### عرفها من رائحة طيبها

كتب كمال الدين الشهرزوري قصة إلى المستنجد بالله يوسف بن محمد لما قدم

إلى بغداد رسولاً من قبل نور الدين ابن زنكي .

يقال إن ليلته حانت من ابنة عمه ، فلما توجه إليها وجد في طريقه بعض

حجرات جواربه مفتوح الباب ، فدخل إليها ، فقالت له الجارية : امض إلى ابنة

عمك فإني أخاف أن تعلم بنا فلا آمن شرّها، فقال: في ساقها خلخال إذا جاءت  
عرفت بها. فمضت إليها جارية ووشّت بالحال، فرفعت خلخالها إلى أعالي ساقها  
وقصّدت المقصورة ففاحت روائح الطيب فنمّ ذلك عليها، فخرج من المقصورة من  
الباب الآخر وقال:

استكتمت خلخالها ومشّت      تحت الظلام به فما نطقا  
حتى إذا هبّت نسيم صبا      ملأ العبير بنشرها الطُرُقا

٢٥٤

### ومن الغباوة ما يُضحك

قال الأصمعي:

كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسّواد، فاستعانت بابن  
عبدل<sup>(١)</sup> في دينها وقالت له: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تعرض بأنّها تزوجه  
نفسها. فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه. فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه:

سيخطئك الذي حاولت منّي      فقطّع وصل حبلك من حبالي  
كما أخطأت معروف بن بشرٍ      وكنت تعدّ ذلك رأس مالٍ  
قال: وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله، فقال له: أخمسائة أحبُّ  
إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل<sup>(٢)</sup>؟

قال: ألف في قابل؟

فلما أتاه قال له: ألف أحبُّ إليك أم ألفان في قابل؟

قال: ألفان في قابل.

فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

(١) ابن عبدل الأسدي: صاحب نوادر، كان أعرج أحذب، من الشعراء المجيدين، هجاء خيث  
اللسان.

(٢) قابل: أي في العام القادم.

## أفحمة

قال عاصم بن الحدثان :

كان ابن عبدل الأسدي أعرج أحذب، وكان من أطيب الناس وأملحهم .  
فلقيه صاحب العَسس ليلةً وهو سكران محمول في محفّة<sup>(١)</sup> فقال له : من أنت ؟  
فقال له ؛ يا بغيض أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا، فاذهب إلى شغلك  
فإنك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفّة .  
فضحك الرجل كثيراً وانصرف عنه .

## اليوم الذي غاب عنه عذّاله

حدّث ابن مخارق قال :

واعد العرجي الشاعر المشهور محبوبته عند شِعْبٍ<sup>(٢)</sup> من شعاب عرج الطائف إذا  
نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف .  
فجاءت على أتانٍ<sup>(٣)</sup> لها ومعهما جارية لها، وجاء العرجي على حمار، ومعه غلام  
له ؛ فواقع<sup>(٤)</sup> المرأة، وواقع الغلام الجارية، ونزا<sup>(٥)</sup> الحمار على الأتان .  
فقال العرجي : هذا يوم قد غاب عذّاله .

\*

- 
- (١) المحفّة : مركب كالمهودج تُحمّل عليه العروس .  
(٢) الشّعْب : الطريق في الجبل .  
(٣) الأتان : أنثى الحمار .  
(٤) واقع : جامع .  
(٥) النزو للحيوان كالجماعة للإنسان .

### أريحية عمر بن عبد العزيز والمرجي

روى محمد بن مزيد عن بعضهم قال :  
 إن العرجي الشاعر كان غازياً، فأصاب الناس مجاعة، فقال للتجار: اعطوا  
 الناس وعليّ ما تُعطون، فلم يزل يُعطيههم ويُطعم الناس حتى أخصبوا<sup>(١)</sup> فبلغ ذلك  
 عشرين ألف دينار، فألزمها العرجي نفسه.  
 وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال: بيت المال أحقّ بهذا، فقضى التجار ذلك  
 المال من بيت المال.

### بخل الحطيئة

أخبر أبو عبيدة والمدائني قالا :  
 أتى رجل الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحب الغنم، فرفع الحطيئة  
 العصا وقال: إنها عجاء من سَلَم<sup>(٢)</sup>.  
 فقال الرجل: إني ضيف.  
 فقال: للضيوف أعددتها. فانصرف عنه.  
 وقيل: إنّ الرجل قال له: السلام عليكم. فقال له: عجاء من سَلَم. فقال:  
 السلام عليكم.  
 فقال أعددتها للطراق<sup>(٣)</sup>. فأعاد السلام فقال له: إن شئت قمْتُ بها إليك،  
 فانصرف الرجل.

\*

(١) أخصبوا: كانت السنة عندهم خصبة، أمرعوا.  
 (٢) عجاء من سلم: أي عصا قاسية من عود السلم، وهو نوع من الشجر القاسي.  
 (٣) الطراق: جمع طارق، وهو الزائر.

### لو كان خراباً لوجدت ما أتقوتُ به

قيل: أشرف المأمون يوماً من قصره فرأى رجلاً وفي يده فحمة، وهو يكتب بها على حائط القصر.

فقال المأمون لأحد غلمانه: انزل إلى ذلك الرجل فأمسك بيده واقراً ما كتب واثني به.

فتزل الغلام فأدركه، وقبض على يده، وقرأ ما كتب فإذا هو:

يا قصر، جَمع فيك الشؤم واللوم      حتى يعشش في أرجائك اليوم  
يوم يعشش فيك اليوم من فرحي      أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: سألتك بالله لا تذهب بي إليه.

قال: إنه يراك.

فلما مثل بين يديه، قال الغلام: وجدته قد كتب كذا وكذا، وذكر البيت.

فقال المأمون: ويلك!! ما حملك على هذا؟

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إنه لم يخفَ عنك ما حواه هذا القصر من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفُرش والجواري والخدم. فمررت عليه وأنا في غاية من سوء الحال من الجوع والعطش، ولي يومان ما استطعتم فيهما بطعام ولا شراب، فوقفت ساعة وفكرت في نفسي وقلت: هذا القصر عامر، وأنا جائع، فلا فائدة له، فلو كان خراباً ومررت به على تلك الحالة لم أعدم رخامةً أو خشبةً أو مسماراً أبيعه وأتقوتُ بثمرته. أو ما علم أمير المؤمنين - اعزّه الله - أنه قيل:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئٍ نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها  
وما ذاك عن بغضٍ ولا عن كراهيةٍ ولكن يرى نفعه بانتقالها

فقال المأمون: يا غلام، أعطه ألف دينار، وأطعمه، واسقه، وقال له:

يا هذا هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بنا.



## استحالت القصيدة جوهراً

قال الأصمعي :

دخل نُصيب الشاعر على يزيد بن عبد الملك ذات يوم، فأنشده قصيدةً امتدحه بها، فطرب لها يزيد واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نُصيب! سلني ما شئت.  
فقال: يُدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة..  
فأمر به فمليء فمه جوهراً، فلم يزل به غنياً حتى مات.

## أهل العشق «صحيح مساكين»

قال العتبي :

دخل نصيب الشاعر المشهور على عبد العزيز بن مروان، فقال له عبد العزيز، وقد طال الحديث بينهما: هل عشقت قط؟  
قال: نعم، أمةً لبني مُدلاج.  
قال: فكنت تصنع ماذا؟  
قال: كانوا يحرسونها مني، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول:

وقفت لها كيما غرُّ لعلني      أخالسها التسليم إن لم تسلّم  
ولما رأيتني والوشاة تحدّرت      مدامعها خوفاً ولم تتكلّم  
مساكين أهل العشق ما كنت أشتري      جميع حياة العاشقين بدرهم

فقال عبد العزيز: ويحك! فما فعلت؟

قال: بيعت فأولدها سيدها.

قال: فهل في نفسك منها شيء؟

قال: نعم، بقايا أحزان.

## تتحابب . . . فهمنا، لكن ما دخل الدراهم؟!

قال ابن مودود:

كان الدارمي المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت متفتيات<sup>(١)</sup> أهل مكة لا يطيب لهنّ متنزّه إلاّ بالدارمي . فاجتمع جماعة منهنّ في متنزّه لهنّ، وفيهنّ صديقة له، وكلّ واحدة منهنّ قد واعدت هواها<sup>(٢)</sup> . فخرجنّ حتى أتيتنّ الجحفة<sup>(٣)</sup> وهو معهنّ . فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارمي؟ فإننا إن فعلنا قطعنا في الأرض<sup>(٤)</sup> . قالت لهنّ صاحبه : أنا أكفيكنّهُ .

قلن : إنا نريد ألاّ يلومنا .

قالت : عليّ أن ينصرف جامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت : يا دارمي، إنا قد تفلنا<sup>(٥)</sup> فاجلب لنا مسكاً وطيباً .

قال : نعم هوذا . . آتي سوق الجحفة آتيكنّ منها بمسكٍ وطيب، فأق المكارين فاكتري<sup>(٦)</sup> حاراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول :

أنا بالله ذي العزّ وبالركن والصخرة  
من اللّائي يُردنّ الطيب ب في اليسر وفي العُسرة  
وما أقوى على هذا ولو كنتُ على البصرة

فمكث النسوة ما شئن ولم يعد .

ثم قدم مرّة من مكة فلقيته صاحبه ليلة في الطواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلت تعاتبه على ذهابه ويعاتبها إلى أن قالت له : يا دارمي بحق هذه

(١) متفتيات : الفتيات اللواتي بلغنّ سن المراهقة فَمُنِعْنَ من اللعب مع الصبيان وأرغمنّ على المكوث في خلورهنّ .

(٢) واعدت هواها : واعدت من تهواه وتعجبه .

(٣) الجحفة : قرية بطريق المدينة .

(٤) قطعنا في الأرض : أي يكشف أسرارنا ويبيع خبرنا .

(٥) تفلنا : تغيرت راحتنا .

(٦) اكتري : استاجر .

الكعبة أتجبن؟ فقال: نعم. فبربك أتجبنني؟ قالت: نعم. قال: فيا لك الخير فأنيت  
تجبنني وأنا أحبك فما دخل الدراهم بيننا؟!

٢٦٣

### الأمين يركب ظهره

قال الحسين بن يحيى:

قال لي الحسين بن الضحّاك: شربنا يوماً مع الخليفة الأمين في بستان، فسقانا  
على الرّيق، وجلدنا في الشرب، وتحرز من أن نذوق شيئاً. فاشتد الأمر عليّ،  
وقمت لأبول، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرة  
أومأت إليها رقاقةً فيها لحم، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد الأمين فقال:  
من يكون منكم حماري؟ فكل واحدٍ منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحد منّا  
عبثاً ثم يصله.

ثم قال: يا حسين، أنت أضلع<sup>(١)</sup> القوم. فركبني وجعل يطوف وأنا أعدل<sup>(٢)</sup> به  
عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها. فرأى الرقاقة فطأطأ<sup>(٣)</sup> فأخذها فأكلها  
على ظهري وقال: هذه جعلت لبعضكم، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء.  
فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما  
يُمسك رمقي ولم يصلني كعادي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أنّ توجّه والمحروم محروم

٢٦٤

### ليسمع الأمير حُجّه ولده دلامة!!

عندما حُجّت الخيزران - زوجة المهدي - صاح بها أبو دلامة الشاعر المشهور  
بالنواد والطرائف قالت: سلّوه ما أمره. فقالوا له: ما أمرك؟

(١) أضلع القوم: أشدّهم وأقواهم أضلاعاً.

(٢) أعدل: أميل وأحيد.

(٣) طأطأ: نكس.

قال: فإبراهيم الإمام؟

قلت: بحرفة اسمه قتله مروان في حرّان. وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن الوليد خُلِعَ، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قُتِلَ، وعمه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات، وما رأيت والله أحداً يُسمّى بهذا الاسم إلا قُتِلَ أن نُكِبَ أو رأيتَه مضروباً أو مقدوفاً<sup>(١)</sup> أو مظلوماً.

ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بآخر: مَدَّ يا إبراهيم يا عاصٍ بظر أمّه<sup>(٢)</sup> مَدَّ.

فقلت له: أبقِيَ لك شيء بعد هذا! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحك والله حتى أشفقت عليه.

٢٦٦

### ولدي بين رجلين: مطيع لله وعاصٍ له

عن العتبي عن أبيه قال:

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله، فلما رآهم استعبر وبكى ثم قال: بأبي وأمي من خَلَفْتَهُمْ بعدي فقراء! فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فتعقّب فعلك وأغنهم، فما يمنعك أحد في حياتك ولا يرتجعه الوالي بعدك. فنظر إليه نظر مُغْضِبٍ متعجّبٍ فقال: يا مسلمة، منعتهُم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي! إن ولدي بين رجلين: إمّا مطيع الله فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه، أو عاصٍ له فما كنت لأعينه على معصيته.

يا مسلمة، إني حضرتُ أباك لما دُفِنَ فحملتني عيني عند قبره فرأيتَه قد أفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعني وهالني، فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليتُ، وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي، وأرجو أن أفضي إلى عفو الله وغفرانه.

قال مسلمة: فلما دُفِنَ حضرت دفته، فلما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني، فرأيتَه فيما يرى النائم وهو في روضةٍ خضراء نضرة فيحاء وأنهارٍ مطّردة وعليه ثياب

(١) مقدوفاً: مشتوماً.

(٢) سبُّ كان يجري على ألسنة العرب قديماً.

### ذعرتم الفتى؟!

سئل الأحنف بن قيس عن الحلم ما هو فقال: هو الذل مع الصبر. وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور. وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وكان يقول: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه فأتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: يا بني، بش ما صنعت: نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك؛ خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديتة فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه.

### طاوس بن كيسان والمرأة الماجنة

قالت امرأة ماجنة: ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فإني تعرضت له فقال: إذا كان وقت كذا فتعال، فجئت ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال: اضطجعي، فقلت: ها هنا؟ فقال: الذي يرانا هنا يرانا ثم.

### أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو

قيل إن أبا الأسود الدؤلي كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقيين يومئذ، فجاءه يوماً وقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، قال: فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون!! ادعوا لي أبا الأسود، فلما حضر قال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم. وقيل: إنه دخل بيته يوماً فقال له بعض بناته: يا أبت، ما أحسن السوء،

فقال: يا بنية نجومُها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن، إنما تعجبت من حسنِها، فقال: إذن فقلّي ما أحسنَ السماء، وحيثُ وضع النحر.

٣٣٥

### جِلْمُ معن بن زائدة

دخل أعرابي يوماً بلا استئذان على معن بن زائدة أيام إمارته وابتدره بقوله:  
أتذكر إذ لحافك جلد شاةٍ      وإذ نعلاك من جلد البعير  
فقال معن: نعم أذكر ذلك ولا أنساه.

فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً      وعلمك الجلوس على السرير  
قال: سبحانه على كل حال. فقال:

فلست مسلماً إن عشت دهرأً      على معنٍ بتسليم الأمير  
قال: السلام سنة تأتي بها كيف شئت، فقال:

أمير يأكل الفالوذ سراً      ويطعم ضيفه خبز الشعير  
قال: الزاد زادنا نأكل ما نشاء ونطعم ما نشاء. فقال:

سأرحل عن بلادٍ أنت فيها      ولوجار الزمان على الفقير  
قال: إن جاورتنا فمرحباً بك، وإن رحلتَ عنّا فمصحوب بالسلامة. فقال:

فجُد لي يا ابن ناقصةٍ بشيءٍ      فإني قد عزمت على المسير  
قال: أعطوه ألف درهم. فقال:

قليل ما أتيت به وإني      لأطمعُ منك بالمال الكثير  
قال: أعطوه ألفاً آخر.

فتقدم الأعرابي يقبل الأرض بين يديه وقال: ما جئتُك والله أيها الأمير إلا مختبراً

جَلِمَكَ لَمَّا اشْتَهَرَنَّ عَنْكَ ، فَأَلْفَيْتَ فِيكَ مِنَ الْحِلْمِ مَا لَوْ قَسَمَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِكِفَاهِمَ جَمِيعاً .

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَبْقِيَكَ ذَخِراً فَمَالَكَ فِي الْبَرِّةِ مِنْ نَظِيرٍ  
قَالَ مَعْنَى: أَعْطَيْنَاهُ عَلَى هَجُونَا أَلْفِينَ فَأَعْطَاهُ عَلَى مَدِينَتَيْنِ أَرْبَعَةَ.

## الحجاج والشيخ

حُكي ان الحجاج خرج في بعض الأيام للتزّه، فصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه، فلقي شيخاً من بني عجل، فقال له: من أين أنت يا شيخ؟ قال: من هذه القرية.

قال: ما رأيك بحكام البلاد؟

قال: كلهم أشرار يظلمون الناس ويختلسون أموالهم.

قال: وما قولك في الحجاج؟

قال: هذا أنجسهم، سَوَّدَ الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد.

فقال الحجاج: أتعرف من أنا؟

قال: لا والله!

قال: أنا الحجاج.

قال: أنا فداك، وأنت أتعرف من أنا؟

قال : لا .

قال: أنا زيد بن عامر مجنون بني عجل أُصرع في كل يوم مرّة في مثل هذه  
 عة.

فضحك الحجاج وأحسن إليه.

✻

بيض، فأقبل عليّ فقال؛ يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا أو نحوه، فإنّ الحكاية تزيد أو تنقص.

٢٦٧

### طرب فرمى بنفسه في الفرات

قال ابن كناسة:

اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات ومعهم مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا وهي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهيناك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصدع إلى طلل<sup>(١)</sup> السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم. وأخذت الجارية عودها فغنت:

حتى إذا أصبح بدا ضوؤه وغابت الجوزاء والمرزم  
أقبلت والوطء حفي كما ينساب من مكمته الأرقم

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عني! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون.

وقال اسماعيل في خبره: فقلت له: ما أصابك؟

فقال: دبّ شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله. فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

\*

(١) طلل السفينة: أعلاها.



### من أجوبة الأذكياء

قال المتوكل للشاعر أبي العيناء المشهور بنوادره ولطائفه: ما أشدَّ ما مرُّ عليك في ذهاب بصرك؟

قال: فوت رؤيتك، يا أمير المؤمنين.

فاستحسن هذا منه، وأمر له بجائزة حسنة.

\* وغاب أبو العيناء عن المتوكل مدة ثم دخل عليه، فقال له: ما أقعدك عنا يا أبا العيناء؟

قال: سُرِّق حماري يا أمير المؤمنين.

قال: كيف سُرِّق؟

قال: والله ما كنت مع اللصِّ فأعرف كيف سرقه.

قال: فما منعك أن تزورنا على غيره؟

قال: ثلاثة أشياء.

قال: ما هُنَّ؟

قال: قلَّة يساري<sup>(١)</sup>، ومَنَّة العواري<sup>(٢)</sup>، وذلة المكاري<sup>(٣)</sup>.

\* وقيل لأبي العيناء: ما بال الحمير إذا أحسَّت بالرجوع إلى مرابطها، والقرب من دور أهلها، أسرعَّت المشي إلَّا حمارك، إذا قرب من دارك تخابث في المشي؟؟ قال: لعلمه بسوء المتقلب.

•

(١) اليسار: السعة.

(٢) العواري: مفرد عارية، وهو الذي يعيرك ماله.

(٣) المكاري: ما يكرى لأجل بضمن.

### الإبل الأدم ورعاتها

وفدت ليلي الأخيلية على الحاج بن يوسف، فلما دخلت عليه قال لها:  
يا ليلي: أنشدنا من شعرك. فأنشدته ما اختارت، وهو يستزيدها. فلما قضت  
إنشادها قال محسن الفقعي وكان جالساً عند الحجاج: مَنْ هذا الذي مدحته هذه  
المرأة بهذه الأبيات؟ وأظنها كاذبة.

فنظرت إليه وقالت: أيها الأمير، إن هذا الرجل المعترض لو رأى ثوب الذي  
مدحته لسره أن لا تكون في بيته عذراء إلا وهي منه حامل.

فقال الحجاج: هذا الجواب الذي كنت غنياً عنه.

ثم قال لها: يا ليلي، سلي حاجتك. فأنشدت:

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضَةً    تتبّع أقصى دائها فشفاهها  
شفاهها من الداء العياء الذي بها    غلام إذا هز القناة تباهى

فقال لها: لا تقولي «غلام» قولي «هُمام».

ثم قال لها: قد أمرنا لك بعشرين، أترضين؟

قالت: زِدْ، فمثلك مَنْ زاد.

قالت: أربعين.

قالت: زِدْ فمثلك مَنْ زاد.

قال: مائة، واعلمي انها غنم.

قالت: معاذ الله، أنت أجود جوداً، وأعظم مجداً وأورى زنداً.

قال: فما هي؟ ويحك!

قالت: أَدَمًا<sup>(١)</sup>.

فجعلها إبلاً إنثاءً.

قالت: ورعاتها.

قال: ورعاتها.

(١) الأدم: هي البَيْضُ من الإبل، وهي أكرمها وأجلها.

## إنهم بقر

حدّث عثمان الوراق قال :  
 رأيت العتّابي الشاعر العباسي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام فقلت له :  
 ويحك ، أما تستحي ؟  
 فقال لي : أرايت لو كنّا في دارٍ فيها بقر ، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي  
 تراك ؟  
 فقال : لا .

قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر .  
 فقام فوعظ وقصّ ودعا ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غيرُ  
 واحد ، أنه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار .  
 فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبه أنفه ويقدره حتى يبلغ أم  
 لا . فلما تفرّقوا ، قال لي العتّابي : ألم أخبرك أنهم بقر ؟ !

## فضيلة عبيد الله بن زياد

قال أبو عبيدة :  
 إن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور ، فغاب عنه أشهراً  
 قليلة ثم قدم فدخل عليه ، فقال له : ما جاء بك ولم أكتب إليك ؟  
 قال : استوفيت خراجك وجئت به وليس لي بها عمل ، فما مقامي ؟  
 قال : أو بذلك أمرتك ؟ ارجع فاردّد عليهم الخراج وخذه على دفعات حتى  
 تنقضي السنة وقد فرغت من ذلك ، فإنه أرفق بالرعية وبك ، واحذر أن تحملهم على  
 بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم .  
 فرجع فردّ الخراج عليهم ، وأقام يستخرجه منهم على دفعات حتى مضت  
 السنة .

## لم يَنْمَ من فزع «بوزع»

عن حماد عن أبيه قال :

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف الشاعر الظريف مطيع بن إلياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة. فذكر له مطيع بن إلياس حماداً الراوية، وكان مطرحاً مجفواً في أيامهم. فقال له : دعني فإن دولتي كانت في بني أمية وما لي عند هؤلاء خير. فأبى مطيع إلا الذهاب به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً، ثم أتاه فدخل على جعفر فسلم عليه وجلس. وقال له جعفر. أنشدني. فقال : لمن أيها الأمير.

قال : للجرير.

قال حماد : فسلخ الله شعره أجمع من قلبي إلا قوله :

بان الخليط برامتين فودّعا

فاندفعت أنشده إياه حتى بلغت إلى قوله :

وتقوع بوزع قد دببت على العصا هلاً هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد : فقال لي جعفر : أعد هذا البيت أعد. فأعدته.

فقال : إيش هو بوزع؟

قلت : اسم امرأة.

قال : امرأة اسمها بوزع!! هو بريء من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليل من فزع بوزع!! يا غلمان، قفاه.

قال : فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا.

ثم قال : جرّوا برجله، فجرّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه وقد تحرق<sup>(١)</sup> السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى من ذلك.

(١) تحرق : تمزق خرقاً.

وكان أغلظ من ذلك عليّ غرامتي السواد والسيّف . فلَمّا انصرف إليّ مطيع جعل يتوجّع لي فقلت له : ألم أخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أُمّية !

٢٧٣

### وقتها كان مريضاً

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع<sup>(١)</sup> يوم الخندق . قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) ليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنّا ، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذ أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ويتجسّس ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله (ص) وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتله .

فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ولم أرْ عنده شيئاً احتجزت<sup>(٢)</sup> ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربتة بالعمود حتى قتلتة . فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزلْ إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

٢٧٤

### الفرق كبير جداً ولا يقاس

ذكر المدائني أنه كان بين عمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلام ، فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنك ابن

(١) فارع : حض حسان بن ثابت .

(٢) احتجزت : شدّدت الثوب على وسطى .

أعرابية جافية . فقال عقيل لعمر: لعن الله شرَّ الثلاثة، مني ومنك ومنه! فغضب عمر، فقال له صخير بن أبي الجهم: آمين. فهو والله أيها الأمير شرَّ الثلاثة. فقال عمر: والله إني لأراك لو سألتك عن آية من كتاب الله ما قرأها. فقال: بلى والله إني لقارئ لآية وآيات. فقال: فاقراً، فقراً، إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن. ليس هكذا قال الله. قال: فكيف قال؟ قال: ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾<sup>(١)</sup>. فقال: وما الفرق بين «أرسلنا» و«بعثنا»؟!

٢٧٥

### فضيلة ابنة الدؤلي

دخل أبو الأسود الدؤلي إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحرَّ! (رفعت أشدَّ) فظنَّها تسأله وتستفهم منه: أيُّ زمان الحرُّ أشدَّ. فقال لها: شهر صَفَر. فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك أن تطاول عليها زمان أن تضمحلَّ، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى (وهذا القول أول كتاب سيبويه) ثم رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرَّعوها. قال أبو الفرج الأصفهاني: هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي، واللفظ يزيد أو ينقص وهذا معناه.

(١) سورة نوح: الآية أو تمامها: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن انذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم﴾.

### ذكاء الإمام مالك

كتب بعض علماء الإمام مالك للإمام الشافعي :  
يا إمام، لي خالة، وأنا خالها، ولي عمّة وأنا عمّها. فأما التي أنا عمّها، فإن  
أبي أمّه أمّها أبو أخي، وأخوها أبي على سنة قد جرى رسمها.  
وأما التي أنا خال لها فإن أبو الأم جدّها، ولسنا مجوساً ولا مشركين، بل سنة  
الحق نأتيها. فأين الإمام الذي عنده فنون التناكح أو علمها يبين لنا كيف أنسابنا؟  
ومن أين كان كذا حكمها؟  
فكتب إليه الإمام: القائل لهذه المسألة تزوجت جدته لأبيه يعني أم أبيه بأخيه  
لأمّه، وتزوجت أخته لأبيه بأبي أمّه وأولدهما بنت ابن.  
فبنت جدته عمّته، وهو عمّها، وبنت أخته خالته وهو خالها.

### الفرض وتوابعه

وكتب بعض علماء الإمام مالك: يا إمام، ما تقول في الفرض، وفرض  
الفرض، وما يتمّ به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تركها فرض، وصلاة  
بالطول والعرض، وصلاة بين السماء والأرض، وصلاة في السماء والأرض؟  
فكتب الإمام: أمّا قول القائل: الفرض فهو الخمس صلوات، وفرض الفرض  
فهو الوضوء، وأمّا قوله ما يتمّ به الفرض فهو الصلاة على رسول الله (ص). وأمّا  
قوله: صلاة لا فرض: فهي صلاة الصغير قبل البلوغ، وأمّا الصلاة التي تركها  
فرض: فهي صلاة السكران. وأمّا الصلاة التي بالطول والعرض: فهي صلاة  
«يونس» في بطن الحوت.  
وأما الصلاة التي بين السماء والأرض فهي صلاة سليمان عليه السلام.  
وأما الصلاة التي في السماء والأرض فهي صلاة رسول الله (ص) ليلة المعراج.

\*

### حُسن التبُّعِل يعدل كل شيء

وفدت أسماء بنت يزيد على النبي (ص) فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنه ليس في شرق البلاد وغربها امرأة إلّا وهي مثل رأيي. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنّا بك وبإهلك الذي بعثك، وإنّا معشر النساء محصورات مقصورات قوَّامات بيوتكم وحاملات أولادكم وحافظات أموالكم وخوالفكم في سفركم، وممرّضاتكم في الحضر. وإنكم معشر الرجال فضّلتُم علينا بالجمْع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج والعمرة. وأفضل من ذلك كلّهُ الجهاد في سبيل الله. وإنكم إذا خرجتم حجاجاً ومجاهدين وتجاراً ومسافرين حفظنا لكم أموالكم وربينا لكم أولادكم ثم غزلنا لكم الأثواب وجمعنا لكم الطعام أفنشاركم في الأجر يا رسول الله؟؟

فأقبل النبي (ص) على أصحابه وقال لهم: هل سمعتم مقالة امرأة قد أحسن من مقالتها في حسن مساءلتها عن أمر دينها؟ ثم أقبل عليها فقال: ارجعي أيتها المرأة فاخبري مَنْ وراءك من النساء أن حُسن تبُّعِل إحداكن لزوجها واجتنابها سخطه، واتباعها مرضاته يعدل ذلك كلّهُ فجعلت المرأة تكبر وتهلّل استبشاراً.

### كُنّا أسراك فصرنا ضيوفك

قدم إلى معن بن زائدة أسرى فعرضهم على السيف، فقام إليه رجل وقال: أيها الأمير نحن أسراك ونحن جياع من أثر الطريق، فإن رأيت أن تطعمنا فلك بذلك أجر.

فأمر باطعامهم فأحضرت إليهم الموائد فاجتمعوا وأكلوا، ومعن ينظر إليهم، فلما فرغوا قام رجل منهم وقال: أيها الأمير، كُنّا أسراك فصرنا ضيوفك فانظر ما يصنع مثلك بأضيافه فعفا عنهم وأطلقهم.



### وزراء فرعون كانوا خيراً من وزرائه

لما ولي الحجاج بن يوسف قال: عليّ بالمرأة الحرورية<sup>(١)</sup>. فلما حضرت قال لها: أنت بالأمس في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب أموالهم. قالت: قد كان ذلك.

فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال لهم: ما ترون فيها؟ قالوا: عجل قتلها.

فضحكت فاغتاظ لذلك وقال لها: ما أضحكك؟ قالت: إن وزراء فرعون كانوا خيراً من وزرائك هؤلاء. فالتفت إليهم الحجاج فرآهم خجلوا. فقال لها: كيف ذلك؟

قالت: لأنه لما استشارهم في قتل موسى ﴿قالوا: أرْجِهْ وأخاه﴾<sup>(٢)</sup>. «يعني انظره إلى وقت آخر» وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي. فضحك الحجاج، ثم أمر لها بعتاء وأطلقها وأعجبه مقالها.

### هل بقي أحد

عن بعض آل نوبخت قال:

كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نوبخت وغيرهم وقوفاً بكناسة الدواب في الجانب الغربي من بغداد يتحدثون، فإينهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم<sup>(٣)</sup>. قال: فيم كنتم؟

(١) الحرورية: أي التي من الخوارج.

(٢) سورة الأعراف: آية ١١١.

(٣) مسهم: فيه صور السهام.

فأخبروه .

فقال : دعوني من وسواسكم هذا، أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغنيت صوتاً، فلم يبقَ أحد بهذه الكناسة ولا في الطريق من مشترٍ ولا بائعٍ ولا صادرٍ ولا واردٍ إلّا ترك عمله وتقرّب مني واتّبع صوتي؟ فقال له عبد الله : إني لأحب أن أرى هذا فقل ما شئت، فقال : فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنعني، قال : هـولك إن فعلت ما فعلت، ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه، ثم اندفع يغني فغني في شعر أبي العتاهية :

نادت بوشك رحيلك الأيامُ أفلستَ تسمع أم بك استصمامُ

قال : فرأيت الناس يتقوّضون<sup>(١)</sup> إلى المقبرة أرسالاً وجماعات من بين راكب وراجل وصاحب شول<sup>(٢)</sup> وصاحب جدي ومازٍ بالطريق حتى لم يبق بالطريق أحد، ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقي أحد؟

قلنا : لا، وقد وجب الرّهن فقام فركب حماره، وعاد الناس إلى صنائعهم فقال لعبد الله : أحضر الفرس فقال : على أن تقيم اليوم عندي .

قال : نعم، فانصرفنا معهما وسلّم الفرس إليه وبكره وأحسن إليه وأحسن رفده .

## ٢٨٢

### هَبُود وعبود

قال ابن كركرة :

انشدني ابن مناذر قصيدته الدالية التي رثى فيها عبد المجيد، فلما بلغ إلى قوله :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحطّ الصخور من هَبُودِ

قلت له : هَبُود أي شيء هو؟ فقال : جبل . فقلت سخرت عينك، هَبُود والله بئر باليامة ماؤها ملحٌ لا يشرب منه شيء خلقه الله، وقد والله خربت فيها مرات،

(١) يتقوّضون : أي يميثون ويذهبون .

(٢) الشول من النوق : التي جفّ لبنها وارتفع ضرعها .

فلما كان بعد مدّة وقفتُ عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها فلما بلغ هذا البيت أنشدها:

ويحطّ الصخور من عبود

فقلت له: عبود، أي شيء هوذا؟

فقال: جبل بالشام فلعلّك يا ابن الزانية خريتَ عليه أيضاً. فضحكت ثم قلت: لا ما خريتَ عليه ولا رأيته وانصرفت وأنا أضحك.

٢٨٣

### ذو النون المصري ويوسف بن الحسين

قال يوسف بن الحسين: قيل لي إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت: يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفني ولا تجد له موضعاً مثلي فأحبّ أن تعلمني إياه؛ قال: فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أوماً إلى أن يختبرني؛ قال: فتركني بعد ذلك ستة أشهر ثم أخرج إليّ من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط؟ فقلت: نعم، قال: وأحب أن تؤدي هذا إليه. قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا مفكر فيه: مثل ذي النون يوجه إلى فلان هدية؟ ترى أي شيء هي؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومَرَّت؛ قال: فاغتظت غيظاً شديداً وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة! فرجعت عى ذلك الغيظ، فلما رآني عرف ما في وجهي، فقال: يا أحمق إنما جربناك، ائمتك على فأرة فختنتي، أفأأتمنك على اسم الله الأعظم؟ مرّ عني فلا أراك أبداً.

\*

### العبد يهدي كنه قدرته

كتب صلاح الدين الإربلي مع هدية:

فلو كنت مُهدٍ على مقدار قدركمُ      لكنك أهدي إليك السهل والجبلا  
وإنما العبد أهدي كنه قدرته      والنمل يُعذر في القدر الذي حلا

### القاضي إياس بن معاوية وأمينه

استودع رجل رجلاً من أمناء إياس مالاً وخرج المستودع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، وأتى إياساً فأخبره، فقال له إياس: أَعْلِمَ بك أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: فنازعته عند أحد؟ قال: لا، لم يعلم بهذا أحد، قال: فانصرف واكتم أمرك ثم عد إليّ بعد يومين. فمضى الرجل، فدعا إياس أمينه ذلك وقال: قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم، قال: فأعدّ موضعاً للمال وقوماً يحملونه. وعاد الرجل إلى إياس فقال له: انطلق إلى صاحبك فاطلب مالك فإن أعطاك فذاك وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي. فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه حالي وأخبرته بأمرى، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال. وجاء الأمين إلى إياس لوعده فأنتهره وقال له: لا تقربني يا خائن.

### اتق الله يا عبد الله ولا تقس

حدث الزبير عن محمد بن يحيى الربيعي قال: قال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد فسلمت عليه، وكنت له صديقاً، ثم أقبلت عليه فقلت: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق له فقه وعلم، فقال جعفر: لعلة الذي يقيس الدين برأيه؟ ثم أقبل عليه فقال له: اتق الله ولا تقس الدين برأيك فان أول

من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم فقال: ﴿أنا خير منه - الآية الكريمة﴾ .  
ثم قال له: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا، فقال: أخبرني  
عن الملوحة في العين، وعن المرارة في الأذن، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة  
في الفم، لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري، قال له جعفر: إن الله تبارك وعلا  
خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما مناً على ابن آدم، ولولا ذلك  
لذابتا فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه، وجعل الماء في المنخرين  
ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة، وجعل العذوبة في  
الفم ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان، ما هي؟ قال:  
لا أدري، قال: قول الرجل: لا إله إلا الله، فلو قال: لا إله ثم أمسك كان  
مشركاً، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان.

ثم قال: ويحك أيها أعظم عند الله: قتل النفس التي حرم أم الزنا؟ قال: لا  
بل قتل النفس، قال جعفر: إن الله قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل  
في الزنا إلا أربعة، فكيف يقوم لك قياس؟ ثم قال: أيها أعظم عند الله: الصوم أم  
الصلاة؟ قال: الصلاة، قال: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصوم ولا تقضي  
الصلاة؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس، فإننا نقف نحن غداً وأنت ومن خالفنا بين  
يدي الله عز وجل فنقول: قال رسول الله ﷺ وقال الله تعالى، وتقول أنت  
وأصحابك: سمعنا ورأينا، فيفعل بنا وبكم ما يشاء.

### قتلها بما اعتزما به عليه

من عجائب الظفر ما حكاها الصولي أن المتوكل قال: ركبت إلى دار الواثق  
أزوره في مرضه الذي مات فيه، فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي،  
فسمعت بكاء بنيافة تشعر بموته، فتحسست وإذا ايتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات  
يأتمران في، فقال محمد: نقتله في التنور، وقال ايتاخ: بل ندعه في الماء البارد حتى  
يموت ولا يرى عليه أثر القتل. فبينما هم كذلك إذ جاء أحمد بن أبي دواد - وكان

القاضي يومئذ - فمنعه الخدام الدخول، فدافعهم حتى دخل، فجعل يحدثهما بما لا أعقله لما داخلني من الخوف واشتغال القلب بإعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما اتتمر به في. فبينما أنا كذلك، إذ خرج الغلمان يتعادون إلي ويقولون: انهض يا مولانا، فما شككت أن أدخل وأبايع ولد الوائق ويُنفذ في ما قد قرر.

فدخلت فلقيني أحمد بن أبي دواد، فقبل يدي وأمسكهما إلى أن أتى إلى السرير وقال لي: اصعد إلى المكان الذي أهلك الله له؛ فلما صعدت وجلست سلم علي بالخلافة، وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وابتاخ فسلم علي أيضاً، ثم دخل القواد فسلموا، ثم الناس على طبقاتهم. فلما انقضت المبايعات بقيت متعجباً مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وابتاخ، فسألت عن الحال كيف جرى، فقيل لي: بينا محمد وابتاخ في تقرير ما سمعته، إذ دخل عليهما ابن أبي دواد فسلم ثم قال: أنا رسول المسلمين إليكما وهم يقرأون السلام عليكم ويقولون لكما: قد بلغنا وفاة إمامنا وعند الله نحتسبه، وأنتما المنظور إليكما في هذا الأمر، فمن اخترتما لأمامتنا؟ فقالا: محمداً ابنه، فقال: بخ بخ، ابن أمير المؤمنين إلا أنه صغير لا يصلح للإمامة؛ فمن غيره؟ قالوا: فلان وفلان، وعدا جماعة، إلى أن قالوا: وجعفر بن المعتصم، فقال: رضي المسلمون، اصفقا على يدي، فصفقا، ثم أرسل إلي، فكان ما أرى، قال المتوكل: فبقي ما قاله ابن الزيات وابتاخ في نفسي فقتلتها بما اعتزما به على قتلي، فقتلت ابن الزيات في التنور وابتاخ بالماء البارد.

❖ ❖ ❖ ٢٨٨ ❖ ❖ ❖

### أذاب عنه الشحم فأجازه

روى الحسين بن إدريس الحلواني قال: سمعت الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل له: ولم؟ قال: لأنه لا يعدو العاقل إحدى خصلتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه في معاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، صار في حد البهائم فانهقد الشحم.

ثم قال: كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطبين وقال: احتالوا لي بحيلة تُخف عني لحمي هذا قليلاً؛ قال: فما قدروا

له على شيء؛ قال: فذكر له رجل عاقل أديب متطبيب فاره، فبعث إليه وأشخصه فقال له: عاجلني وبلك الغنى، قال: أصلح الله الملك، أنا طبيب منجم، دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أيّ دواء يوافقه فاسقيك؛ قال: فغدا عليه فقال: أيها الملك الأمان، قال: رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر، فإن اخترت عاجلتك، وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخلّ عني، وإلا فاستقص مني؛ قال: فحبسه؛ قال: ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتبطاً كلما انسلخ يوم ازداد غمّاً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً، فبعث إليه وأخرجه، فقال: ما ترى؟ قال: أعز الله الملك، أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله لما أعرف عمري فكيف أعرف عمرك؟ إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه الطريقة. فأذاب شحم الكلى، فأجازه وأحسن إليه.

### هن الحمام فإن كسرت عيافة

حكى عن يموت بن المزرع قال: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره، أمر غلمانه أن يمشوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أو يصلي مائة ركعة، فكان هذا دأبه؛ قال: فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأتاه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال له: عرفت الشرط؟ قال: نعم، فأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحاً	كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طراً	ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن	جوايزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما يعني عيالي	صلائي إنما الشأن الزكاة
فيأمرني بكسر الصاد منه	فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر وقال: من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك؟ فقال:

أخذته من قول أبي تمام:

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاقَهُ<sup>(١)</sup>

قال: فأعجبه صدقُهُ ووصله.

٢٩٠

### من أخبار أبي تمام

حدث الصولي قال كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه، فقال له رجل: يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يُعرَف؟ فقال: وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه. وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، وكان هذا من علماء الناس، وكان متصلاً بالطاهرية.

قال علي بن محمد بن عبد الكريم: لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها:

أرامه كنت مألَف كل ريم

فاتصل خبرها بعتبة بن عَصِيم الذي يهجوهُ أبو تمام، وهو كلبى من قضاة، وكان أديباً شاعراً، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر: ايتوني به، فجاءوا به فأنشده إياها، فلما فرغ قال: أحسنت يا غلام على صغر سنك، فسكت أبو تمام وقال: يا عم أنشدني من شعرك، فأنشده قصيدة، فلما فرغ قال: يا عم ما أحسنت على كبر سنك، فقال عتبة لبني عبد الكريم أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا.

\*

(١) وقام البيت: من حائهنَّ فإنهنَّ حِمام.



### إنها لشديدة

وقال أبو جعفر الهروي: كنت مع حاتم مرة وقد أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد قال: يا أبا جعفر، أحب أن ألقى أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزله ومضيئنا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله أخوك حاتم؟ قال: فسلم عليه ورحب به وقال بعد بشاشته به: أخبرني يا حاتم فيم أنخلص من الناس؟ قال: يا أبا عبد الله في ثلاث خصال.

قال: وما هي؟

قال: أن تعطيتهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً؛ قال: وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً؛ قال: وتحمل مكروهم ولا تُكره واحداً منهم على شيء. قال: فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال: يا حاتم، إنها لشديدة، فقال له حاتم: وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم.

### نعم الزاد زادك

وقال رجل لحاتم الأصم: بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد، فقال حاتم: بل أجوزها بالزاد وإنما زادي فيها أربعة أشياء، قال: وما هي؟ قال: أرى الدنيا كلها ملكاً لله، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله، والأسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض لله؛ فقال له الرجل: نعم الزاد زادك يا حاتم؛ أنت تجوز به مفاوز الآخرة.

### يا حجّاج

كان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمع بمثلهما، ويقال: إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه

في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمّر.  
وخطب يوماً فقال في أثناء كلامه: أيها الناس، إن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله، فقام إليه رجل فقال: ويحك يا حجاج، ما أصفق وجهك وأقل حياءك! فأمر به فحبس، فلما نزل عن المنبر دعا به فقال له: لقد اجتأأت عليّ، فقال له: أمتجرتي على الله فلا ننكره، ونجتري عليك فتنكره؟ فخل سبيله.

٢٩٤

### خطبة الحجاج في أهل العراق

قال أبو العباس المبرد في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال: بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال: هذا الحجاج ابن يوسف قد قدم أميراً على العراق، فإذا به قد دخل المسجد متعمماً بعمامة غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، وقال عمير بن ضابئة البرجمي: ألا أحصيه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: والله يا أهل الكوفة والعراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحى، وإن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً، فرماكم بي لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السّلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴿النحل: ١١٢﴾.

والله إني ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم، فلم يقل أحد شيئاً، فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس فقال: يسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً؟ هذا أدب ابن نهيّة، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن، اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين، فلما بلغ إلى قوله: سلام عليكم، لم يبق أحد في المسجد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام.

ثم نزل فوضع للناس أعطيائهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلاً مني؟ فقال الحجاج: نفعل أيها الشيخ، فلما ولي قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابء البرجمي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله  
ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطىء بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه؛ فقال: ردوه، فلما ردّ قال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله تعالى بديلاً يوم الدار؛ إن في قتلك أيها الشيخ لصالح للمسلمين، يا حرسى اضربن عنقه.

٢٩٥

### أخطأ في استعمالك على رقاب المسلمين

قال القاضي أبو الفرج المعافى: حدث العتبي قال: كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة، وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر

بها، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له: هذا ممن جهزته فراشة، فخر ساجداً ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، قال: أنت أولى بها يا حجاج، قال: أين فراشة؟ قال: مرت تطير منذ ثلاث، قال: أين تطير؟ قال: ما بين السماء والأرض، قال: أعن تلك سألتك عليك لعنة الله؟ قال: عن تلك أخبرتك عليك غضب [الله]، قال: سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أضرب عنقها، قال: ويلك يا حجاج ما أجهلك، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، قال: فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين، قال: ولم، لا أم لك؟ قال: إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض، قال: وما هي؟ قال: استعماله إياك على رقاب المسلمين، فقال لجلسائه: ما رأيكم فيه؟ قالوا: نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد، قال: ويحك يا حجاج، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك، قال: وأي أخوي تريد؟ قال: فرعون حين شاور في موسى فقالوا: أرجئه وأخاه، وأشار هؤلاء عليك بقتلي، قال: فهل جمعت القرآن؟ قال: ما كان مفرقاً فأجمعه، قال: أقرأته ظاهراً؟ قال: معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه، قال: فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك؟ قال: ألقاه بعملتي وتلقاه بدمي، قال: إذن أعجلك إلى النار، قال: لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغ خلافاً ومناقضتك، وقال: إني قاتلك، قال: إذن أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك، قال: نقمعك عن الكلام السيء؛ يا حرسى اضرب عنقه، وأوماً إلى السيف ألا تقتله، فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف، فلما طال ذلك رشح جبينه، قال: جزعت من الموت يا عدو الله؟ قال: لا يا فاسق ولكن أبطأت عليّ بما فيه راحة؛ قال: يا حرسى، أوجب جرحه، فلما أحس بالسيف قال: لا إله إلا الله، والله لقد أتمها ورأسه في الأرض.



### ليبلغ الشاهد الغائب

وقال القاضي : لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئذٍ بواسط القصب قبل أن يبنى مدينة واسط قال لحاجبه : قدم إليّ سيدهم فيروز بن الحصين، فقال له الحجاج : أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء؟

قال : فتنة عمت الناس .

فقال : اكتب لي أموالك .

قال : ثمّ ماذا؟

قال : اكتبها أولاً .

قال : ثم أنا آمن من على دمي؟

قال : اكتبها ثم أنظر .

قال : اكتب يا غلام، ألف ألفي ألف، حتى ذكر مالا كثيرا .

فقال الحجاج : أين هي وعند من هي؟

قال : لا والله لا جمعت بين مالي ودمي، فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب، وكان من جملة ما عذب به أن يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجرح حتى يخرج جسده ثم ينضح عليه الخل والملح؛ فلما أحس بالموت قال : إن الناس لا تشكّنّ أي قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدي إليكم أبداً، فأظهروني للناس ليعلموا أي حي فيؤدوا المال، فأخرج فصاح في الناس : من عرفني فقد عرفني؛ أنا فيروز، إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين أحد منه درهما، ليبلغ الشاهد الغائب؛ فأمر الحجاج فقتل .

### لعنه الله المبيد الحقود

ذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابئ أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له، فقال له : كيف حالكم مع أميركم؟ فقال : لعنه الله، المبيد

المبير الحقود، عجل الله الانتقام منه، فقال له: تعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا الحجاج، فرأى الرجل أن دمه قد طاح فرفع عصاً كانت معه وقال: أتعرفني؟ أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي، وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا، فضحك منه وانصرف.

٢٩٨

### تاب عن شرب الخمر أم لم يتب؟؟

أشيع عن أبي نواس أنه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد في اللذات، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهتونه بذلك، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهته إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد:

قالوا نزعنا ولما يعلموا وطري في كل أغيد ساجي الطرف مياس  
كيف النزوع وقلبي قد تقسمه لحظ العيون وقرع السن بالكاس

قال محمد بن نافع: كان أبو نواس لي صديقاً، فوقع بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغتني وفاته فتضاعف عليّ الحزن؛ فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيته فقلت: أبا نواس؟ قال: لات حين كنية، قلت: الحسن بن هانء؟

قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة؛ فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم: قال أخي شعراً قبل موته، قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو، قلت: ايدنوا لي أدخل؛ قال: فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت وسادة فلم أر شيئاً ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
إن كان لا يدعوك إلا محسن فمن الذي يرجو ويدعو المجرم  
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم  
ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء وجميل عفوك ثم أني مسلم

\*

## ألا موت يُباع فأشتريه

كان أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى الوزير غاية في الأدب والمحبة لأهله. وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجلاً:

ألا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه  
ألا مَوْتُ لذيذُ الطعم يأتي      يُخَلِّصُنِي مِنَ العيشِ الكريه  
إذا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ      ووددتُ لَوْ أَنِّي مِمَّا يَلِيهِ  
ألا رَجَمَ المَهِيمُنْ نَفْسَ حُرٍّ      تَصَدَّقُ بِالوفاةِ على أَخِيهِ

وكان معه رفيق يقال له: أبو عبد الله الصوفي، وقيل أبو الحسين العسقلاني، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً وطبخه وأطعمه، وتفارقا. وتنقلت بالمهلبى الأحوال، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور، وضاعت الحال برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم، وبلغه وزارة المهلبى فقصده وكتب إليه:

ألا قُلْ لِلوزيرِ فَدَتُهُ نَفْسِي      مَقَالَةٌ مُذَكِّرٍ ما قد نَسِيهِ  
أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لَضَنْكَ عَيْشٍ      «ألا موت يُباع فأشتريه»

فلما وقف عليه تذكره وهزته أَرْجِيئُهُ الكرم، فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقع في رقعة ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به.

\*

### المحتالان: الحلاج وصاحبه

كان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه زَمِنُ يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك: رأيت النبي (ص) في النوم أنه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرّد في الجامع فقال الأعمى: احملوني إليه، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له: يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادعُ الله تعالى لي، فقال: ومن أنا وما تحكي؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرأ مما فيه شهوراً ثم قال لهم: إن من حق الله عندي ورده جوارحي عليّ أن أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا، وأن يكون مقامي في الغزو، وقد عملت على الخروج إلى طرطوس، فمن كانت له حاجة يحملها، فأخرج هذا ألف درهم وقال: اغز هذه عني، وأخرج هذا مائة دينار وقال: اخرج بها غزاة من هناك، وأعطاه كل أحد شيئاً له ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاج وقاسمه عليها.

### نهاية الحلاج

كتب حامد الوزير إلى المقتدر يخبره بفتوى القضاة بمقتل الحلاج فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليُسَلَّم إلى صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط، فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى، ثم تُضرب عنقه، فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر، وقال: إن لم يتلف



بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم رجله ثم تحز رقبتة وتحرق جثته، وإن خدعك وقال لك: أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه، فتسلمه الشرطي ليلاً، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين، وقيل لست بقين من ذي القعدة<sup>(١)</sup>، سنة تسع وثلثمائة، فأخرجه عند باب الطاق، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم، وضربه الجلاد ألف سوط، ولم يتأوه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة: ادع بي إليك، فإن لك عندي نصيحة تعدل قسطنطينية، فقال له: قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل، فلما فرغ من ضربة قطع أطرافه الأربعة، ثم حَزَّ رأسه وأحرق جثته، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد على الجسر، وجعل أصحابه يَعدُّون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

### نهاية ابن المقفع

وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً، وكان أنفُ سفيان كبيراً، فكان إذا دخل عليه قال: السلام عليكما، يعني نفسه وأنفه؛ وقال له يوماً: ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة؟ يستخرُّ به على رؤوس الناس، وقال سفيان يوماً: ما ندمت على سكوت قَطُّ، فقال له ابن المقفع: الخرس زين لك فكيف تندم عليه؟! وكان سفيان يقول: والله لأقطعنه إرباً إرباً وعينه تنظر، وعزم على أن يغتاله، فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله.

وقال المدائني: لما دخل ابن المقفع على سفيان، قال له: أتذكر ما كنت تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنور فُسِّجِرَ، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً، وهو يلقيها في التنور، وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور، وقال: ليس عليَّ في المثلة بك حَرَجَ لأنك زنديق وقد أفسدت الناس.

### كأنه من حسنه عصعص

ذكر أبو عبد الله بن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال؛ كان يألّفني فتى من أهل الشام عجيب الخلقة والشكل غليظ جلف جاف، فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه، وكان يأتيني بكتب عشيقه له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها، ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي بجهله لا يميز بين الخطأ والصواب، ولا يفرق بين الابتداء والجواب، فلما طال ذلك عليّ حسدته وتبتهت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال: بصبص، فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها كان جاءني به:

أرقصني حبك يا بصبص      والحب يا سيدتي يرقص  
أرمصت أجفاني لطول البكا      فما لأجفانك لا ترمص  
أوحشني وجهك ذاك الذي      كأنه من حسنه عصعص

قال: فجاءني بعد ذلك فقال يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إليّ: إني مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا، فقف بحيلاله حتى أراك؛ فترينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع، فبينما أنا واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إليّ وإذا شيء قد صب عليّ فملائي من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والشتن والقذر، وإذا هو ماء قد خلط ببولٍ وسواد وسرجين، وانصرفت بخزي وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والضحاح أعظم مما جرى عليّ ولحقني من أهلي ومن منزلي، وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة، قال: فجعلت أعتذر إليه وأقول: إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته، وأنا أحد الله على ما ناله وأسر بالشهامة به.



### هجاها فكسدت

حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال: كنا في مجلسي ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليل بالمغنية وجمشها فصاحت بالحسين واستخفت به، فأنشأ الخليل يقول<sup>(١)</sup>:

لها في خدها عَكَنٌ وثلثا وجهها ذَقَنٌ  
وأسنان كَرِيش البَطِّ بين أصولها عَفَنٌ

قال: فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا؛ وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما، وكانت إذا حضرت في مجلس أنشدوا البيتين فتجن؛ ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

### عصاه أدهى وأعجب

كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أحذب، أعرج، من شعراء الدولة الأموية وكانت لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله، فلا يجبس له رسول ولا تؤخر له حاجة، فقال في ذلك يحيى بن نوفل:

عصا حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نُقصى ونُحجب  
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً وهذي لعمر الله أدهى وأعجب  
تطاع فلا تُقصى ويحذر سخطها ويرغب في المِرْضاة منها ويرهب

قال: فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى: يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع.

(١) راجع: ديوانه، ص ٦٩.

### دولة العرجان

قالوا: ولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل - وكان أعرج - فلقني سائلاً أعرج قد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل:

ألق العصا ودع التحامل والتمس عملاً فهذي دولة العرجان  
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلاً  
فإذا يكون أميرنا ووزيره وأنا فإن الرابع الشيطان

### أعطوه إياها قبّحه الله

قيل: قدم الحكم بن عبدل واسطاً على ابن هبيرة وكان بخيلاً، فأقبل حتى وقف بين يديه فقال:

أتيتك في أمر من أمر عشيرتي أعلى الأمور المقطعات جسيمها  
فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعل فقد ثلجت نفسي وولت همومها

قال: أنا فاعل إن اقتصد فما حاجتك؟ قال: غرم لزمنا، قال: كم هو؟ قال: أربعة آلاف درهم، قال: نحن مناصفوها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف عليّ التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة، قال: فأعطني جميعها سرّاً وامنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر واقع عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون، فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلناه لك، فجثا بين يديه، وقال: امرأتي طالق إن أخذت أقل من أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان، فقال: أعطوه إياها قبّحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين، فأخذها وانصرف.



### أبهذا غلبتم؟؟

شخص الحكم بن عبدل مع عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة فوهب له جارية من جواريه فوائبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعة أو عشرة طلقاً واحداً، فلما أصبحت قالت له: جعلت فداك من أي الناس أنت؟ قال: امرؤ من أهل الشام، قالت: بهذا العمل غلبتم أهل العراق في حربكم.

### شقّ وسطيح الكاهنان

كان شقّ الكاهن ابن خالة سطيح الكاهن الذي بشر بالنبى (ص) وقصته في تأويل الرؤيا مشهورة، وهي مستوفاة في السيرة، وكان شقّ وسطيح من أعاجيب الدنيا، أما سطيح فكان جَسَداً مُلقى لا جوارح له، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، وكان لا يقدر على الجلوس، إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس، وكان شقّ نصف إنسان، ولذلك قيل له شقّ، أي شقّ إنسان، فكانت له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وفتح عليهما في الكهانة ما هو مشهور عنهما، وكانت ولادتهما في يوم واحد، وفي ذلك اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، ولما ولدا دعت بكل واحد منهما وتَفَلَّت في فيه، وزعمت أنه سيخلفها في عملها وكهانتها، ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة، وعاش كل واحد من شقّ وسطيح ستائة سنة.

### لا يصيبه برطبٍ وهريسة غير هذا

حكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال: حدثني أبي عن عمه قال: اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري بسرّ من رأى والصبيان حوله يولعون به، فجاء إليّ وسألني صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له: ما تشتهي تأكل؟ قال:

تَنَاسَيْتَ مَا أَوْعَيْتَ سَمْعَكَ يَا سَمْعِي  
أَمَّا عِنْدَ عَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ هُمَا هُمَا  
فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوعاً عَلَى الصَّدِّ وَالْجَفَا  
فَإِنْ يَكُ أَضْحَى فَوْقَ خَدَيْكَ رَوْضَةً  
سَلِ الْمَطَرَ الْعَامَ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ  
فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ: لَا يَصِيُكَ بَهْرِيْسَةٌ وَرَطَبٌ غَيْرُ هَذَا.

أنت الندى وابن الندى وأبو الندى

تَبَرَّعْتُ لِي بِالْجُودِ حَتَّى نَعِشْتَنِي وَأَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُكَ تَلْعَبُ  
فَأَنْتَ النَّدَى وَابْنُ النَّدَى وَأَبُو النَّدَى حَلِيفُ النَّدَى مَا لَنَدَى عَنْكَ مَذْهَبُ  
فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: عَلَى دِينٍ، فَأَمَرَ بِقَضَائِهِ وَأَعْطَاهُ مِثْلَهُ.

أَعْطِهِ يَا غَلَامَ

۲۷۷

أخالد إني لم أزرَكَ حاجة سوى أنني عافٍ وأنت جوادُ  
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي وأنت عمادُ

فقال له خالد: سل يا أعرابي؛ قال، وجعلت المسألة إليّ أصلح الله الأمير؟  
قال: نعم، قال: مائة ألف درهم، قال: أكثر يا أعرابي، قال: فأحطك؟ قال:  
نعم، قال: قد حططتك تسعين ألفاً، قال له خالد: يا أعرابي لا أدري من أيّ  
أمريك أعجب، فقال: أصلح الله الأمير، أنت جعلت المسألة إليّ فسألتك على  
قدرك وما تستحقه في نفسك، فلما سألتني أن أحطّ حططت على قدري وما استأمله  
في نفسي، فقال له خالد: والله يا أعرابي لا تغلبي؛ يا غلام أعطه مائة ألف درهم،  
فدفعها إليه.

٣١٣

### الكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

كان للخليل بن أحمد مستنيط علم العروض راتب على سليمان بن حبيب بن  
المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز فكتب إليه يستدعيه، فكتب  
الخليل جوابه:

أبلغ سليمان أنني عنه في سعة وفي غنى غير أنني لستُ ذا مالٍ  
شحاً بنفسي أنني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حالٍ  
الرزق عن قدرٍ لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حولٌ محالٍ  
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

إن الذي شقّ فمي صامناً للرزق حتى يتوفاني  
حرمتني خيراً قليلاً فما زادك في مالك حرمان

فبلغت سليمان فأقامته وأعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه، وأضعف راتبه،  
فقال الخليل:

٢٧٨

وزَّلَّةٌ يُكْثِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرَتْ      مِنْهَا التَّعَجُّبُ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ  
لَا تَعْجِبَنَّ لَخِيرَ زَالَ عَنْ يَدِهِ      فَالْكُوكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أحياناً

٣١٤

### داود الطائي المتعبّد

قال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت: لو طبختُ لك دسماً  
تأكله، فقال: وددت، فطبخت له دسماً ثم أتته به، فقال لها: ما فعل أيتام بني  
فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالت: أنت لم تأكل أدماً منذ  
كذا وكذا، فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلته صار إلى الحشّ،  
فقالت له: يا سيدي أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية، بين مَضْغِ الخبز وشرب الفتيت  
قراءة خمسين آية.

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي  
درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي؟ فقالوا: داود  
يحببكم؟ أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال  
ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فأنثرها بين يديه فإن للعين  
حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا  
عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها.

٣١٥

### أبا سليمان! سبحان من لا ينسى لأحدٍ صنيعاً

لما مات أبو سليمان داود الطائي جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال:  
أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير  
الحساب غداً عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل  
الحساب غداً عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب  
لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت  
نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظلماتها وإنما تريد ريبها،



أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء بارده، ومن اللباس لينه؟ بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما صنعت، وأحق ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمتم في دين الله وتركتمهم يفتنون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنك نفسك في بيتك فلا تحدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً.

### فائدة الرأس

وقال دعلج: كنا يوماً عند سهيل بن هارون الكاتب البليغ، وكان شديد البخل، فأطلنا الحديث، واضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه، فأتى بقصعة فيها ديك عاسٍ هرم لا تحرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر، فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته، وقلّب جميع ما في القصعة، ففقد الرأس، فبقي مطرقاً ساعة، ثم رفع رأسه وقال للطباخ: أين الرأس؟ فقال: رميت به، قال: ولم؟ قال: ظننت أنك لا تأكله، فقال: لبس ما ظننت، وبحك والله وإني لأمقت من يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه، والرأس رئيس، وفيه الحواس الأربع، ومنه يصيح، ولولا صوته لما فضل، وفيه فرقه الذي يتبرك به، وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجب لوجع الكليتين، ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق؟ فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو، قال: والله لا أدري أين هو، رميت به، قال: لكني أدري أين هو، رميت به في بطنك فالله حسبك.

### وفاء دعلج بن أحمد السجستاني

قال الخطيب: حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد - وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح - عن شيخ سماه وذهب عني حفظ اسمه قال: حضرت يوم الجمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور، فرأيت رجلاً بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة، لم يزل يتنقل مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة، ثم جلس، قال: فغلبتني هيئته ودخل قلبي محبته، ثم أقيمت الصلاة فلم يُصل مع الناس الجمعة، فكبر عليّ ذلك من أمره، وتعجبت من حاله، وغازني فعله، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت: أيها الرجل، ما رأيت أعجب من أمرك، أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها، فقال: يا هذا إن لي عذراً وبى علة منعني من الصلاة، قلت: وما هي؟ قال: أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تُقام التفتُ فرأيت صاحب الدين، فمن خوفه أحدثت في ثيابي، فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت عليّ وكتمت أمري، فقلت: ومن الذي له عليك الدين؟ قال: دعلج بن أحمد<sup>(١)</sup>، وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه، فسمع هذا القول، ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة، فقال له دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد، فقال الرجل: لا، فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له: أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برويتك إيانا في مسجد الجامع.

(١) ترجمة دعلج في «طبقات السبكي»، ٢: ٢٢٢، و«تاريخ بغداد»، ٨: ٣٨٧.

### أخبار رابعة العدوية

من وصايا رابعة العدوية: اكتموا حسناتكم كما تكتُمون سيئاتكم. وقالت لأبيها: يا أبة، لست أجعلك في حلٍّ من حرام تطعمينه، فقال لها: أرايت إن لم أجد إلا حراماً؟ قالت: نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار. وكانت إذا جنَّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت: إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك أيها المحبوب، فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار.

ولقي سفيان الثوري رابعة - وكانت زرية الحال - فقال لها: يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغير بعض ما أرى، فقالت له: يا سفيان وما ترى من سوء حالي؟ ألسْتُ على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه؛ والله لأستحي أن أسأل الدنيا مَنْ يملكها فكيف أسأله من لا يملكها؟ فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام. وقالت رابعة لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم فاعمل.

كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها: أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبك نفسك، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصيرٌ إليك من بعد أمثالها، فأجيبيني، فكتبت إليه: أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي فهيء زادك وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك ولا تجعل وصيتك إلى غيرك، وصم دهرك واجعل الموت فطرك، فما يسرني أن الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام.



## أخبار ربيعة الرأي

### أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف: حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخاً أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعه حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة، وقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي؟ فقال فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حرّمي، فتواثبا وتلبب كل واحد منها بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي؛ وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا. فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم، قال: أخرجني المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار، قالت: قد دفتته وأنا أخرجه بعد أيام، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقة، فأتاه مالك بن زيد وابن أبي علي اللهيبي والمساحقي وأشرف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله (ص)، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه ذنية طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: مَنْ هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال: فقد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العالم والفقهاء عليها، فقالت أمه: فأيا أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟ فقال: لا والله بل هذا، فقالت: فلإني أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعته.

وقال مالك بن أنس: ذهبت حلة الفقه مذ مات ربيعة الرأي.

### كلهم على حق فيما أفتى به

حكى المعافى بن زكريا في كتاب «الجليس والأنيس» عن عبد الرحمن بن مغراء قال: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري أطلقت امرأتي أم لا، قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك طلقته. ثم أتى سفيان الثوري فقال: يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً. ثم أتى شريك بن عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً، ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: اذهب فطلقها ثم راجعها. ثم أتى زفر بن الهذيل فقال: يا أبا الهذيل إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: هل سألت غيري؟ قال: أبا حنيفة. قال: فما قال لك؟ قال: قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقته، قال: هو الصواب، قال: فهل سألت غيره؟ قال: سفيان الثوري، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فراجعها فإن كنت طلقته فقد راجعتها، وإن لم تكن طلقته فلم تضرك المراجعة شيئاً، قال: ما أحسن ما قال لك، فهل سألت غيره؟ قال: شريك بن عبد الله، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فطلقها ثم راجعها، قال: فضحك زفر وقال: لأضربن لك مثلاً، رجل مرّ بمثعب سيل فأصاب ثوبه، قال لك أبو حنيفة: ثوبك طاهر وصلاتك مجزئة حتى تستيقن أمر الماء، وقال لك سفيان: اغسله فإن يك نجساً فقط طهر، وإن يك طاهراً زاده نظافة، وقال لك شريك: اذهب فبل عليه ثم اغسله. قال المعافى: وقد أحسن زفر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتوا به في هذه المسألة، وفيما ضربه لسائله من الأمثلة.

فأما قول أبي حنيفة فهو محض النظر وأمر الحق ولا يجوز أن يحكم على امرئ في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها بظن عرض له وهو أبعد عند ذوي الأفهام من أضغاث الأحلام، وأما قول سفيان الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوثيق والأخذ بالحزم والحيطه وهذه طريقة أهل الورع وذوي الاستقصاء والمشفقين على نفوسهم من أهل الدين، وفتيا أبي حنيفة في هذا عين الحق وجل الفقه، وأي هاتين المحجتين

سلك من نزلت به هذه النازلة وعرضت له هذه الحادثة فهو مصيب محسن على ما بيننا إليهما من الفصل بين المنزلتين، وأما ما أفنى به شريك فتعجب زفر منه واقع في موضعه ولا وجه في الصحة لما أشار به. وقد أصاب زفر أيضاً في الوجه الذي ضربه له وأرى شريكاً توهم أن الرجعة لا تحقق إلا مع تحقق الطلاق فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها وهذا مختل فاسد ولو كان كما يرى أنه توهم لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقديمها وهو على غير يقين منها، ولو أن رجلاً وكل رجلاً في طلاق زوجته ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه فأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحت رجعته، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة لكانت المراجعة صحيحة لوقتها بعد الطلاق الذي لم يكن عالماً به.

## ٣٢١

### بشار وسالم

كان سالم الخاسر ماجناً يتظاهر بالخلاعة والفسق، قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة، وكان من الشعراء المجيدين من تلامذة بشار بن برد. سمي الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً.

اشتهر شعره حتى صار يقول أرق من شعر بشار. وكان بشار قد قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج  
وقال سالم:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور  
فغضب بشار وقال: ذهب والله بيتي، يأخذ المعاني التي تعبت فيها فيكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظي، لا أرضى عنه، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه.  
وقال أبو معاذ النميري: رأيت بشاراً لما قال هذا البيت وهو يلهج به كثيراً:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته... البيت

قلت: يا أبا معاذ، قد قال سالم الخاسر بيتاً في هذا المعنى هو أخف من هذا،  
وأنشدته:

من راقب الناس مات غمّاً  
قال: ذهب والله بيتي، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت.  
وكانت وفاة سالم المذكور سنة ست وثمانين ومائة.

٣٢٢

### كان كأنه قابضٌ على الجمر

قالت مريم، امرأة أبي عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري: كنّا نؤخر اللّعب  
والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة، فإنه إذا دخل ستر  
الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره. وقالت: صادفت من أبي عثمان خلوة  
فاغتنمتها، وقلت: يا أبا عثمان، أي عملك أرجى عندك؟ قال: يا مريم، لما  
ترعرعت وأنا بالري وكانوا يراودوني على التزوج فأمتنع جاءني امرأة فقالت: يا أبا  
عثمان، قد أحبيتك حباً ذهب بنومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج  
بي، فقلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط في موضع كذا، فراسلته،  
فأجاب، فتزوجت بها، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق، فقلت: اللهم  
لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلوموني على ذلك، فأزيدها برّاً  
وإكراماً، إلى أن صارت لا تدعني أخرج من عندها، فتركت حضور المجلس إثارةً  
لرضاها وحفظاً لقلبها، وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة، وكنت معها  
في بعض أوقاتي كأني قابض على الجمر ولا أبدي لها شيئاً من ذلك، إلى أن ماتت،  
فما شيء عندي أرجى من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

\*

### سعيد بن جبير

وروى محمد بن حبيب أن سعيد بن جبير كان بأصبهان يسألونه عن الحديث فلا يحدث، فلما رجع إلى الكوفة حدث، فقليل له: يا أبا محمد، كنت بأصبهان لا تحدث وأنت بالكوفة تحدث، فقال: انشر برك حيث يُعرف.

وقال خصيف: كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، وبالحلال والحرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير.

وكان مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس لما خرج على عبد الملك بن مروان، فلما قُتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب فلحق بمكة، وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري، فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع إسماعيل بن أوسط البجلي، فقال له الحجاج:

يا شقي بن كسير، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً؟ فقال: بلى، قال: أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟ قال: بلى، قال: أما جعلتك في سماري وكلهم رؤوس العرب؟ قال: بلى، قال: أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها؟ قال: بلى، قال: فما أخرجك علي؟ قال: بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث، فغضب الحجاج ثم قال: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل؟ والله لأقتلنك، يا حرسى ضرب عنقه، فضرب عنقه، وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة، بواسط، ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها، وله تسع وأربعون سنة.

وقال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى عمله. ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة، وقيل بل مات بعده بستة أشهر، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات. ولما قتله سال منه دم كثير، فاستدعى الحجاج الأطباء وسأهم عنه وعمن كان قتله قبله، فإنه



كان يسيل منهم دم قليل، فقالوا له: هذا قتلته ونفسه معه والدم تبع للنفس، ومن كنت تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف، فلذلك قلّ دمهم.

وقيل للحسن البصري: إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير، فقال: اللهم ايت على فاسق ثقيف، والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبّهم الله عز وجل في النار.

ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يُفَيّق ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يقول له: يا عدوّ الله، فيم قتلتي؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ ويقال: إنه رُئي الحجاج في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتل قتلته قتلته، وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلّة.

٣٢٤

### أخبار سفيان الثوري

هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم.

قال سفيان بن عُيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلّال والحرام من سفيان الثوري. وقال عبد الله بن المبارك: لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري. ويقال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه رأس الناس، وبعده عبد الله بن عباس، وبعده الشعبي، وبعده سفيان الثوري.

وحدث أبو بكر ابن عياش قال: كنت أنا وسفيان الثوري نمشي فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية حسن السمات، فقال له سفيان: يا شيخ أعندك شيء من الحديث؟ قال: لا، ولكن عندي عتيق سنين، فنظرنا فإذا هو خمار.

وجاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار، فأعطاه الدينار، وكان معه آخر فسقط من سفيان، فطلبه فإذا إلى جانبه دينار آخر، فقال له الصيرفي: خذ دينارك، قال: ما أعرفه، قال: خذ الناقص، قال: فلعله الزائد، وتركه ومضى.

## أخبار الأعمش

هو أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور.

جرى بينه وبين زوجته كلام، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطَلَّب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى، امرأتى نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة فقال: يا هتاه إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه، فغضب الأعمش وقال: يا أعمى يا خبيث، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال النخعي: وما عليك أن نؤجر ويأثموا؟ فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم؟

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال: الأعمش: هذه، وأشار إلى المرأة. ودخل الحمام يوماً وجاء رجل حاسر، فقال له الرجل: متى ذهب بصرك؟ فقال: مذ بدت عورتك.

قال محمد بن حميد، حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجل عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فأعبرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه وقال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (الزخرف: ١٣) فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال: ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ (المؤمنون: ٢٩) ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء.

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلاً قال: كم غرضك تقيم في هذه البلدة؟

وكان لطيف الخلق مَزَاحاً، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي مَنْ هو أبغض إليّ منكم ما خرجت إليكم. وقال له داود بن عمر الحائك: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ فقال: لا بأس بها على غير وضوء، فقال: ما تقول في شهادة الحائك؟ فقال: تُقبل مع عذلين. ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه، فطَوَّل القعود عنده، فلما عزم على القيام قال له: ما كَأَنِّي إلا ثقلت عليك، فقال: والله إنك لتثقل عليّ وأنت في بيتك. وعاده أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام وقال: شفى الله مريضكم بالعافية؛ وقيل عنده يوماً: قال (ص): «من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه» فقال: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني. وكانت له نوادر كثيرة.

٣٢٦

### قضاها مع الإمكان

كان أبو داود سليمان الأزدي السجستاني؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلمه، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح، طَوَّف البلاد وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين، وجمع كتاب «السنن» قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحصنه. وكان يقول: كتبت عن رسول الله (ص) خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب - يعني «السنن» - جمعت فيه أربعة آلاف وثلاثمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله (ص): «إنما الأعمال بالنيات» والثاني قوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث قوله «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه» والرابع قوله «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبها» الحديث بكماله. وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقبل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، قال: فرحَّب به وأجلَّسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان،

قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله (ص) حتى أقبله، قال: فأخرج له لسانه فقبله.

٣٢٧

### لو سئل الكسائي لأجاب

قال محمد بن الحسن الأزدي: حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه، فدخلت عليه مسلماً فقال لي: يا سجستاني، من علماءكم بالبصرة؟ قلت: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهننا، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث، وأنا - رحمك الله - أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط. قال: فقال لكتابه: إذا كان غداً فاجمعهم إليّ، قال: هل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور؟ قال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عريية، قال: يا زيادي، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالعهما على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال، كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني، من قرأ ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ (هود: ٥) قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم، قال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة وما أصابهم بي وتسأله النظر بالبصرة؟ قلت: لست صاحب براءة وكتابة، أنا صاحب قرآن؛ قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحلّ به ولم يُمرّ، لكن عاملنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

٣٢٨

### القاضي شريح المزاح

كان القاضي شريح مزاحاً، دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له: أين أنت أصلحك الله؟ فقال: بينك وبين الحائط، قال: استمع مني، قال: قل أسمع،

قال: إني رجل من أهل الشام، قال: مكان سَحِيق، قال: تزوجت عندكم، قال: بالرفاء والبنين، قال: وأردت أن أرحلها، قال: الرجل أحق بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال: فاحكم الآن بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أُمك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وكان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة، قال ابن عبد البر: وكان شاعراً محسناً، وهو أحد السادات الطُّلُس، وهم أربعة: عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، والأحنف بن قيس الذي يُضرب به المثل في الحلم، والقاضي شُرَيْح المذكور. والأطلس: الذي لا شَعْر في وجهه.

\* وعن الشعبي قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيهما فبكت، فقلت أنا: ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء ييكون.

٣٢٩

### القاضي شريك النخعي

واجتمع شريك النخعي ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد، فقال يحيى لشريك: ما تقول في النبيذ؟ قال: حلال، قال: شربه خير أم تركه؟ قال: بل شربه، قال: قليله خير أم كثيره؟ قال: بل قليله؛ قال يحيى: ما رأيت خيراً قط إلا والازدياد منه خير إلا خورك هذا، فإن قليله خير من كثيره.

٣٣٠

### بعض طرائف أشعب

قيل لأشعب: طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك، فقال: نعم، فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله (ص) يقول: خلتان لا تجتمعان في مؤمن، ثم

سكت فقالوا: ما الخلتان<sup>(١)</sup>؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

\* وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس، فدعا يزيد بعض غلمانه وأسرَّ له بشيء، فقام أشعب فقبل يده، فقال له: ولمَ فعلت هذا؟ قال: رأيتك أسررتَ إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصلة، فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل، وأمر له بصلة.

وحكى المدائني عن جهم بن خلف قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشية، قال: أكره أن يجيء ثقيل، قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يندق الباب، قال: ألا ترى؟ قد صرت إلى ما أكره، قلت: ان لك عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي؟ قلت: أولها أنه لا يأكل مع ضيف، قال: التسع خصال لك؛ أدخله.

\*\*\*\*\* ٣٣١ \*\*\*\*\*

### صاعد البغدادي اللغوي وبشار

لما دخل صاعد البغدادي مدينة دائية وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموفق مجاهد: دعني أعبت بصاعد، فقال له مجاهد: لا تتعرض إليه فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مشاكلته، فقال له بشار، وكان أعمى: يا أبا العلاء، فقال: ليبيك، فقال: ما الْجَرَنْفُلُ في كلام العرب؟ فعرف أبو العلاء أنه قد وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة، فقال له بعد أن أطرق ساعة: هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن، ولا يكون الجرنفل جرنفلاً حتى لا يتعداهن إلى غيرهم، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكتفي، قال: فخجل بشار وانكسر، وضحك مَنْ كان حاضراً، فقال له الموفق: قلتُ لك لا تفعل فلم تقبل.

---

(١) الخلتان: مثني خلة، وهي الصفة والعادة.

### ذعرتم الفتى؟!

سئل الأحنف بن قيس عن الحلم ما هو فقال: هو الذل مع الصبر. وكان يقول: إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور. وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وكان يقول: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قَتَلَ ابنَ أخٍ له بعضَ بنيه فأَتَى بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذَعَرْتُم الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: يا بني، بش ما صنعت: نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمتَّ عدوك وأسأت بقومك؛ خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديتة فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه.

### طاوس بن كيسان والمرأة الماجنة

قالت امرأة ماجنة: ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فإني تعرضت له فقال: إذا كان وقت كذا فتعالى، فجئت ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال: اضطجعي، فقلت: ها هنا؟ فقال: الذي يرانا هنا يرانا ثم.

### أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو

قيل إن أبا الأسود الدؤلي كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ، فجاءه يوماً وقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، قال: فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنوناً، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنوناً!! ادعوا لي أبا الأسود، فلما حضر قال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم. وقيل: إنه دخل بيته يوماً فقال له بعض بناته: يا أبت، ما أحسن السماء،

فقال: يا بنية نجومها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن، إنما تعجبت من حسنها، فقال: إذن فقل ما أحسن السماء، وحينئذ وضع النحو.

٣٣٥

### جلمُ معن بن زائدة

دخل أعرابي يوماً بلا استئذان على معن بن زائدة أيام إمارته وابتدره بقوله:  
أتذكر إذ لحافك جلد شاةٍ      وإذ نعلك من جلد البعير  
فقال معن: نعم أذكر ذلك ولا أنساه.  
فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكاً      وعلمك الجلوس على السرير  
قال: سبحانه على كل حال. فقال:

فلست مسلماً إن عشت دهرأ      على معنٍ بتسليم الأمير  
قال: السلام سنة تأتي بها كيف شئت، فقال:  
أمير يأكل الفالوذ سراً      ويطعم ضيفه خبز الشعير  
قال: الزاد زادنا نأكل ما نشاء ونطعم ما نشاء. فقال:

سأرحل عن بلادٍ أنت فيها      ولوجار الزمان على الفقير  
قال: إن جاورتنا فمرحباً بك، وإن رحلت عنا فمصحوب بالسلامة. فقال:  
فجُد لي يا ابن ناقصةٍ بشيءٍ      فلإني قد عزمت على المسير  
قال: أعطوه ألف درهم. فقال:

قليل ما أتيت به وإني      لأطمعُ منك بالمال الكثير  
قال: أعطوه ألفاً آخر.

فتقدم الأعرابي يقبل الأرض بين يديه وقال: ما جئتك والله أيها الأمير إلا مختبراً



جَلَمَكَ لما اشتهر عنك، فألفيت فيك من الحلم ما لو قُسم على أهل الأرض لكفاهم جميعاً.

سألتُ الله أن يقيقك ذخراً فما لك في البرية من نظير  
قال معن: أعطيتاه على هجونا ألفين فأعطوه على مديحنا أربعة.

\*\*\* ٣٣٦ \*\*\*

### الحجاج والشيخ

حكى ان الحجاج خرج في بعض الأيام للتنزه، فصرف عنه أصحابه وانفرد  
بنفسه، فلقي شيخاً من بني عجل، فقال له: من أين أنت يا شيخ؟  
قال: من هذه القرية.  
قال: ما رأيك بحكام البلاد؟  
قال: كلهم أشرار يظلمون الناس ويختلسون أموالهم.  
قال: وما قولك في الحجاج؟  
قال: هذا أنجسهم، سَوَدَ الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد.  
فقال الحجاج: أتعرف من أنا؟  
قال: لا والله!  
قال: أنا الحجاج.  
قال: أنا فداك، وأنت أتعرف من أنا؟  
قال: لا.  
قال: أنا زيد بن عامر مجنون بني عجل أُصْرَعُ في كل يوم مرة في مثل هذه  
الساعة.  
فضحك الحجاج وأحسن إليه.

\*

### ربابة ربّة البيت

قال أحدهم لبشار بن برد: إنك لتجيء في شعرك بالشيء الهجين المتفاوت .  
فبينما تقول شعراً تثير به النقع، وتخلع القلوب كقولك:

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً      هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما  
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة      ذرى منبرٍ صلى علينا وسلماً  
نراك تقول:

ربابة ربّة البيت      تصبُّ الخلُّ في الزيت  
لها عشر دجاجاتٍ      وديكٌ حسنُ الصوتِ  
فضحك بشار وقال:

لكل وجه موضع . فالقول الأول جدُّ، والثاني قلته في رباب جاريتي، وهو  
عندها خيرٌ من «قفا نيك» عندك.

### إن شاء الله

سئل أحد الظرفاء إلى أين؟

قال: إلى السوق لأشتري حماراً.

فقيل له: قل إن شاء الله.

قال: وما وجه الاستثناء؟ الدراهم في جيبي والحمير في السوق؟

فلما ذهب سُرقت منه الدراهم، فعاد حزيناً، فقيل له: ماذا فعلت؟

قال: سرقت الدراهم إن شاء الله.



### أشعر الناس

قال رجل لجرير: من أشعر الناس؟  
 فقال: قم لأعرفك الجواب. فأخذ بيده إلى رجل اعتقل عنزةً بين رجله وجعل  
 يمضضُ ضرعها. فصاح به جرير، فرفع رأسه، فإذا هو شيخ دميم السحنة، رث  
 الهيئة، وقد سال لبن العنزة على لحيته، فقال جرير لصاحبه: أتعرف من هذا؟  
 قال: لا.  
 قال: هذا أبي، واسمع عطية. وهل تدري لماذا يمضض ضرع العنزة؟  
 قال: لا.  
 قال: بخلاً وخسّةً، فإنه يخاف أن يُسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن.  
 ثم قال: أشعر الناس من فاحر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فقلّهم  
 جميعاً.

### الحجاج وهند

أمر الحجاج ابن القرية الشاعر بأن يأتي هنداً بنت أساء فيطلقها بكلمتين،  
 ويمتّعها بعشرة آلاف درهم، فأتاها، فقال لها: إن الحجاج يقول لك: كنتِ فبنتِ  
 وهذه عشرة آلاف متعة لك.  
 فقالت: قل له كنا فما حمدنا، وبنا فما ندمنا، وهذه الآلاف العشرة لك بشارتك  
 إياي بطلاقي.

### كن ابن من شئت

قال أحدهم: كنت عند رئيس الشرطة في صباح أحد الأيام فجيء إليه بثلاثة  
 شبان قبض عليهم يغنون ويضجون في ساعة متأخرة من الليل. فسأل الأول من

أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا تنزل الدهر قِذْرُهُ وإن نزلت يوماً فسوف تعودُ  
تري الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ  
فقال رئيس الشرط في نفسه: قد يكون ابن أحد أسخياء العرب، فخلّى سبيله  
وسأل الثاني فقال:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقلت  
ركاباً لا تنفك رجلاه منها إذا الخيل في يوم الكريمة ولّت  
فقال رئيس الشرط في نفسه: ربما كان أحد أبطال العرب فخلّى سبيله، وسأل  
الثالث فقال:

أنا ابن من دانت الرقاب له من بين غزومها وهاشمها  
تأتيه بالرغم وهي صاغرة فيأخذ من مالها ومن دمها  
فقال رئيس الشرط في نفسه: لا شك في أنه أحد أشراف العرب فخلّى سبيله.  
ولما انصرف الشبان وكنت أعرفهم، قلت: أتعرف من هؤلاء؟  
قال: لا.

قلت: الأول ابن فوّال لا تنزل الدهر قدره.  
والثاني ابن حيّالك رجلاه في ركاب نوله.  
والثالث ابن حجّام يأخذ من دم الناس ومن مالهم.  
فضحك رئيس الشرط وقال: إن لم يكن إلا على أديمهم فقد استحقوا.

٣٤٢

### الشفيع إلى معن

أراد أحد الشعراء الدخول على معن بن زائدة وهو في أحد البساتين، فحيل  
دونه وطال انتظاره فلم يتهياً له ما يريد.  
واتفق أن الماء كان يدخل البستان في قناة تمرّ تحت سورة، فكتب الرجل هذا

البيت من الشعر على خشبة وألقاها في الماء فحملها إلى داخل البستان :  
أيَا جُودٍ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي      فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ شَفِيعُ  
وَصَادَفَ أَنْ كَانَ مَعَهُ جَالِسًا قَرَبَ الْمَاءِ ، فَشَاهَدَ الْخَشْبَةَ وَقَرَأَ مَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ :  
مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ ؟  
فَدَعَى الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ ؟  
فَأَنشَدَهُ الْبَيْتَ .  
فَقَالَ لَهُ : بورك بك وبشفيئك . وأمر بألف درهم فحملها وانصرف .

٣٤٣

### لا تنسَ الكامخ

قَدَّمَ الْكَامِخَ لِأَعْرَابِي فَلَمْ يَسْتَطِعْهُ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟  
قَالُوا : كَامِخٌ .  
قَالَ : وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ صُنِعَ ؟  
قَالُوا : مِنَ الْخَنْطَةِ وَاللَّبَنِ .  
قَالَ : أَبَوَانِ كَرِيمَانِ وَمِنْ أَنْجَبَا .  
وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ » فَقَالَ  
لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَالْكَامِخُ لَا تَنْسُهُ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ .

٣٤٤

### خشونة البادية

نَزَلَ بَدْوِي عَلَى قَوْمٍ فِي ضَوَاحِي الشَّامِ فَأَكْرَمُوهُ وَلَمَّا أَزْمَعَ عَلَى السَّفَرِ وَقَفَ يَمْدَحُ  
أَمِيرَهُمْ فَقَالَ :

أَنْتَ كَالدَّلْوِ لَا عِدْمَانَكَ دَلْوًا      مِنْ كَثِيرِ الْعَطَا قَلِيلُ الذَّنُوبِ  
أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي الْحِفَازِ عَلَى الْوَدِّ      وَكَالتَّيْسِ فِي قِرَاعِ الْحُرُوبِ

٣٠٠

فهم أصحاب الأمير بقتله . فقال لهم : خلّوا عنه . لقد والله مدحني بخير ما وصل إليه علمه ، إنه لا يعرف أوفر من الدلو عطاءً وأقلّ ذنباً ، ولا آمن من الكلب وأصفى ولاء ولا أمثل من التيس في الرئاسة ، ولا أقوى شكيمة فشبهني بأفضل ما يعرف ، فلا لوم عليه ولا تثرīb<sup>(١)</sup> أقيموه بيننا فلا نعدم منه شاعراً مجيداً .  
وأقام بينهم ردحاً من الدهر فتخلّق بأخلاقهم وزالت من طبعه خشونة البادية ،  
فإذا بأبيات رقيقة رائعة تنتشر بعد حين وتنسب إليه :

يا من حوى ورد الرياض بخدّه      وحكى قضيب الخيزران بقدّه  
دع عنك ذا السيف الذي جرّدته      عيناك أمضى من مضارب حدّه  
كل السيوف قواطع إن جرّدت      وحسام لحظك قاطع في غمده  
إن شئت تقتلني فأنت محكّم      من ذا يعارضُ سيّداً في عبده

٣٤٥

### ليس على الأعمى حرج

كان بشار بن برد يقول الشعر وهو صبيّ ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه يشكونه فيضربه ضرباً شديداً . وفي ذات يوم قال له : يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر وإني إن تابرت عليه أغيتك ، وأغنيت سائر أهلي ، فإن شكوني إليك قل لهم : ألم يرد في القرآن الكريم «ليس على الأعمى حرج» ؟  
فلما عاد القوم إلى الشكوى قال لهم بُرد ما أشار به بشار ، فانصرفوا وهم لا يعلمون أيما أنكى شعر بشار أم فقه بُرد ؟!

٣٤٦

### بلادة وفطنة

كان أحدهم يتردّد إلى الخليل ، واضع أصول العروض ، ليأخذ عنه هذا العلم ، فأقام الرجل مدّة يسمع ولا يعلق في ذهنه شيء لبلادته ، فملّه الخليل وأراد أن

(١) تثرīb: لوم.

يصرفه من غير أن ينال من كرامته، فطلب منه أن يقطع هذا البيت لعمر بن معدي كرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع  
فأخذ الرجل في تقطيعه بقدر طاقته ومعرفته، ثم انصرف ولم يرجع.  
فعجب الخليل من فطنته في إدراك قصده مع ما هو عليه من البلادة في تحصيل العروض.

٣٤٧

### هاته يا أحول

كان هشام منبسط الوجه يوماً فقال لمن حضر: من يسبني ولا يفحش أعطيته هذا المطرف<sup>(١)</sup>.

فقال له أحد الظرفاء: هاتيه يا أحول.

فضحك هشام، وكان أحول، وقال له: خذه قاتلك الله.

٣٤٨

### وليمة أشعب

قال أشعب: أضجرتي الصبيان يوماً، فأردت أن أصرفهم عني، فقلت لهم: إن بموضع كذا في جنوب المدينة عرساً فامضوا إليه.

فلما تهافتوا، وتبعهم بعض الفضوليين قلت في نفسي: لعل ثمة عرساً حقيقة، فرحت أعدو وراءهم.

(١) المطرف: الثوب.

## أخطب الناس

قال زياد يوماً لحارثة بن بدر: من أخطب الناس؟ أنا أم أنت؟  
فقال: الأمير أخطب مني إذا توعد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا  
أخطب منه في الوفاة وفي الثناء والتجبير، وأنا أكذب إذا خطبتُ، فأخشو كلامي  
بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحقِّ وميزان العدل، ولا يزيد فيه شعيرة ولا  
ينقص منه.

فقال له زياد: قاتلك الله، لقد أجذتَ تخلص صفتك وصفتي من حيث  
أعطيتَ لنفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت.  
ثم التفت إلى أولاده وقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

## أقنع الحمار

قال أحدهم: سافرت مرةً إلى الشام عن طريق البرِّ ومعي أعرابي استأجرت منه  
مركبي<sup>(١)</sup>، ومضني طول السفر، وبطء الدابة فأخذت أسلي نفسي بقول القطامي:  
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزللُ  
فقال الأعرابي: ما زاد قاتل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم وكان  
أولى به أن يزيد:  
وربما ضرَّ بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا  
فقلت: أناشدك الله أن تقنع حمارك بهذا الرأي لعله يسرع.

\*

(١) المركب: الدابة.



### الخنساء وحسان بن ثابت

كانت تُضرب لنا بعة بني ذبيان قُبّة في سوق عكاظ، فيجتمع إليه الشعراء  
ينشدونه أشعارهم، وأنشدته الخنساء قصيدتها التي مطلعها:

قذَى بعينك أم بالعين عَوَّارُ

ولما فرغت منها قال لها: اذهبي أنتِ أشعر من كل ذات ثدين ولولا أن أبا بصير  
أنشدني قبلك لفضّلتك على شعراء هذا الموسم. ويقصد بأبي بصير الأعشى.  
فقال له حسان بن ثابت: أنا أشعر منك ومنها ومن أبيك، فقال: أجيبه يا  
خناس: فقال لحسان: ما هو أفضل بيت عندك؟ قال:

لنا الجفّنات الغرّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقلت: أضعفت شعرك في تسعة مواضع:

- لو قلت «الجفان» لكنت الأكرم، فالجفّنات جمع قَلّة وهذه جمع كَثرة.
- ولو قلت «البيض» لكنت جفّناتك في الليل وضّاحة فالبياض أبين من  
الغَرَر.
- ولو قلت «يشرقن» لكان أكثر تألقاً في الإشراف منه في اللمعان، وهو مستمر  
وهذا متقطع.
- ولو قلت في «الدّجى» لكنت أحسنت فاللموع في الليل أبين مما في الضّحى  
والضّيف في الليل أحوج إلى الضيافة منه في الضّحى.
- وأنثت أسيافك في «يقطرن» فأضعفتها، ولا سيف أقطع من السيف الذّكر.
- وقلت «أسيافنا» وهو جمع قَلّة دون العشرة فلو قلت «سيوفنا» لعزّ عديدك.
- وقلت: «يقطرن» ولو قلت يجرين أو يدفّقن لكنت أغزر من يقطرن.
- وقلت: «دما» وهو مفرد فلو جمعت وقلت دِما لأظهرت مضاء سيوفك.

فقام حسان منكسراً ومضى.

وفي رواية أن النابغة نفسه هو صاحب هذا الاستدراك لا الخنساء.

### دمامة الحريري

كان الحريري دميماً قبيح المنظر، وجاءه رجل يوماً ليأخذ عنه، فاستزرى ما رأى  
من حقارة شكله ودمامة وجهه، ولما التمس منه أن يُبلي عليه، وقد أدرك الحريري  
ما كان يدور في خَلده قال له: أكتب:

ما أنت أول سارِ غرّة قمرٍ ورائد أعجبتَه خُصرة الدّمنِ  
فاختر لنفسك غيري إنني رجلٌ مثل المعيدِي فاسمع بي ولا ترني  
فخجل الرجل وانصرف.

### لثغة ابن مُقلة

كان في لسان ابن مُقلة الكاتب لثغة بالراء كلثغة واصل بن عطاء، وأراد  
أحدهم مرّة أن يُخرجه فطلب منه أن يقرأ أمام أحد الأمراء الرّقعة التالية:  
أمر أمير الأمراء بأن تُحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منها الشارب والوارد.  
فكره أن يظهر ما في لفظه من عيب فقرأ كما يلي:  
حكم حاكم الحكّام بأن يُجعل جُبّ على حافة الوادي ليستقي منه الغادي  
والبادي.

### إن لم يكن بالّلين كان بغيره

أقبل الخطيئة الشاعر في ركب من بني عبس حتى بلغ المدينة، فأقام فيها مدّة،  
فقال له أصحابه يوماً: لقد أملكنا، فلو وجدت لنا شريفاً في هذه البلدة يقرينا. فأتى  
خالد بن سعيد بن العاص، فاعتذر، فتركه ولم يُعد الكلام فارتاب به خالد، فأرسل  
يسأل عنه، فأخبر أنه الخطيئة، فاستعاده، فقعد الخطيئة لا يتكلّم، فأراد خالد أن

يستفتحه الكلام فقال له :

مَنْ أشعر الناس؟

قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه    يَفَرُّه ومن لا يَتَّقِ الشتم يُشتم  
فقال خالد لبعض جلسائه : هذه بعض عقاريه ، وأمر للحطيئة بما أرضاه .

٣٥٥

### ابن عاق

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرّة . فقال له يوماً : إنك لمرّ يا مرّة ،  
قال : أعجبتني حلاوتك يا حنظلة .

قال : إنك خبيث كاسمك .

قال : أخبث مني من سمائي .

قال : كأنك لست من الناس .

قال : من شابه أباه فما ظلم .

قال : ما أحوجك إلى أدب .

قال : الذي رباني أحوج مني .

قال : عقم أم ولدتك .

قال : إذا ولدت من مثلك .

قال : كنت مشؤوماً على أخوتك ، دفتهم وبقيت .

قال : أعجبتني كثرة عمومي .

قال : لا تزداد إلا خبثاً .

قال : لا يُجنى من الشوك العنب .

\*

### مروءة حاتم

خرج حاتم الطائي في الشهر الحرام يطلب حاجةً، فلما كان في أرض عنزة ناداه أسير لهم: يا أبا سفانة، أكلني الإسار<sup>(١)</sup> والقمل.  
قال: ويلك، والله ما أنا في بلاد قومي، وما معي شيء، وقد أسأت إليّ إذ نَوَّهت باسمي وما لك مترك.  
وساوم العنزيين فاشتراه منهم وقال: خلّوا سبيله وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أوّدي فداءه. ففعلوا، فأتى بفدائه.

### الفأر للصنوبري

يا لحُدب الظهور تُعس الرقابِ      لدقاق الخرطوم والأذنانِ  
لِللطافِ آذانها والخراطيعِ      مُ حداد الأظفار والأنيابِ  
خُلقتُ لفسادِ مَذْخَلِ الخلدِ      قُ، وللعيث والأذى والخرابِ  
ناقباتٍ في الأرض والسقف والحا      ثُ نقباً أعياء على النقبِ  
آكلاتٍ كل المآكل لا تسد      أُمها شاربات كل الشرابِ  
آفاتٍ قرض الثياب وقد يع      دِلُ قرض القلوب قرض الثيابِ

### هذا ولا ذاك

قال الأصمعي: بينما أنا في طرف البصرة رأيت كناساً يعمل وهو يرّدّد:  
فأياك والسُّكنى بمسكن ذلّةٍ      تعدُّ مسيئاً فيه إن كنت مُحسناً  
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكنُ      عليك بها فاطلب لنفسك مسكناً

(١) الإسار: الأسر.

فقلت له: والله ما بقي عليك من الهوان شيء إلا وقد أهنتها فيه. فإذا أبقيت لها من الكرامة وأنت كناس؟  
فنظر إليّ نظرة المنكر وقال: والله لكنس ألف كنيف<sup>(١)</sup> أحسن من القيام ساعة على باب مثلك.

٣٥٩

### ليت عينيه سواء

رؤى أن رجلاً جاء خياطاً بشوب ليقطع منه قميصاً، فقال له: والله لأفصلنه لك تفصيلاً لا يُدرى أقميص هو أم قباء. ففعل ذلك، فقال له صاحب الشوب: وأنا والله لأدعون لك دعاء لا يُدرى ألك هو أم عليك. وكان الخياط أعور ويُدعى بشراً، قال:

خاط لي بشر قباء ليت عينيه سواء  
فقال له بشر: ولكل امرء ما نوى.

٣٦٠

### أقاويل العرب في الغيلان والتغول

للعرب في الغيلان أخبار طريفة.  
العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات، ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور، فيخاطبونها وربما ضيقوها، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم وبالأخص تأبط شراً. ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون:

يا رجل عنز انهقي نيقا لن نترك السبسب والطريقا  
ذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي وأوقات الخلوات، فيتوهم أنها إنسان

(١) الكنيف: بيت الحلاء.

فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها وتتيهم. وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فإذا صيغ بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.

وقد ذكر جماعة من الصحابة ذلك، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام وأن الغول كانت تتغول له وأنه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الإسلام، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم.

وقد حكى بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان مشوه لم تحكمه الطبيعة، وأنه لما خرج منفرداً في نفسه وهيئته توخّش من مسكنه فطلب القفار، وهو يناسب الإنسان والحيوان في الشكل.

وزعمت طائفة من الناس أن الغول اسم لكل شيء يعرض للمسافرين ويتمثل في ضروب من الصور، ذكراً كان أو أنثى إلا أن أكثر كلامهم على أنه أنثى.

وكانت العرب قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتحيل واختلال السابلة.

## ❖ ❖ ❖ ٣٦١ ❖ ❖ ❖

### أقاويل العرب في الهواتف والجنان

قال المسعودي في مروج الذهب:

فأما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبي (ص) وفي أولية مبعثه، ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي.

قال المسعودي: وقد تنازع الناس في الهواتف والجنان: فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب وتنسب به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في القفار والتفرد في الأودية والسلوك في المهامة الوحشية لأن الانسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحد تفكر، وإذا هو تفكر وجلّ وجبن، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة، والأوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص، وأوهمته المحال، بنحو ما يعرض لذوي الوسواس، وقطب ذلك وأشبهه سوء التفكير

وخروجه على غير نظام قويّ أو طريق مستقيم سليم لأن المتفرّد في القفار والمتوحّد في الصحاري الموحشة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف متوقع للحتوف، لقوّة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها في نفسه، فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له.

وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول: إن من الجن من هو على صورة نصف الإنسان وأنه كان يظهر لها في أسفارها وحين خلواتها وتسميه شيقاً. وذكروا عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محارب الكناني جد مروان بن الحكم لأمه أنه خرج في بعض الليالي يريد مالاً بمكة فأنتهى إلى الموضع المعروف إلى هذا الوقت بحائط حرمان، فاذا هو بشقّ قد ظهر له في أوصاف ذكرها في شعر بينه وبين هذا الشق<sup>(١)</sup>، فضرب كل منهما صاحبه فخرّاً ميتين وهذا مشهور عندهم وأن علقمة بن صفوان قتله الجن. وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتها في حرب بن أمية حين قتله الجن وهما:

وقبر حربٍ بمكان قفر      وليس قرب قبر حربٍ قبرٌ  
واستدلوا على أن هذا الشعر من قول الجن بأن أحداً من الناس لا يتأق له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع في إنشادهما لأن الإنسان قد ينشد العشرين بيتاً والأكثر والأقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتبع فيه. وممن قتله الجن مرداس بن أبي عامر السلمي وهو أبو عباس بن مرداس السلمي، ومنهم الغريص المغني المشهور بعد أن ظهر غناؤه وحمل عنه وقد كانت الجن نهته أن يغني بأبيات من الشعر فغناها فقتلته. وحدث يحيى بن عقاب عن علي بن حرب، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن يزيد الطائي ثم الصامتي قال: رأيت قبر حاتم طيء ببقه<sup>(٢)</sup> وهو أعلى جبل له وإِ يقال له الخابل وإذا قدر عزيمة من بقايا قدور حجر مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها

(١) راجع: «مروج الذهب»، ٢: ١٦١.

(٢) بقعة: اسم موضع.

الناس، وعن يمين قبره أربع جوارٍ من حجارة، وعلى يساره أربع جوارٍ من حجارة، كلهن صاحبة شَعْر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه، ولم يَرَ بياض أجسامهن وجمال وجوهن، مثلهن الجن على قبره، ولم يكن قبل ذلك، والجواري بالنهار كما وصفنا، فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه، ونحن في منازلنا نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر. فإذا طلع الفجر سكتن وهدأن، وربما مرّ المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجباً بهن، فإذا دنا منهن وجدهن حجارة.

٣٦٢

### الحكماء على جدث الاسكندر

لَمَّا مات الإسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم، وكان يجمعهم، ويستريح إلى كلامهم ولا يصدر الأمور إلّا عن رأيهم، وجُعِل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلي جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه، فقال عظيم الحكماء، والمقدم فيهم: ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعمامة واعظاً، وقام فوضع يده على التابوت فقال: أصبح أسر الأسراء أسيراً، ثم قام حكيم ثانٍ فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبىء الذهب فصار الذهب يخبئُهُ.

وقال الحكيم الثالث: ما أزهّد الناس في هذا الجسد، وأرغبهم في هذا التابوت.

وقال الحكيم الرابع: من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترّون.

وقال الخامس: ياذا الذي جعل أجله ضيائاً، وجعل أمله عياناً. هلاًّ باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك، هلاًّ حققت من أملك بالامتناع عن فوت أجلك؟ وقال السادس: أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقتك أيامه، فمغنائه لغيرك، ووباله عليك.

وقال السابع: قد كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك، فمن كان له عقل فليعقل، ومن كان معتبراً فليعتبر.



وقال الثامن: رَبِّ هَائِبْ لَكَ كَانَ يَغْتَابُكَ مِنْ وَرَائِكَ، وَهُوَ الْيَوْمَ بِحَضْرَتِكَ لَا يَخَافُكَ.

وقال التاسع: رَبِّ حَرِيصٍ عَلَى سَكُوتِكَ إِذْ لَا تَسْكُتُ، وَهُوَ الْيَوْمَ حَرِيصٌ عَلَى كَلَامِكَ إِذْ لَا تَتَكَلَّمُ.

وقال العاشر: كَمْ أَمَاتَتْ هَذِهِ النَّفْسَ لَثَلًا تَمُوتُ وَقَدْ مَاتَتْ.  
وقال الحادي عشر، وَكَانَ صَاحِبَ خَزَانَةِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ: قَدْ كُنْتُ تَأْمُرُنِي أَنْ لَا أَبْعِدَ عَنْكَ، فَالْيَوْمَ لَا أَقْدِرُ عَلَى الدُّنُورِ مِنْكَ.

وقال الثاني عشر: هَذَا الْيَوْمَ عَظِيمُ الْعَبْرِ، أَقْبَلَ مِنْ شَرِّهِ مَا كَانَ مَدْبِرًا، وَأَدْبَرَ مِنْ خَيْرِهِ مَا كَانَ مُقْبِلًا، فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى مَنْ زَالَ مُلْكُهُ فَلْيَبْكِ.

وقال الثالث عشر: يَا عَظِيمُ السُّلْطَانِ اضْمَحَلَّ سُلْطَانُكَ كَمَا اضْمَحَلَّ ظِلُّ السَّحَابِ، وَعَفَّتْ آثَارُ مَمْلَكَتِكَ كَمَا عَفَّتْ آثَارُ الرِّيَابِ.

وقال الرابع عشر: يَا مَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ طَوْلًا وَعَرْضًا، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ فِيهَا احْتَوَى عَلَيْكَ مِنْهَا؟

وقال الخامس عشر: أَعْجَبَ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ سَبِيلَهُ كَيْفَ شَرِهَتْ نَفْسَهُ بِجَمْعِ الْحَطَامِ الْبَائِدِ وَالْهَشِيمِ الْهَامِدِ.

وقال السادس عشر: أَيُّهَا الْجَمْعُ الْحَافِلُ وَالْمُلْتَقَى الْفَاضِلُ لَا تَرْغَبُوا فِيهَا لَا يَدُومُ سُرُورُهُ وَتَنْقَطِعُ لَذَّتُهُ، فَقَدْ بَانَ لَكُمْ الصَّلَاحُ وَالرِّشَادُ مِنَ الْغِيِّ وَالْفَسَادِ.

وقال السابع عشر: انظُرُوا إِلَى حُلُمِ النَّائِمِ كَيْفَ انْقَصَى؟ وَظِلِّ الْغَمَامِ كَيْفَ انجلى؟

وقال الثامن عشر، وَكَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ: يَا مَنْ كَانَ غَضَبُهُ الْمَوْتَ هَلَا غَضِبْتَ عَلَى الْمَوْتِ؟

وقال التاسع عشر: قَدْ رَأَيْتُمْ أَيُّهَا الْجَمْعُ هَذَا الْمَلِكَ الْمَاضِي فَلْيَتَعِظْ بِهِ الْآنَ هَذَا الْمَلِكُ الْبَاقِي.

وقال العشرون: هَذَا الَّذِي دَارَ كَثِيرًا وَالْآنَ يَقَرُّ طَوِيلًا.  
وقال الحادي والعشرون: إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الْأَذَانُ تُنْصِتُ لَهُ قَدْ سَكَتَ، فَلْيَتَكَلَّمْ الْآنَ كُلُّ سَاكِتٍ.

وقال الثاني والعشرون: سيلحق بك من سرّه موتك كما لحقت بمن سرّك موته .  
 وقال الثالث والعشرون: ما لك لا تُقلّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلّ  
 ملك الأرض؟ بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به، وقد كنت  
 ترغب بها عن رحب البلاد؟  
 وقال الرابع والعشرون، وكان من نسّك الهند وحكمائها: إن دنيا يكون هكذا  
 آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها .  
 وقال الخامس والعشرون، وكان صاحب مائدته: قد فُرشت النهارك ونضدت  
 الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجلس .  
 وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله: قد كنت تأمرني بالجمع  
 والإدخار فلمن أدفع ذخائرك؟  
 وقال السابع والعشرون، وكان خازناً من خزائنه: هذه مفاتيح خزائنك فمن  
 يقبضها قبل أن أوخذ بما لم آخذ منها؟  
 وقال الثامن والعشرون: هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُويت منها في سبعة  
 أشبار ولو كنت بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب .  
 أمّا القول التاسع والعشرون فقول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك  
 فارس: ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك يغلب، وإن كان هذا الكلام الذي  
 سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شناعة، فقد خلف الكأس الذي تشرب به الجماعة .  
 والقول الثلاثون ما يحكى عن أمّه أنها قالت حين جاءها نعيه: لئن فقد من ابني  
 أمره، فما فقدت من قلبي ذكره .

❦ ٣٦٣ ❦

### وصية الإسكندر لأمّه

مات الإسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة  
 وذلك بمقدونية، وهي مصر، وعهد إلى ولي عهده بطليموس بن أريت أن يحمل  
 تابوته إلى والدته بالإسكندرية وأوصاه أن يكتب إليها إذا أتاها نعيه أن تتخذ وليمة  
 وتنادي في مملكتها أن لا يتخلّف عنها أحد، وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبواً

أو مات له خليل، وليكون ذلك مآثم الاسكندر بالسرور، خلاف مآثم الناس بالحزن، فلما ورد نعيه إليها وُضع التابوت بين يديها نادى في أهل مملكتها على ما به أمرها، فلم يجب أحد دعوتها، ولا بادر إلى ندائها، فقالت لحشمها:

ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي؟

فقالوا لها: أنتِ منعتهم من ذلك.

قالت: وكيف؟

فقبل لها: أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوباً، أو عدم خليلاً، أو فارق حبيباً، وليس فيهم أحد إلا وقد أصابه بعض ذلك.

فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت:

«لقد عزّاني ولدي أحسن العزاء».

## ٣٦٤

### الملك أوزور وخننجاس والخمرة

قرأت في مروج الذهب للمسعودي أن الملكين أوزور وخننجاس كانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاظدا على الملك. ويقال إن أحد هذين الملكين كان جالساً ذات يوم إذ نظر في أعلى قصره إلى طائر قد أفرخ هناك، وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح، فتأمل الملك ذلك فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر صاعدة لأكل فراخ الطائر، فدعا الملك بقوس فرمى به الحية فصرعها، وسلمت أفراخ الطائر، فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحيه وفي منقاره حبة وفي مخاليبه حبتان وجاء إلى الملك وألقى ما كان في منقاره ومخاليبه، والملك يرمقه، فوقع الحب بين يدي الملك فتأمله وقال: لأمر ما ألقى هذا الطائر ما ألقى، ولا شك أنه أراد مكافأتنا على فعلنا به، فأخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله في إقليمه، فقال جليس من جلسائه حكيم وقد نظر إلى حيرة الملك في الحب: أيها الملك، ينبغي أن يودع النبات أرحام الأرض فإنها تخرج كنه ما فيه، فنقف على الغاية منه، فدعا بالأكرة<sup>(١)</sup> وأمرهم بزرع الحب

(١) الأكرة: الفلاحون.

ومراعاته وما يكون منه، فزرع، فنبت وأقبل يلتفت بالشجر ثم حصرم وأعنب وهم يرمقونه، والمملك يراعيه، إلى أن انتهى من البلاغ وهم لا يُقدمون على ذوقه خوفاً أن يكون متلفاً.

فأمر المملك بعصر مائه، وأن يودع في أوانٍ وإفراد حبّ منه وتركه على حالته، فلما صار في الآنية عصيراً هَدَرَ وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقة. فقال المملك: عليّ بشيخ كبير فإنّ، فأتي به فلدد له من ذلك في إناء فرآه لوناً عجيباً، ومنظراً كاملاً، ولوناً ياقوتياً أحمر، وشعاعاً نيراً، ثم سقوا الشيخ، فلما شرب ثلاثاً حتى مال وأرخى من مآزره الفضول وصَفَّقَ بيديه وحرَّكَ رأسه ووقع برجليه على الأرض، فطرب، ورفع عقيرته<sup>(١)</sup> يتغنى.

فقال المملك: هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلاً، ألا ترى إلى الشيخ كيف عاد في حال الصبا وسلطان الدم وقوة الشباب؟ ثم أمر المملك به فزيد، فسكر الشيخ، فنام، فقال المملك: هلك. ثم إن الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال: لقد شربته فكشف عني الغموم، وأزال عن ساحتي الأحزان والهموم، وما أراد الطائر إلّا مكافأتهم بهذا الشراب الشريف. فقال المملك هذا أشرف شراب أهل الأرض وذلك أنه رأى شيخاً قد حسن لونه وقوي حيله، وانبسط في نفسه، وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم، وجاد هضمه وجاءه النوم، وصفا لونه، واعترت أريجته، فأمر المملك أن يكثر من غرس الكرم، فكثر الغرس للكرم وأمر أن يمنع العامة من ذلك، وقال: هذا شراب الملوك وأنا السبب فيه، فلا يشربه غيري. فاستعمله المملك بقية أيامه، ثم نما في أيدي الناس واستعملوه، وقد قيل: إن نوحاً أول من زرعها.

❖ ❖ ❖ ٣٦٥ ❖ ❖ ❖

### بين قيصر وكسرى

قرأت في مروج الذهب للمسعودي أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه يعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده، فأمر بها كسرى فأرسلت

(١) عقيرته: صوته.

على ظبي عرض له فدقته، فأعجبه ما رأى منها، فانصرف مسروراً فجوّعها ليصيد بها، فوثبت على صبي له فقتلته، فقال كسرى: وَتَرْنَا قَيْصَرَ فِي أَوْلَادِنَا بِغَيْرِ جَيْشٍ. ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر ثمراً، وكتب إليه أنه يقتل الأطباء وأمثالها من الوحوش وكتب ما صنعت العقاب، فأعجب قيصر حسن النمر، وطابق صفته بوصف من الفهد، وغفل عنه، فافترس بعض فتيانه، فقال: صادنا كسرى، فإن كنّا قد صدناه فلا بأس.

## الملك في عادات الهنود

### البيوت السبعة المعظمة

قالوا: إن هناك بيوتاً سبعة معظمة متخذة على أسماء الكواكب.

أما البيت الأول فهو البيت الحرام.

وأما البيت الثاني فهو على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس، وكانت فيه أصنام إلى أن أخرجها منه يستأسف الملك لما تمجّس وجعله بيت ناره. وهذا البيت معظم عند المجوس إلى هذه الغاية.

والبيت الثالث يدعى مندوسان ببلاد الهند وهذا البيت تعظمه الهند وله قرابين تقرب وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والدافعة والمنفرة من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها.

والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي بسدانته تعظمه الملوك في ذلك الصقع، وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال، وكانت عليه وقوف، وكان الموكل بسدانته البرامكة، لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً.

والبيت الخامس: بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان بناه الضحّاك، بناه على اسم الزهرة وخربته عثمان بن عفّان رضي الله عنه فهو في وقتنا هذا (سنة ٣٣٢ هـ) خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً، وقد كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح حين نفي إلى اليمن وصار إلى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً. والبيت السادس: كاوسان بناه كاوس الملك بناءً عجيباً على اسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربته المعتصم بالله.

والبيت السابع: بأعالي بلاد الصين بناه ولد عامور بن سوبل بن يافث بن نوح وأفرده للعلة الأولى، وقيل إنما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة كوكب، ولهم في هذا الكوكب سر يسرونه في بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه

لهم الشيطان ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الأجسام السماوية . . .

٣٦٨

### عبد العزيز بن مروان ودفائن أرض مصر

قرأت في مروج الذهب أن لمصر أخباراً عجيبة من الدفائن والبنيان وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض .

فمن عجيب أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال :

كان عبد العزيز بن مروان عاملاً على مصر لأخيه عبد الملك بن مروان فأتاه رجل متنصّح ، فسأله عن نصحه فقال : بالقبة الفلانية كنز عظيم .

قال عبد العزيز : وما مصداق ذلك ؟

قال : هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ، ثم ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب من الصُفَر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك من الذهب عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا ، وجناحاه مضرّجان بالياقوت والزمرد ، برائته على صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود . فأمر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه ، وكان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفرة عظيمة في الأرض ، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر ، فازداد عبد العزيز حرصاً على ذلك ، وأوسع في النفقة ، وأكثر من الرجال ، ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك ، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ، ثم بانّت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الأحجار والرخام ، وقناطر مقنطرة ، وطاقات على أبواب معقودة ، ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الأحجار قد أطبقت عليها أغطيها وشبكت ، وقيد ذلك بأعمدة الذهب .

فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر إلى ما ظهر من

٣١٨

ذلك، فأسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهي إلى هنالك، فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها، فالتفتا على الرجل، فلم يُدرك حتى جزأه قطعاً وهوى جسمه سفلاً، فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيراً عجيباً سمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة وقد عملت باللؤالب والحركات إذا ما وقع على بعض تلك الدرج شيء أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال إلى أسفل تلك الحفيرة، وكان ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهي نحو ألف رجل فهلكوا جميعاً. فجزع عبد العزيز وقال: هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل نعوذ بالله منه! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من التراب على من هلك من الناس، فكان الموضع قبراً لهم.

❖ ❖ ❖ ٣٦٩ ❖ ❖ ❖

### قريش تبني الكعبة والنبي (ص) يضع الحجر الأسود

جاء في مروج الذهب للمسعودي أن السيل كان هدم الكعبة فسرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحليّ وجواهر فنقضتها قريش، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع من الأصباغ عجيبة: منها صورة إبراهيم الخليل في يده الأزام، ويقابلها صورة إسماعيل ابنه على فرس يجيز بالناس مفيضاً، والفاروق قائم على وفد من الناس يقسم فيهم، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصي بن كلاب وغيرهم، في نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور إله صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله.

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سمكها وتأق لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحلهم التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لتبني هناك له كنيسة، وانتهاوا إلى موضع الحجر الأسود وتنازعوا أيهم يضعه، فاتفقوا أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبه، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي (ص) من ذلك الباب، وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق اللّهجة، واجتنابه القاذورات والأدناس فحكموه فيما



تنازعوا فيه، وانقادوا إلى قضائه، فبسط ما كان عليه من رداء، وقيل: كساء طاروني، وأخذ عليه الصلاة والسلام الحجر فوضعه في وسطه ثم قال لأربعة رجال من قريش، وهم أهل الرياسة فيهم، والزعماء منهم، وهم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عدي السهمي، ليأخذ كل واحدٍ منهم بجنبٍ من جنبات هذا الرداء، فشالوه حتى ارتفع عن الأرض، وأدنوه من موضعه، فأخذ عليه الصلاة والسلام الحجر ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور، وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه.

٣٧٠

### بين ابن السّمك وجارية له

تكلّم ابن السّمك يوماً وجارية له تسمع. فلما دخل قال لها: كيف سمعت كلامي؟

قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده!

قال: أردّده حتى يفهمه من لم يفهمه.

قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد ملّه من فهمه.

٣٧١

### أهداه جملاً ثم نزله عليه

أهدى رجلٌ من الثّقلاء إلى رجلٍ من الظرفاء جملاً ثم نزل عليه ضيفاً ثقيلاً حتى أبرمه فقال:

يا مبرماً أهدى جملٌ	خُذْ وانصرف ألفي جملٌ
قال وما أوقارها؟	قلتُ زيبٌ وعسلٌ
قال ومن يقودها؟	قلت له ألفا رجلٌ
قال ومن يسوقها؟	قلت له ألفا بطلٌ

٣٢٠

قال وما لباسهم؟	قلت حليّ وحُلَلْ
قال وما سلاحهم؟	قلت سيوفٌ وأسَلْ
قال عبيدٌ لي إذن	قلت نعم ثم خَوَلْ
قال بهذا فاكتبوا	إذن عليكم لي سجل
قال له ألفي سجل	فاضمن لنا أن ترتحل
قال وقد أضجرتكم	قلت أجل ثم أجل
قال وقد أبرمتكم	قلت له الأمر جَلَلْ
قال وقد أثقلتكم	قلت له فوق الثقل
قال فإني راحلٌ	قلت العَجَلْ ثم العَجَلْ
يا كوكب الشؤم ومن	أربى على نحس زُحَلْ
يا جبلاً من جبلٍ	في جبلٍ فوق جبل

٣٧٢

### سليمان وحديث النسر والقصر

عن ابن القاسم قال:

بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح إذ مرَّ بنسر واقع على قصر، فقال له:

كم لك مذ وقعت ها هنا؟

قال: سبعمائة سنة.

قال: فمن بني هذا القصر؟

قال: لا أدري، هكذا وجدته. ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر وهي<sup>(١)</sup>:

خرجنا من قرى اصطخر إلى القصر فقلناهُ

(١) وردت هذه الأبيات في ثلاثة مواضع من «عيون الأخبار» منسوبة إلى أبي العتاهية ولم نجدها في ديوانه.

فمن يسأل عن القصر فمبنياً وجدناه  
فلا تصحب أخا السوء وإياك وإياه  
فكم من جاهل أردى حكيماً حين آخاه  
يُقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه  
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه  
وفي العين غنى للعين أن تنطق أفواه

❦ ٣٧٣ ❦

### حبّ الولد عند الوالد

في بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن كان من غير الناس، فلما حضرته  
الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره فقال له: من أدخلك داري؟  
قال: الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة.  
قال: ومن أنت؟  
قال: أنا ملك الموت جئت لقبض روحك.  
قال: أأتركني أنت أودع بني إسحاق؟  
قال: نعم.  
فأرسل إلى إسحاق، فلما أتاه أخبره، فتعلّق إسحاق بأبيه وجعل يتقطّع عليه  
بكاءً، فخرج عنهما ملك الموت وقال: يا ربّ، ذبيحك إسحاق متعلّق بخليلك!  
فقال له الله: قل له إني أمهلتك. ففعل، وانحلّ إسحاق عن أبيه، ودخل  
إبراهيم بيتاً ينام فيه، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم.

❦ ٣٧٤ ❦

### جود عبيد الله بن عباس

قالوا:

إن عبيد الله بن عباس أول من فطر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطرق  
وأول من حيّا على طعامه وأول من أنهبه، ومن جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره

٣٢٢

فقام بين يديه فقال: يا ابن عباس إن لي عندك يداً وقد احتجت إليهما. فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدك عندنا؟ قال: رأيتك واقفاً بززم وغلارك يمتح<sup>(١)</sup> لك من مائها والشمس قد صهرتك، فظللتك بطرف كسائي حتى شربت. قال: إني لأذكر ذلك وإنه يتردد في خاطري وفكري. ثم قال لقيمه: ما عندك؟ قال: مائتا دينار وعشرة آلاف درهم. قال: ادفعها إليه وما أراها تفي بحق يده عندنا. فقال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً (ص) ثم شفع بك وبأبيك. ومن جوده أيضاً أنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يا عم ابن عم رسول الله، إنه وُلد لي في هذه الليلة مولود وإني سمّيته باسمك تبركاً مني به، وإن أمه ماتت. فقال عبيد الله: بارك الله لك في الهبة وأجزل لك الأجر على المصيبة. ثم دعا بوكيله فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته. ثم قال للأنصاري: عُد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يُبس وفي المال قلة.

قال الأنصاري: لو سبقت حاتماً بيوم واحد ما ذكرته العرب أبداً، ولكنه سبقك فصرت له تالياً، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده، وطل<sup>(٢)</sup> كرمك أكثر من وابله<sup>(٣)</sup>.



(١) يمتح: يستخرج.

(٢) الطل: الندى.

(٣) الوابل: المطر الكثيف.

### فخ الإسرائيلي والعصفورة

قال يحيى بن عبد العزيز بإسناده عن وهب بن منبه :  
 نصب رجل من بني إسرائيل فخاً فجاءت عصفورة فوقعت عليه فقالت : ما لي  
 أراك منحنيّاً؟  
 قال : لكثرة صلاتي انحنيت .  
 قالت : فما لي أراك باديةً عظامك؟  
 قال : لكثرة صيامي بدت عظامي .  
 قالت : فما لي أرى هذا الصوف عليك؟  
 قال : لزهادي في الدنيا لبست الصوف .  
 قالت : فما هذه العصا عندك؟  
 قال : أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي .  
 قالت : فما هذه الحبة في يديك؟  
 قال : قربان إن مرّ بي مسكين ناولته إياه .  
 قالت : فلإني مسكينة .  
 قال : فخذها . فقبضت على الحبة فإذا الفخّ في عنقها ، فجعلت تقول : قعي  
 قعي !  
 قال الخشنى : تفسيره لا غرّني ناسك مرءٍ بعدك أبداً .

### عمرو بن العاص في احتضاره

لما احتضر عمرو بن العاص ، جمع بنيه فقال : يا بني ، ما تُغنون عني من أمر الله  
 شيئاً .  
 قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا .  
 فقال : اسندوني ، فأسندوه .

ثم قال: اللهم إنك أمرتني فلم ألتزم، وزجرتني فلم أزدجر، اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر! أستغفرك وأتوب إليك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.  
فلم يزل يكررها حتى مات.

٣٧٧

### الحجاج وأعرابي

قال الأصمعي:

خرج الحجاج ذات يوم فأصحر، وحضر غذاؤه فقال: اطلبوا من يتغذى معنا، فطلبوا، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة، فأنوه به. قال له: هَلُمَّ. قال له: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتة.  
قال: مَنْ هو.

قال: الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصيام، فأنا صائم.

قال: صوم في مثل هذا اليوم على حرّ؟

قال: صمت ليوم هو أحرّ؟

قال: فافطر اليوم وتصوم غداً.

قال: ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدٍ؟

قال: ليس ذلك إليّ.

قال: فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ليس إليه سبيل؟

قال: إنه طعام طيب.

قال: والله ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ولكن طيبته العافية.

قال الحجاج: تالله ما رأيت كالיום، اخرجوه عني، اخرجوه عني.

\*

### زياد وشريف بصري

دخل على زياد رجل من أشراف البصرة فقال: أين مسكنك من البصرة؟  
قال: في وسطها.

قال له: كم لك من الولد؟

قال: تسعة. فلما خرج من عنده قيل له: إنه ليس كذلك في كل ما سألته،  
وليس له من الولد إلا واحد وهو ساكن في طرف البصرة.  
فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك فقال له: ما كذبتك. لي تسعة من الولد  
قدّمت منهم ثمانية فهم لي وبقي معي واحد، فلا أدري ألي يكون أم عليّ، ومنزلي  
بين المدينة والجبّانة، فأنا بين الأحياء والأموات، فمنزلي في وسط البصرة.  
قال: صدقت.

### ابن جعفر وأعرابية

قال الشيباني: نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت  
عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت: يا أبا جعفر، هذه دجاجة لي كنت أدجنها  
وأعلفها من قوتي، وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدي، فنذرت  
لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك فأردت أن  
أدفنها فيه.  
فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم.

### أعرابية وابنها

كان لأعرابية ابن شديد العُرام، كثير القتال للناس، مع ضعف أسر ورقّة  
عظم. فوائب مرّة فتى من الأعراب، فقطع الفتى أنفه، فأخذت أمّه دية أنفه،

أحلفُ بالمرّةِ حقاً والصّفا      أنّك خيرٌ من تفاريق العصا  
فقلت لأعرابي: ما تفاريق العصا؟  
قال: العصا تُقطع ساجوراً ثم يقطع الساجور أوتاداً، ثم تقطع الأوتاد أشطّة.

ابن عمر بن عبد العزيز وابن لسليمان

۲۸۲

## جواب في تفحّش

✱



### الفرزدق والمرأة التي أعيته والصبي والنبطي

قال الفرزدق: ما عييت بجواب قط ما عييت بجواب امرأة وصبي نبطي.  
 فأما المرأة فإني ذهبت ببغلي أسقيها في النهر، فإذا معشر نسوة، فلما همزت  
 البغلة حبقت<sup>(١)</sup>، فاستضحك النسوة فقلت لمن: ما أضحككن؟ فوالله ما حملتني  
 أنثى قط إلا فعلت مثلها.  
 فقالت امرأة منهن: فكيف كان ضراط أمك مقبرة، فقد حملتك في بطنها تسعة  
 أشهر! فما وجدت لها جواباً.  
 وأما الصبي فإني كنت أنشد بجامع البصرة، وفي حلقتي الكميث بن زيد وهو  
 صبي، فأعجبني حسن استماعه فقلت له: كيف سمعت يا بني؟  
 قال لي: حسن!  
 قلت: فسرك أني أبوك؟  
 قال: أما أبي فلا أريد به بديلاً، ولكن وددت أن تكون أُمِّي!  
 قلت: استرها علي يا ابن أخي فما لقيت مثلها.  
 وأما النبطي، فإني لقيت نبطياً بيثرب فقال لي: أنت الفرزدق؟  
 قلت: نعم.  
 قال: أنت الذي يخاف الناس لسانك؟  
 قلت: نعم.  
 قال: فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا؟  
 قلت: لا.  
 قال: فيموت ولدي؟  
 قلت: لا.  
 قال: فأموت أنا.  
 قلت: لا.

(١) حبقت: بمعنى ضرطت.

قال: فأدخلني الله في جرِّ أمِّ الفرزدق من رجلي إلى عنقي .  
فقلت: ويلك! ولم تركت رأسك؟  
قال: حتى أرى ما تصنع الزانية .

٣٨٤

### مسببة حرب الفجار الثاني

كان حرب الفجار الثاني بين قريش وهوازن في الجاهلية، وكان الذي هاجه أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة جميلة بسوق عكاظ .

وقالوا: بل طاف بها شباب من بني كنانة وعليها برقع وهي في ثوب شفاف، فأعجبهم ما رأوا من هيئتها، فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم، فأق أحدهم من خلفها فشدد مؤخر ثوبها بشوكة إلى ظهرها وهي لا تدري، فلما قامت تقلص الثوب عن دبرها، فضحكوا وقالوا: منعتنا النظر إلى وجهها فقد رأينا دبرها، فنادت المرأة يا آل عامر، فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

٣٨٥

### الحيل في الحروب

قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله (ص) إلى بدر، مرَّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم .  
فقال رسول الله (ص): إذا أخبرتنا أخبرناك .

فقال الشيخ: خبرت أن قريشاً خرجت من مكة وقت كذا، فلن كان الذي خبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به قريش . وخبرت أن محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فلن كان الذي خبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به رسول الله (ص) . ثم قال: من أنتم؟ فقال رسول الله (ص):

نحن من ماء، ثم انصرف. فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا!

## ٣٨٦

### المتعاديات

بين البوم والغراب عداوة. وبين الفأرة والعقرب عداوة. وبين الغراب وابن عرس عداوة. وبين الحداة والغراب عداوة. وبين العنكبوت وبين العظاءة عداوة. وبين الحية وبين ابن عرس عداوة. وبين ابن آوى والدجاج عداوة. وبين السنور والحمام عداوة. وبين البوم وبين جميع الطير عداوة، لأن البومة رديئة البصر ذليلة بالنهار، فإذا كان الليل لم يقوَ عليها شيء والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير. وبين الحمار وعصفور الشوك عداوة، ومتى نهق الحمار سقط بيض عصفور الشوك، وبين الحمار وبين الغراب عداوة. وبين الحية والخنزير عداوة. والغراب مصادق للثعلب، والثعلب مصادق للحية. والجمل يكره قرب الفرس أبداً ويقاتله. وبين الأسد وبين الفيل عداوة. ويقال إن الأسد والنمر مختلفان. والأسد والوبر متفقان.

## ٣٨٧

### السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواهاً من الكلاب، ولا في الوحوش أطيب أفواهاً من الطباء. وليس في الأرض فحل من جميع أجناس الحيوان لذكره حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إنَّ الأسد يُذعر بصوت الديك ولا يدنو من المرأة الطامث. والأسد إذا بال شغراً<sup>(١)</sup> كما يشغّر الكلب، وهو قليل

(١) شغّر الكلب: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

الشرب للماء ونحوه يشبه نجو الكلب ودواء عضته دواء عضّة الكلب الكلب .  
وقالوا: العيون التي تضيء بالليل عيون الأسد والنمور والسنانير والإفاعي .  
والعرب تقول: هو أحق من جهيزة، وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضبع . ويقولون: الضبع إذا صيدت أو قُتلت عال الذئب أولادها وأتاها باللحم .  
وقالوا: ثلاثة من الحيوان ترجع في قيئها: الأسد والكلب والسنور، ويقال: الضب أيضاً . وأمراض الكلاب ثلاثة: الكلب وهو جنون، والذبحه والنقرس .  
والعرب تقول: دماء الملوك شفاء من عضّة الكلب الكلب والجنون والخبيل .  
والكلب الكلب إذا عض إنساناً فربما أحاله نباحاً مثله ثم أحبله وألقحه بجراء صغار تراها علقاً في صور الكلاب .

والذئب إذا سفل الذئبة فالتحم الفرجان وهجم عليها هاجم قتلها كيف شاء، إلاّ أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السفاد توخى موضعاً لا يطؤه أنيس خوفاً على نفسه .

وقالوا في طبع الذئب محبة الدم، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذئب مثله قد دمي فيثب عليه فيمزقه . ويقولون: إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى .  
والذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز عوى عواء استغاثت فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله .

والفيل يفزع من السنور، وليس في جميع الحيوان شيء لذكوره ثدي في صدره إلاّ الانسان والفيل . ويعتري الفهد داء يقال له خانقة الفهود فإذا اعتراه أكل العذرة فبراً .

قالوا: والأرنب تحيض، وقضيب الذكر من الأرنب ربما كان من عظم وكذلك قضيب الثعلب، والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من المحيض مُنعت من الجبل . والكلف إذا طلي بدم الأرنب أذهب .  
والأرنب تبدل فيصير الذكر منها أنثى وتصير الأنثى ذكراً .

وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلاّ الانسان والقرد . وقال عمرو بن ميمون: زنت قردة في الجاهلية فرجها القرد ورجمتها معهم .

والخفاش تحبل وتلد وتحيض وتُرضع وتطير بلا ريش وربما ولدت وهي تطير،

ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها.

والزرزور يتبع الربيع وتُقْلَع إحدى عينيه فترجع.

وأذباب الإفاعي تقطع فتنبت، ونابها يقطع بالعكاز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال. ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه. وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية ثم الضب بعدها. ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع لسعة العقرب. والضفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح، ولذلك لا تسمع للضفدع نقيقاً إذا خرج من الماء.

وكل شيء يأكل فهو يحرك فكّه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك فكّه الأعلى. والضب يذبح فيمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك. والأفعى إذ دُبِحت تبقى أياماً تتحرك وإن وطئها واطىء نهشته. وللضب ذكران وللضبة فرجان هكذا قال الأصمعي. وليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والفأرة. والذرة تدخر في الصيف للشتاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها إلى ظاهر الأرض تعرضها للشمس، فإن خافت أن ينبت الحب نقرت وسط الحبة لثلاً تنبت.

## ٣٨٨

### من ارتجّ عليه في الكلام

خطب أحدهم فارتجّ<sup>(١)</sup> عليه فلما بلغ «أما بعد» بقي صامتاً متحيراً، ونظر فإذا إنسان ينظر إليه فقال: لعنك الله! ترى ما أنا فيه وتلمحني ببصرك أيضاً!!

\* وصعد اليربوعي فخطب فقال: أما بعد فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقمتوني، أقول ماذا؟

فقال بعضهم: قل في الزيت.

فقال: الزيت مبارك، فكلوا منه وادهنوا.

قال: فهو قول أهل التنكيت الظراف اليوم إذا قيل: لم فعلت ذا، فقل في شأن

(١) ارتجّ عليه: امتنع عليه الكلام.

الزيت وفي حال الزيت .

\* ولما أتى يزيد بن أبي سفيان الشام والياً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه خطب فارتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله فارتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ثم ارتج عليه فقال: يا أهل الشام عسى الله أن يجعل من بعد عسر يسراً ، ومن بعد عي بياناً ، وأنتم إلى أمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

\* وارتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحي ، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع<sup>(١)</sup> عليكم عيياً ولؤماً ، من أخذ شاةً من السوق فهي له وثمنها عليّ .

\* وارتج على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : أنا فتى حروب لا فتى منابر .

\* وكان عبد ربّه الشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن فصعد المنبر فحمد الله وارتج عليه فسكت ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجيء على لساني ألف كلمة ، فإذا قمت إلى هذا المنبر جاء الشيطان فمحاها من صدري . ولقد كنت وما في الأيام يوم أحبُّ إليّ من يوم الجمعة ، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إليّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه .

❖❖❖ ٣٨٩ ❖❖❖

### الحجاج وقارىء

قرأ الحجاج من سورة هود : ﴿ قال يا نوحُ إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح ﴾ فلم يدر كيف يقرأ : عملٌ بالضم والتنوين ، أو عملٌ بالفتح . فبعث حارساً فقال : إيتني بقارىء . فأق به وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه ، فحبسه ونسيه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر . فلما انتهى إليه قال له :

---

(١) أجمع : احضر الجمعة وأقيمها .

فِيمَ حُبِسَتْ؟  
قال: في ابن نوح، أصلح الله الأمير، فضحك وأمر بإطلاقه.

٣٩٠

### ما رأى إلا شهباً

دخل بعض<sup>(١)</sup> الشعراء على بشر بن مروان فأنشده:

أعفيتُ عند الصبح نوم مُسَهَّدٍ      في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها  
فحلُمْتُ أنك رُعتني بوليدةٍ      مغنوجةٍ حسنٍ عليّ قيامُها  
وَبَبْدَرَةٍ<sup>(٢)</sup> مُحَلَّتْ إليّ وبغلةٍ      دهماء<sup>(٣)</sup> مشرفةٍ<sup>(٤)</sup> يصلُ لجامُها  
دعوت ربي أن يثيبك جنةً      عوضاً يصيبك بردها وسلامُها  
فقال له بشر: في كل شيء أصبت إلا في البغلة فياني لا أملك إلا شهباً<sup>(٥)</sup>.  
فقال: إني والله ما رأيت إلا شهباً.

٣٩١

### يستخير الله

عن خالد الخذاء قال:

خطبتُ امرأةً من بني أسد فجئت لأنظر إليها وبيني وبينها رواق<sup>(٦)</sup> يشفّ فدعت  
بجفنة مملوءة ثريداً<sup>(٧)</sup> مكلفة باللحم فأتت على آخرها، وأتت بِلِئاء مملوءٍ لبناً أو نبيذاً

(١) هو الحكم بن عبدل كما في «الأغاني».

(٢) البدر: كيس توضع فيه الدراهم.

(٣) البغلة الدهماء: السوداء.

(٤) المشرفة: السريعة العدو.

(٥) شهباء: بيضاء.

(٦) الرواق: كساء مرسل على مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض.

(٧) التريد: نوع من الأكل.

فشربته حتى كفأته على وجهها ثم قالت: يا جارية ارفعي السجف<sup>(١)</sup> فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا شابة جميلة فقالت: يا عبد الله: أنا أسدة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي ومشربي فإن أحببت أن تتقدم فافعل. فقلت: أستخير الله وأنظر، فخرجت مسرعاً ولم أعد.

٣٩٢

### انصرف رحمك الله

خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسبُ على ما قد علمته، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفي خصال سأبينها لك فتقدمين عليّ أو تدعين.

قالت: وما هي؟

قال: إن الحرّة إذا دنت مني أملتني، وإذا تباعدت عني أعلّنتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري. ويأتي عليّ ساعة من الملal لو أن رأسي في يدي نبذته. فقالت: فقد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنات ابليس فانصرف رحمك الله.

٣٩٣

### وصايا الأولياء للبنات عند الزفاف

قالت امرأة لابنتها عند زفافها: اقلعي زجّ رحمة، فإن أقرّ فاقلعي سنانه، فإن أقرّ فاكسري العظام بسيفه، فإن أقرّ فاقطعي اللحم على ترسه، فإن أقرّ فضعي الإكاف<sup>(٢)</sup> على ظهره فإنما هو حمار.

\* وقال أبو الأسود الدؤلي لابنته: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء،

(١) السجف: الستر.

(٢) الإكاف: السرج أو ما يوضع على ظهر الحمار.



وكوني كما قلت لأَمَك في بعض الأحيان .

خذي العفو مني تستدي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب  
فإنني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

٣٩٤

### هذا طالب ولد

قال رجل لأعرابي : ما الزنا عندكم ؟

قال : القبلة والضمة .

قال : ليس هذا زناً عندنا .

قال : فما هو ؟

قال : أن يجلس بين شُعْبَيْهَا<sup>(١)</sup> الأربع ثم يجهد نفسه .

فقال الأعرابي : ليس هذا زناً ، هذا طالب ولد .

٣٩٥

### ليلة الدَّير

قيل لأبي الطمحان القيني : خبرنا عن أدنى ذنوبك .

قال : ليلة الدَّير .

قالوا : وما ليلة الدَّير ؟

قال : نزلت على ديرانية<sup>(٢)</sup> فأكلت مرقاً بلحم خنزير ، وشربت من خمرها وزينت

بها وسرقت كساءها ومضيت .

\*

(١) شعب المرأة الأربع : يداها ورجلاها .

(٢) الديرانية : صاحبة الدير .

## لم يخطيء قلب حبيبته

عن أبي مسكين قال:

خرج أناس من بني حنيفة يتنزهون إلى جبل لهم، فبصر فتى منهم يقال له عباس بجارية فهورها وقال لأصحابه: والله لا أنصرف حتى أرسل إليها، فطلبوا إليه أن يكفّ وأن ينصرف معهم فأبى، وأقبل يرأسل الجارية حتى وقع في نفسها، فأقبل في ليلة مضيئة واضعاً قوسه على منكبه وهي بين أخوتها نائمة، فأيقظها، فقالت: انصرف وإلا أيقظت أخوتي فقتلوك.

فقال: والله الموت أيسر مما أنا فيه، ولكن الله عليّ أن أعطيته يدك حتى أضعها على فؤادي أن انصرف، فأمكنته من يدها، فوضعها على فؤاده ثم انصرف، فلما كان في الليلة التالية أتاها وهي في مثل حالها، فقالت له مثل مقالتها، وردّ عليها وقال: إن أمكنتيني من شفتيك أرشفهما انصرفت ثم لا أعود إليك، فأمكنته من شفتيها فرشفهما ثم انصرف، فوقع في قلبها منه مثل النار، وعلم به الحيّ فقالوا: ما لهذا الفاسق في هذا الجبل! انهضوا بنا إليه حتى نخرجه منه، فأرسلت إليه: إن القوم يأتونك الليلة فاحذر، فلما أمسى قعد على مرقب<sup>(١)</sup> ومعه قوسه وأسهمة وأصاب الحيّ من آخر النهار مطر وندى فلهوا عنه، فلما كان في آخر الليل وذهب السحاب وطلع القمر خرجت وهي تريده وقد أصابها الطل<sup>(٢)</sup>، فنشرت شعرها وأعجبته نفسها ومعها جارية من الحيّ، فقالت: هل لك في عباس؟ فخرجتا تمشيان، ونظر إليهما وهو على المرقب فظن أنهما ممن يطلبه، فرمى بسهم فمأ أخطأ قلب الجارية ففلقه. وصاحت الأخرى فانهدر من الجبل وإذا هو بالجارية في دمها، فقال:

نعب الغراب بما كرهت ولا إزالة للقدّر  
تبكي وأنت قتلتها فاصبر وإلا فانتحر

ثم ضرب في أوداجه بحدّ سهمه، وجاء الحيّ فوجدوهما مقتولين فدفنوهما.

(١) المرقب: المكان العالي الذي يراقب منه.

(٢) الطل: الندى.

## القسّ وسلامة

قال خلّاد الأرقط:

سمعت مشايخنا من أهل مكة يذكرون أن القسّ<sup>(١)</sup>، وهو مولى لبني مخزوم، كان عند أهل مكة في الفقه بمنزلة عطاء بن أبي رباح، وأنه مرّ يوماً بسلامة<sup>(٢)</sup> وهي تغني، فوقف يسمع، فرآه مولاهما فدنا منه فقال:

هل لك في أن تدخل وتستمع؟ فأبى، ولم يزل به فقال: أقعدك في موضع لا تراها ولا تراك، ففعل، ثم غنت فأعجبته، فقال: هل لك في أن أحولها إليك؟ فتأبى ثم أجاب، فلم يزل به حتى شغف بها وشغفت به، وعلم ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً وقد خلّوا: أنا والله أحبك.

فقال: وأنا والله أحبك.

قالت: فأنا أحب أن أضع فمي على فمك.

قال: وأنا والله.

قالت: وأنا أحب أن أضع صدري على صدرك.

قال: وأنا والله.

قالت: فما يمنعك؟ والله إن الموضع لخال! فأطرق ساعة ثم قال: إني سمعتُ الله يقول: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ وأنا والله أكره أن تكون خُلّة<sup>(٣)</sup> ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة. ونهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها.

\*

(١) القسّ: هو عبد الرحمن بن أبي عمار، كان فقيهاً وسمي القسّ لعبادته (راجع «الأغاني»).

(٢) سلامة: مغنية يقال لها سلامة القسّ نسبة إلى عبد الرحمن المذكور.

(٣) الخُلّة: الصداقة والمحبة.

### الصمت وصون اللسان

قالوا: إن قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتماعاً، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصَر، وقد وجدتُ خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها.

قال: وما هي؟

قال: حفظ اللسان.

### النساء يطلقن الرجال في الجاهلية

كانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن إن يكنَّ في بيوت من شعر، فإن كان باب البيت من قِبَلِ المشرق حَوَّلنه إلى المغرب، وإن كان من قِبَلِ اليمن حَوَّلنه إلى الشام، وإن كان من قِبَلِ الشام حَوَّلنه إلى اليمن، فإذا رأى الرجل ذلك علم أن امرأته قد طَلَّقته فلم يأتها.

### ابن عبيد الله سئل فأحسن وأجاد

حكى أن رجلاً كان جاراً لابن عبيد الله، فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة، وكانت له زوجة لا تقدر على السَّفر، فلما رأت زوجها تهباً للسفر قالت له: إذا سافرت من الذي ينفق علينا؟

قال: إن لي على ابن عبيد الله ديناراً ومعي به أشهاد عليه شرعي. فخذني الأشهاد وقدميه إليه فإذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذين البيتين:

قالت وقد رأت الاحمال محدجة<sup>(١)</sup> والبين قد جمع المشكّو والشاكي  
من لي إذا غبت في ذا المحل قلت لها الله وابن عبيد الله مولاك  
فمضت إليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها  
وقال: صدق زوجك، وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان إلى أن قدم  
زوجها فشكره على فضله وإحسانه.

٤٠١

### وصية أم لابنتها ليلة زفافها

لما خطب عمرو بن حجر الكندي إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم إياس  
وأجابه إلى ذلك، أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها. فكان مما أوصتها به أن  
قالت:

أي بنّة إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلى رجل  
لم تعرفه وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة ليكون لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً  
يكن لك ذخراً.

فأما الأولى والثانية، فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.  
وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح  
ولا يشم أنفه إلا أطيب الريح.  
وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة،  
وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراز لماله، والارعاء على حشمه وعياله.  
وأما التاسعة والعاشرة: فهي لا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً، فإنك إن  
خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سرّه لم تأمني غدره، وإياك والفرح بين  
يديه إذا كان مهتماً، والكآبة لديه إذا كان فرحاً.  
فقبلت وصية أمها فأنجبت له الحارث بن عمرو جدّ امرئ القيس الملك  
الشاعر.

(١) المحدجة: المحملة.

### من نوادر النحاة

جاء نحوي يعود مريضاً. فطرق بابه، فخرج إليه ولده فقال: كيف وجدت أباك؟

قال: يا عمّ، ورمّت رجله.

قال: لا تلحن، قُلّ رجلاه. ثم ماذا؟

قال: ثم وصل الورم إلى ركبتاه.

قال: لا تلحن قُلّ إلى ركبتيه، ثم ماذا؟

قال: مات وأدخله الله في بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه.

### الجاحظ ونوادر المعلمين

قال الجاحظ: مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق. فقلت ما هذه؟

فقال: عندي صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضربة. فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه، فيقوم إلى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إليّ ويخلصوني منهم.

### هموم العاشق

قالت أعرابية: مسكين العاشق، كلّ شيء عدوّه: هبوب الرياح يقلقه، ولعان البرق يؤرقه، ورسوم الدار تحرقه، والعذل يؤله، والتذكر يسقمه، والبعد ينحله، والقرب يهيجه، والليل يضاعف بلاه، والرقاد يهرب منه، ولقد تداويت بالقرب

والبعد فلم ينجح فيه دواء، ولا عزى فيه عزاء، ولقد أحسن الذي يقول:  
وقد زعموا أن المحب إذا دنا يملُّ وأن النأي يشفي من الوجد  
بكلٍ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

٤٠٥

### العبرى الموهة

قال الأصمعي : دخلت على بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لي، فإذا  
جارية على قبر كأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل ما لم أر مثله، وهي تبكي بعين  
غزيرة، وصوت شجي. فالتفت إلى صاحبي وقلت: هل رأيت أعجب من هذه؟  
قال: لا، والله، ولا أحسبني أراه.  
ثم قلت لها: يا هذه، إني أراك حزينة ما عليك زيّ الحزن.  
فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني، فإنني رهينة هذا القبر يا فتيان  
وإنني لأستحييه والترّب بيننا كما كنت أستحييه حين يراني  
ثم اندفعت في البكاء، وجعلت تقول:

يا صاحب القبر، يا مَنْ كان ينعم بي بالاً، ويكثر في الدنيا مُواساتي  
قد زرت قبرك في حلي وفي حُللي كأنني لستُ من أهل المصيبات  
أردت آتيك فيما كنتُ أعرفه أن قد تسرُّ به من بعض هيئاتي  
فمن رأي رأى عبرى موهةً عجيبة الزيّ تبكي بين أموات

\*

## لغز

قال أحدهم:

وشيء من الأجسام غير مجسمٍ له حركات تارةً وسكونٌ  
إذا بانت<sup>(١)</sup> الأنوار بان لناظري وأما إذا بانت<sup>(٢)</sup> فليس يبين<sup>(٣)</sup>

## الخنساء الأم المثالية

قيل: حضرت الخنساء بنت عمرو الشريد حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجالٍ، فقالت لهم من أول الليل: «إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدنيا الفانية. يقول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾».

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى عن سباقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيّموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وقاتلوا قتالاً قاسياً حتى استشهدوا.

فبلغها الخبر فقالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

(١) بانت: ظهرت. (٢) بانت: اختفت. (٣) اللغز هو: الظل.



## الشوق يمنع

قال عباس بن الأحنف:

قالوا تنام، فقلت الشوق يمنعني      من أن أنام وعيني حشوها الشهدُ  
أبكي الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا  
هم قد دعوني فلما قمت مقتضياً      للحبّ نحوهم من قُربهم بعدوا  
لأخرجنّ من الدنيا وحبهم      بين الجوانح لم يشعر به أحدُ

## حُسن المرأة

قال بعض حكماء أهل الأدب: كمال حُسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها  
شديدة البياض، وأربعة شديدة السواد، وأربعة شديدة الحمرة، وأربعة أشياء  
مدوّرة، وأربعة واسعة، وأربعة ضيّقة، وأربعة رقيقة، وأربعة عظيمة، وأربعة  
صغاراً، وأربعة طيبة الريح.  
فأما الأربعة الشديدة البياض: فبياض اللون، وبياض العين، وبياض  
الأسنان، وبياض الطُفّر.

وأما الأربعة الشديدة السواد: فشعر الرأس، والحاجبين، والحدقة، والأهداب.  
وأما الشديدة الحمرة: فاللسان، والشفتان، والوجتان، واللثة.  
وأما المدوّرة: فالرأس، والعين، والساعد، والعرقوبان<sup>(١)</sup>.  
وأما الواسعة: فالجبهة، والعين والصدر، والوركين.  
وأما الضيّقة: فالمنخران، والأذنان، والسرة، والفرج.  
وأما الرقاق: فالحاجب، والأنف، والشفتان، والخصر.  
وأما العظيمة: فالهامة، والمنكبان، والأضلاع، والعجز.

(١) العرقوب: عصب غليظ فوق مؤخر القدم.

وأما الصغار: فالأذنان، والفم، واليدان، والرجلان.  
وأما الطيبة الريح: فالأنف، والفم، والإبط، والفرج.

٤١٠

### من أنباك أن أباك ذيبٌ

رُوي عن الأصمعي أنه قال: دخلت البادية فإذا عجوز بين يديها شاةٌ مقتولة وجرو ذئب جالس على مؤخرته فنظرت إليها فقالت: أتدري ما هذا؟ قلت: لا. جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا وقد قلت في ذلك شعراً. قلت لها: ما هو؟ فأشدته:

بقرت شويهي<sup>(١)</sup> وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ولدٌ ربيبٌ  
غذيت بدرها وربيت فينا فمن أنباك<sup>(٢)</sup> أن أباك ذيبٌ؟  
إذا كان الطباع طباع سوءٍ فليس بنافع فيها الأديبُ

٤١١

### احتفظي بالديك

وُلِّي رجل مقل<sup>(٣)</sup> قضاء الأهواز<sup>(٤)</sup>، فأبطأ عليه رزقه، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحي به ولا ما يتفق، فشكا ذلك إلى زوجته، فقالت له: لا تغتم، فإن عندي ديكاً جليلاً سمّته، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه. فلما كان يوم الأضحى، وأرادوا الديك للذبح، طار على سقف الجيران، فطلبوه. وفشا الخبر في الجيران وكانوا مياسير<sup>(٥)</sup>، فرقوا للقاضي، ورثوا لقلة ذات يده، فأهدى إليه كل واحد

(١) شويهي: شاتي.

(٢) أنباك: أنباك وأخبرك.

(٣) المقل: الفقير الحال.

(٤) الأهواز: إقليم في فارس.

(٥) المياسير: الأغنياء.

منهم كبشاً، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة، وهو في المصلّى ولا يعلم. فلما صار إلى منزله، ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته: من أين هذا؟  
 قالت: أهدي إلينا فلان وفلان - حتى سمّت جماعتهم - ما ترى.  
 قال: ويحك! احتفظي بديكنا هذا فما فُديّ إسحاق بن إبراهيم<sup>(١)</sup> إلا كبش واحد، وقد فُديّ ديكنا بهذا العدد.

## ٤١٢

### فكّر واحسب

قال الشيخ تاج الدين الحموي:

اثنان من بعدهما تسعة وسبعة من قبلها أربع  
 وخمسة ثم ثلاث ومن بعد ثلاث ستة تتبع  
 ثم ثمان قبلها واحد فرتب الأعداد إذ تُجمع<sup>(٢)</sup>

## ٤١٣

### التسابق في الجود

تراهن ثلاثة نفر من الأجواد، فقال بعضهم: أجود الناس في عصرنا قيس بن سعد بن علقمة، وقال آخر أجود الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر وقال آخر: أجود الناس في عصرنا هذا عرابة الأوسي. فتشاجروا في ذلك فأكثرُوا. فقال لهم الناس: يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ينظر ما يعطيه ونحكم على العيان.

(١) المعروف أن المفدى هو اسماعيل بن إبراهيم وليس إسحق.

(٢) هذه صورة اللغز. وفي علم الرياضيات، هي صورة

«مربع سحري» حيث مجموع كل ثلاثة من أعدادة،

أفقياً أو عمودياً أو قطرياً، هو نفسه ويساوي ١٥.

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦
١٥	١٥	١٥

فقام صاحب عبد الله بن جعفر فصادفه وهو يجهّز لبعض أسفاره على راحلته، فقال: يا ابن عم رسول الله (ص) أنا ابن سبيل منقطع أريد رفدك<sup>(١)</sup> لأستعين به، وكان قد وضع رجله على ظهر الدابة فأخرج رجله وقال: خذها (أي الدابة) بما عليها. فأخذها فإذا عليها مطارف خز<sup>(٢)</sup> وألفا دينار.

ومضى صاحب قيس بن سعد فصادفه نائماً فصرع الباب، فخرجت إليه جارية فقالت: ما حاجتك فإنه نائم؟

قال: ابن سبيل منقطع أتيت إليه يعينني على طريقي.

فقالت الجارية: حاجتك أهون عليّ من إيقاظه. ثم أخرجت له صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقالت له: امض إلى معاطن<sup>(٣)</sup> الإبل، فاختر لك منها راحلة فاركبها وامض راشداً. فمضى الرجل فأخذ المال والراحلة. ولما استيقظ قيس بن منامه أخبرته الجارية بالخبر فأعتقها<sup>(٤)</sup> ومضى صاحب عرابة فوجده قد عمي، وقد خرج من منزله يريد المسجد، وهو يمشي بين عبيدين، فقال: يا عرابة، ابن سبيل منقطع يريد رفدك. فقال: واسوأته!! والله ما تركت الحقوق في بيت عرابة الدرهم الفرد، ولكن يا ابن أخي خذ هذين العبيدين.

فقال الرجل: ما كنت بالذي أقصّ جناحيك.

فقال: والله، لا بدّ من ذلك، وإن لم تأخذهما فإنهما حرّان، فنزع يديه من العبيدين ورجع إلى بيته، وهذا الجدار يلطمه، وهذا الجدار يصدمه حتى أثر في وجهه.

فلما اجتمعوا حكموا لصاحب «عرابة» بالجود.

\*

(١) الرفد: العطاء.

(٢) مطارف الخز: الأردية الحريرية.

(٣) المعاطن: أمكنة بروك الإبل.

(٤) اعتقها: أطلق سراحها وجعلها حرة.

### أوصيك بالصبيّة خيراً

قال الأصمعي: حضر أعرابي عند الحجاج، فقدم إليه فطيراً طيباً، فلما أكل الأعرابي منه قليلاً وتذوّق لذّته، قال الحجاج: من أكل هذا ضربت عنقه، فامتنع الناس، فجعل الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرّة وإلى الطعام مرّة، ثم قال: أوصيك أيها الأمير بالصبيّة خيراً! وابتدأ يأكل. فضحك الحجاج حتى استلقى على ظهره، وأمر له بجائزة.

### أَيكون أكرم من حاتم؟!

قيل: سأل رجل حاتماً الطائي فقال: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائيه، وكانت له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدم إليّ، وكان فيما قدّم إليّ الدماغ، فتناولت منه فاستطبتّه فقلت: طيّب والله. فخرج من بين يدي، وجعل يذبح رأساً رأساً، ويقدم إليّ الدماغ وأنا لا أعلم. فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً، وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره. فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله تستطيع شيئاً أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسبّة<sup>(١)</sup> على العرب قبيحه.

قيل: يا حاتم: فما الذي عوّضته؟

قال: ثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم.

فقيل: أنت إذاً أكرم منه.

فقال: بل هو أكرم، لأنه جاد بكل ما يملكه وإنما جدت بقليلٍ من كثير.

(١) السبّة: العار.

### غداً تفرغي للدمع والسهر

قال أسامة بن منقذ

يا عينُ في ساعة التوديع يشغلك الـ بُكاء عن لذة التوديع والنظر  
خذي بحظك منهم قبل بينهم ففي غدٍ تفرغي للدمع والسهر

### ما أكثر أساءه وأقل ثمنه

قيل: إن أعرابياً صاد سنوراً فلم يعرفه، فتلقاه رجل فقال: ما هذا السنور؟  
ولقي آخر فقال: ما هذا الهر؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا القط؟ ثم لقي آخر فقال:  
ما هذا الخيطل؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الدم؟  
فقال: أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالاً كثيراً. فلما أتى به إلى  
السوق قيل له: بكم هذا؟

فقال: بمائة.

فقيل له: إنه يساوي نصف درهم.

فرمى به وقال: لعنه الله، ما أكثر أساءه وأقل ثمنه.

### القليل الخبرة بالمساحة

يحكى أن أعرابياً راود امرأة عن نفسها فأنعمت له<sup>(١)</sup>، فلما قعد بين شعبتيها<sup>(٢)</sup>  
قام عنها ولم يقض وطره<sup>(٣)</sup> ولا عفى من غرضه أثراً<sup>(٤)</sup> فقالت له: يا هناء<sup>(٥)</sup> ما الذي  
أصابك وقد بلغت منك؟

(١) أنعمت له: لانت ووافقت.

(٢) شعبتها: فخذاها.

(٣) الوطر: الحاجة.

(٤) أي لم يصل إلى شيء مما كان عازماً عليه.

(٥) هناء: أي: يا رجل.

فقال: إن رجلاً يبيع جنة عرضها السموات والأرض بإصبعين بين فخذيك  
لقليل الخبرة بالمساحة.

٤١٩

### البخل

قال بعضهم: دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائطٍ ومعه خبز وهو  
يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما  
يفعل فقال: إيش تصنع؟  
قال: يا أبتِ هؤلاء قد طبخوا سكباجة<sup>(١)</sup> ويأتي النسيم بريحها فأكل خبزي.  
فلطمه أبوه وقال: تتصور من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلا بإدام.

٤٢٠

### يأخذ بالإحتياط

خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فأقام عنده أياماً، فقال له الخطيب: أنا منذ  
مدة أصلي هؤلاء القوم وقد أشكل عليّ في القرآن بعض مواضع.  
قال: سلني عنها.  
قال: منها في «الحمد لله» إيان نعبد وإياك أي شيء تستعين أو سبعين؟ أشكلت  
عليّ فأنا أقولها تسعين آخذ بالإحتياط.

٤٢١

### الرجال أربعة

قال الخليل: الرجال أربعة:  
رجل يدري أنه يدري، ذلك هو العالم، فسلوه.

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخلّ.

ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك الناسي فذكروه.  
ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فعلموه.  
ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحق فارفضوه.

٤٢٢

### قسم قلبه رياضياً

قال أحدهم لحبيبه:

لك الثلثان من قلبي      وثُلثا ثُلثه الباقي  
وثُلثا ثُلث ما يبقى      وثُلث الثُلث للساقبي  
وتبقى أسهم سِتْ      تُقسَّم بين عشّاقبي

فانظر إلى هذا الشاعر وبلاغته وتحسين عبارته، كيف أغمض كلامه وقسّم قلبه وجعله مجزأً على أحد وثمانين جزءاً هي مضروب ثلاثة في ثلاثة، ليصحّ منها مخرج ثُلث ثُلث الثُلث، فجعل لمن خاطبه أربعة وسبعين جزءاً من قلبه، وجعل للساقبي جزءاً وبقي الستة الأجزاء ففرّقها فيمن يحبّ.

٤٢٣

### مروان بن الحكم وحويطب

قيل:

كان حُوَيْطَب بن عبد العزّي قد بلغ عشرين ومائة سنة، ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام.

فلما ولي مروان بن الحكم المدينة، دخل عليه حويطب فقال له مروان:  
ما سنّك؟ فأخبره.

فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث.

فقال: والله، لقد هممت بالإسلام غير مرّة، وكان يعوقني أبوك عنه، وينهاني



ويقول: أتدع دين آبائك لدين محدث؟  
قال: فأسكت مروان، وندم على ما كان منه.

٤٢٤

### في الألفاظ

\* قال أحدهم ملغزاً في غزال<sup>(١)</sup>:

اسم من قد هويته	ظاهر في صروفه
فلذا زال ربعه	زال باقي حروفه

\* وقال أحدهم ملغزاً في دواة:

وما أمّ يجامعها بنوها	وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم إذا ولجوا حشاها	أفاعي في أماكنها رقود

\* وقال أحدهم ملغزاً في قلم:

وأهيف مذبوح على صدر غيره	يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيراً كلما طال عمره	ويضحى بليغاً وهو لا يتكلم

وفيه أيضاً:

بصير بما يوحى إليه وما له	لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسرّه	إليه إذا ما حرّكته الأصابع

\* وقال أحدهم ملغزاً في كتاب:

وذي أوجهٍ لكنه غير بائح	بسرّ وذو الوجهين للسرّ يظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه	فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

(١) «المستطرف»، ٢: ٤٤١.

\* وقال أحدهم ملغزاً في ساقية :

وجارية لولا الخوافر ما جرت  
وترضع أطفالاً ولا هي أمهم

\* وقال أحدهم ملغزاً في دملج :

إلى النساء يلتجي  
الجسمُ منه فضةٌ  
وعندهنَّ يوجدُ  
والقلب منه جلمد

\* وقال أحدهم ملغزاً في نار :

وما اسم ثلاثي به النفع والضررُ  
وليس له وجه وليس له قفا  
يمدُّ لساناً يخشي الرمح بأسه  
يموت إذا ما قمت تسقيه عامداً  
فيا قارئ الأبيات دونك شرحها

\* وقال أحدهم ملغزاً في اسم علي :

اسم الذي أعشقه  
إن فاتي أوله  
أوله في ناظره  
فإن لي في آخره

\* وقال أحدهم ملغزاً في البيضة<sup>(١)</sup> :

ألا قل لأهل الرأي والعلم والأدب  
ألا خبروني أي شيء رأيتم  
قديم حديث وهو بادٍ وحاضرُ  
ويؤكل أحياناً طابخاً وتارةً  
وليس له لحمٌ وليس له دمٌ  
وكلٌ بصير بالأمور أخي أرب  
من الطير في أرض الأعاجم والعرب  
يصادُ بلا صيدٍ وإن جدَّ في الطلب  
قلياً ومشوياً إذا دُسَّ في اللهب  
وليس له عظمٌ وليس له عَصَبٌ

(١) «العقد الفريد»، ٦ : ٤٧٣ .

وليس له رجل وليس له يد      وليس له رأس وليس له ذنب  
ولا هوحى، لا، ولا هوميّت      ألا خبروني إن هذا هو العجب  
\* وقال آخر ملغزاً في الموز:

ما اسم لشيء حسن شكله      تلقاه عند الناس موزونا  
تراه معدوداً فان زده      واواً ونوناً صار موزونا؟

❖ ❖ ❖ ٤٢٥ ❖ ❖ ❖

### بذل الدراهم يرضي كل إنسان

قيل: إن بصرياً دخل مدينة بغداد مرّة، فلم يزل يمضي في محالّها حتى انتهى إلى  
قطيعة الربيع، فاذا بجارية مشرفة تنظر إلى الطريق فهويها، فلم يزل يكتب إليها فلا  
تجيبه، فكتب إليها يوماً رقعة يشكو فيها شوقه وفي آخرها:  
هل تعلمين وراء الحب منزلة      تُدني إليك فإنّ الحب أقصاني  
فكتبت إليه:

نعم حبيبي وراء الحب منزلة      بذل الدراهم يُرضي كلّ إنسان  
من زاد في الوزن زدنا في محبته      ما يطلب الدهر إلاّ فضل رجحان

❖ ❖ ❖ ٤٢٦ ❖ ❖ ❖

### في نواذر العرب

\* صلى أعرابي مع قوم فقرأ الإمام:  
﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أَوْرحمنا﴾<sup>(١)</sup>.  
فقال الأعرابي: أهلكك الله وحدك. ايش كان ذنب الذين معك. فقطع القوم  
الصلاة من شدّة الضحك.

(١) سورة الملك: الآية ٤٨.

\* وقيل:

دخلت أعرابية على قوم يصلون. فقرأ الإمام:

﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.

وجعل يرددها، فجعلت الأعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لأختها فقالت يا أختاه: ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا عليّ.

وجلس بعض الأعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج إلى بيت الخلاء، فدلوه عليه، فلما دخل جعل يضرب ضرباً شنيعاً، فضحكوا عليه فأنشد يقول:

إذا ما خلا الانسان في بيت غائطٍ تراخت بلا شك مصاريع فتحه  
فمن كان ذا عقلٍ فيعذر ضارطاً ومن كان ذا جهلٍ ففي وسط لحيته

\* وصلى أعرابي خلف إمام فقرأ «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه». ثم وقف وجعل يرددها، فقال الأعرابي، أرسل غيره يرحمك الله، وأرحنا وأرح نفسك.

\* وصلى آخر خلف إمام فقرأ «فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي». ووقف وجعل يرددها، فقال الأعرابي: يا فقيه إذا لم يأذن ذلك أبوك في هذا الليل نطلّ نحن وقوفاً إلى الصباح، ثم تركه وانصرف.

\* وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه، فاعتلّ أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت. فاجتمع عليه أولاده، وقالوا له: ندعوك فلاناً أخانا. قال: لا إن جاءني قتلي.

فقالوا: نحن نوصيه أن لا يتكلّم، فدعوه، فلما دخل عليه قال له يا أبت: قل لا إله إلا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار، يا أبت: والله ما أشغلني عنك إلا فلان، فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج وسكج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج.

فصاح أبوه غمضوني، فقد سبق ابن الزانية ملك الموت إلى قبض روحي.

\* وقال أبو عثمان الجاحظ:

وقف سائل بقوم فقال: إني جائع.



عندك، ولا يدخر إلا لك، فإن أذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك .  
فاستدعى له الرشيد بعود اسحاق الموصلي فأبى زرياب وقال: لي عود نحته  
بيدي، وأرهفته بأحكامي ولا أرتضي غيره .  
فأمر الرشيد بإحضار ذلك العود. ولما رآه لا يختلف عن عود إسحاق قال له: ما  
منعك أن تستعمل عود استاذك؟ فأجاب:  
إن كان مولاي يرغب في غناء استاذي غنيته بعوده، وإن كان يرغب في غنائي  
فلا بد لي من عودي .  
فقال الرشيد: ولكني ما أراهما إلا واحداً .  
فقال زرياب: صدقت يا مولاي، ولا يؤدي النظير غير ذلك ولكن عودي وإن  
كان في قدر حجم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع في وزنه في الثلث أو نحوه،  
وأوتاري من حرير لم يغسل بماء سخن يكسبها أنوثه ورخاوة ويُمها ومثلثهما اتخذتهما  
من مصران شبل فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من  
مصران سائر الحيوان، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب ما ليس لغيرها .

## ٤٢٨

### كتاب الشكوك

مات لصالح بن عبد القدوس - وكان من المعتزلة - غلام فمضى إليه أبو الهذيل  
ومعه النظام وهو غلام حدث، فرآه حزينا. فقال له:  
لا أعرف لجزعك وجهاً إلا إذا كان الإنسان عندك كالزروع حصاده في وقت  
معين .

فقال: إنما أجزع لأنه لم يقرأ كتاب «الشكوك» .  
قال أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك؟  
قال: كتاب وضعته من قرأ فيه شك في ما كان، حتى يتوهم أنه لم يكن، وشك  
فيما لم يكن، حتى يظن أنه قد كان .  
قال أبو الهذيل: فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمُت، وإن كان قد  
مات. وشك أنه قد قرأ ذلك الكتاب، وإن كان لم يقرأه .

### الله يحب مكارم الأخلاق

روى صاحب الأغاني أن بنت حاتم الطائي كانت في نساء سباها المسلمون، فلما طلبها أحدهم إلى النبي (ص) قالت:

يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب، فإنني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقرى الضعيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردّ طالب حاجة قط، ثم هتفت في عزّة وإباء: أنا بنت حاتم الطائي. ففاضت نفس النبي ثائراً وقال لها:

يا جارية هذه صفة المؤمن. خلوا عنها، فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق.

### الفقر في النفس لا في المال

روى ابن الأنباري أن سليمان بن علي وجّه وهو بالأهواز إلى الخليل بن أحمد رسولاً يدعوه لتأديب ولده فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال له: كل فما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان. فقال الرسول: فما أبلغه؟ فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال  
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

\*

### الإمام عليّ والأعرابي

كان الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول:  
 من كانت له إليّ حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجهه عن المسألة.  
 وذات يوم جاء أعرابي فقال:  
 يا أمير المؤمنين. إن لي إليك حاجةً يمنعني من ذكرها الحياء. ولست أملك ما  
 اشتري به قرطاساً ولا قلماً.  
 فقال له: خُطّها في الأرض.  
 فكتب الأعرابي: إني فقير.  
 فقال الإمام: يا قنبر، اكسّه حلّتي.

### رغبتها كلها في عبادة الله

دخل تاجر على رابعة العدوية، وقَدّم لها ألف درهم من الذهب وبيتاً تسكنه.  
 وبعد إلحاح قبلت الهدية، ولكنها ما كادت تدخل البيت حتى استغرقت في تأمل  
 الزخرف والطلاء، فأحسّت كأنها خرجت من طورها، فانتفضت مستغفرةً لهذا  
 الاستغراب وارتدت إلى صاحب البيت تردّ هديته قائلة:  
 أخشى أن يتعلّق قلبي ببيتك فيشغلني عن عمل الآخرة. إن رغبتني كلّها أن  
 أفرغ لعبادة الله.

### الشاة لا يضرّها السلخ بعد الذبح

لبث عبد الله بن الزبير على إمرة المؤمنين ثماني سنوات ثم بدأ ينهزم أمام جيوش  
 عبد الملك بن مروان، حتى لم يبق له إلا مكة المحاصرة بجند الحجاج، ولما طلب منه  
 الحجاج أن يغمد سيفه ليعتقله، دَخَلَ عبد الله على أمّه أسماء بنت



أبي بكر وقال لها:

يا أمه، خذني حتى أهلي ولدي، وقد أعطاني القوم ما أردت من العهد.  
فأجابته: الله الله يا بني. إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض عليه، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت.

أهلك نفسك ومن معك، وإن قلت إنك كنت على حق فلما وهن أصحابك  
ضعفت فليس هذا فعل الأحرار، كم خلودك في الدنيا؟ أقتل أحسن ما يقع بك يا  
ابن الزبير والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذل.  
فقال عبد الله: يا أمه، إن قتلني أهل الشام فسوف يثلون بي ويصلبوني.  
فأجابته: يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح. امض غير متردد ولا هيأب.

٤٣٤

### رزقها على الله

قالوا:

ضربت بدوية فقيرة خباء من شعر، في بستان صغير، كانت تعيش على  
محصوله. وذات ليلة، غامت السماء وأرعدت، ثم تساقط برد أفسد الزرع. فلما  
هدأت العاصفة أطلت الأعرابية برأسها من الخباء. ونظرت إلى الزرع وقد ذوى.  
ثم رفعت رأسها نحو السماء وقالت:  
اصنع يا إلهي ما شئت، فإن رزقي عليك.

٤٣٥

### اصنع ما أحب الله

تغيظ عبد الملك بن مروان من رجاء بن حيآن فقال:  
والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا.  
فلما صار بين يديه قال له رجاء:  
يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله.  
فعفا عنه وأمر له بصلة.

### الخنساء تصف أخويها

قيل للخنساء: صفي لنا أخويك صخراً ومعاوية.  
ف قالت: كان صخر جنة الزمان الأغبر، وزعاف الخميس الأحمر، وكان معاوية  
القائل الفاعل.

ف قيل لها: فأيهما أسخى وأفخر؟  
قالت: أما صخر فحر الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء.  
قيل لها: فأيهما أوجع وأفجع؟  
قالت: أما صخر فجمر الكبد، وأما معاوية فسقام الجسد.

### من أقوال الخلفاء

قال عمر بن الخطاب: رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي.  
وقال الإمام علي: فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.  
وقال عثمان بن عفان: يكفيك من حاسد أنه يغتم وقت سرورك.  
وقال الامام الحسن بن علي: ما تمّ دين رجل حتى يتمّ عقله.  
وقال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه: إن الولاة جعلوا العيون على العوام،  
وأنا أجعلك عيني على نفسي، فان سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو فعلاً لا تحبّه  
فعظني فيه وانهي عنه.

### معاوية والأحنف

خطب معاوية يوماً فقال:  
إن الله تعالى يقول: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم.  
فعلام تلوموني إذا أنا قصّرت في عطاياكم؟

فأجابه الأحنف قائلاً:

نحن لا نلومك على ما في خزائن الله . . . ولكن على ما أنزل الله من خزائنه،  
فجعلته في خزائنك وحُلّت بيننا وبينه.

٤٣٩

### عمر بن الخطاب والمستعطي

سمع عمر بن الخطاب سائلاً يستعطي بعد المغرب، فقال لرجل في مجلسه: قم  
وعشّ الرجل، فعشّاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال للرجل: ألم أقل لك عشّ  
الرجل؟! قال:

قد عشّيته، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبراً فقال له عمر:  
لست سائلاً ولكنك تاجر، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي أهل الصدقة وضربه  
بالدرة وقال له: لا تعدّ.

٤٤٠

### استيقظ وأنصف الناس

قال الطرطوشي:

أرق عبد الملك بن مروان فاستدعى من يحدثه، فكان مما قيل له:  
كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة ابنتها  
لابنها. فقالت بومة البصرة:

لا أفعل إن لم تجعل لي صداقها مئة ضيعة خراب.

فقالت بومة الموصل: لا أقدر على ذلك الآن ولكن إن دام حكم والينا - سلّمه  
الله - سنة واحدة فعلت.

قال: فاستيقظ عبد الملك، وجلس للمظالم وأنصف الناس.



### حدود الله

استشفع أسامة بن زيد النبي محمد (ص) برجلٍ وجب عليه حد السرقة،  
فانتهره النبي بقوله:  
أتشفع في حدٍّ من حدود الله . والله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت  
يدها .

### زفرات المظلومين

اتَّجر شرّير بشقاء الخطّابين، فكان يستنزف جهودهم، ويستثمر جهادهم، دون  
أن يصغي إلى إرشاد ناصح .  
و ذات ليلة امتدّت نار موقدة إلى داره فالتهمتّها، وأتت على كل ما جمعه في  
باحتها من أكوام الخطب، ولم يبق له من وسائد الحرير إلّا ركام من رماد . فلما طفق  
يندب سوء طالعه، ويعجب للنار كيف علقت داره، قال له أحد الحكماء:  
أتعجب لذلك؟ والتي أحرقت دارك هي زفرات من ظلمتهم من البائسين .

### أمر الدنيا والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري يطلب إليه أن يجمع له أمر الدنيا  
وأمر الآخرة في كتاب فأجابه:  
إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط . . ونحن في أضغاث الأحلام .  
من حاسب نفسه، ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن  
أطاع هواه ضلّ، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر  
فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل . فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فاقلع، وإذا  
جهلت فاسأل، وإذا غضبت فامسك .

### بين المنصور وجعفر الصادق

كتب المنصور إلى الإمام جعفر الصادق :  
 لَمْ لَا تَغْشَانَا كَمَا تَغْشَانَا النَّاسَ ؟  
 فَأَجَابَهُ : لَيْسَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا نَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْآخِرَةِ مَا نَرْجُوكَ  
 لَهُ ، وَلَا أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَهِنَّتُكَ بِهَا ، وَلَا نَعْدُهَا نِقْمَةً فَتَعَزَّيْكَ لَهَا !  
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ : تَصَحَّبْنَا لِنَتَّصِحَّهَا .  
 فَأَجَابَهُ : مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا لَا يَنْصَحُكَ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْآخِرَةَ لَا يَصْحَبُكَ .

### الثائر خليل مطران

قال خليل مطران :  
 كَسَرُوا الْأَقْلَامَ هَلْ تَكْسِيرُهَا      يَمْنَعُ الْأَيْدِي أَنْ تَنْقُشَ صَخْرًا  
 قَطَعُوا الْأَيْدِي ، هَلْ تَقْطَعُهَا      يَمْنَعُ الْأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شِزْرًا  
 وَاطْفَأُوا الْأَعْيُنَ هَلْ اطْفِئُوهَا      يَمْنَعُ الْأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرًا  
 اخْتَدُوا الْأَنْفَاسَ هَذَا جَهْدُكُمْ      وَبِهِ مَنَاجَاتُنَا مِنْكُمْ فَشُكْرًا

### سواي خالك

كتب بديع الزمان الهمذاني إلى ابن أخته :  
 أَنْتَ وَلَدِي مَا دَمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ وَالدَّرْسُ مَكَانُكَ ، وَالْمَحَبَّةُ أَلْفُكَ ، فَلِإِنْ  
 قَصَّرْتَ - وَلَا إِخَالَكَ - فَسَوَايَ خَالِكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

\*

## وداع الحياة

\* قال النبي محمد (ص) لما شعر بالموت:

بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى.

\* وقال الخليفة عمر بن الخطاب:

تكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه.

\* وقال الإمام علي وقد سأله القوم أن يعظهم، وكان يجود بنفسه الكريمة:

يعظكم سكوتي وخفوت أطرافي.

\* وقال المامون:

يا من لا يموت ارحم من يموت.

\* وقال الحجاج بن يوسف:

اللهم اغفر لي.. فإنهم يزعمون أنك لا تغفر لي.

\* وقال شوقي:

إني امرؤ انتهى، فسلام على أولادي وأصدقائي.

\* وقال أمين تقي الدين:

إلى هنا تنتهي الدنيا بصاحبها      فلا خلود له إلا بذكره  
فارتد دنيائي لم أجزع لآخرتي      فالمرء دنياه مرآة لأخراه

\* وقال اسماعيل صبري:

يا موت خذ ما أبقت الأيام والساعات مني  
بيني وبينك خطوة إن تخطها خفت عني

\*

## أهمية السفر

قال الإمام الشافعي :

ما في المقام لذي عقلٍ وذو أدب      من راحةٍ فدع الأوطان واغترِبْ  
 سافرْ تجدْ عوضاً عمّن تفارقه      وانصب فإنّ لذيد العيش في النّصب  
 إني رأيت وقوف الماء يُفسده      إن سار طاب وإن لم يسر لم يطبِ  
 والأسد لولا فراق الغاب ما افترست      والسهم لولا فراق القوس لم يُصب  
 والتبر كالترب ملقى في أماكنه      والعود في أرضه نوعٌ من الحطب  
 فان تغرب هذا عزّ مطلبه      وإن تغرب ذاك اعتزّ كالذهب

## أطلقه وفاءً لوعده

كان الحارث بن عباد في حرب، وأراد أن يظفر بعدي بن أبي ربيعة ليثأر منه .  
 وبينما هو في معمة الحرب أسر رجلاً فطلب منه أن يدلّه على ربيعة، فقال له  
 الأسير:

أتطلقني من أسري إن دلتك عليه؟

قال: نعم .

فقال له: أنا عدي بن أبي ربيعة .

فأطلقه وفاءً لوعده .

## أكلت الفأرة عينه

تمّ رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء وأخرجه الصولي قال :

لما اشتدّت علّة الخليفة الواصل، دخل عليه مستشاره «إيتاخ» ينظر إليه هل مات  
 أم لا، فلما دنا منه نظر إليه الواصل بمؤخر عينه ففزع وخرج القهقري فسقط على

سيفه حتى اندقّ عنقه هيبةً منه لنظرة الواثق إليه .  
وبعد ساعة ، مات الواثق فعزل في بيت ليغسّل فيه فجاءت فأرة فأكلت عينه  
التي نظر بها إلى ايتاخ .

#### ٤٥١

##### أكلت الهرة لسانه

لما جيء برأس مروان بن محمد الملقّب بـ «مروان الحمار» إلى عبد الله بن علي أمر  
بعزله ، فجاءت هرة فقلعت لسانه وجعلت تمضغه ، فقال عبد الله لمن حضر في  
مجلسه : لو لم يسرنا الدهر إلّا بلسان مروان في هرة لكفانا .

#### ٤٥٢

##### ليتك تسلم

سأل الإمام أحمد بن حنبل حاتم الأصمّ وكان من الحكماء : كيف السبيل إلى  
السلامة من الناس ؟  
فأجاب : تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم ، ويؤذونك ولا تؤذيهم ، وتقضي  
مصالحهم ولا تكلفهم بقضاء مصالحك .  
قال : إنها صعبة يا حاتم .  
فأجاب : وليتك تسلم .

#### ٤٥٣

##### طلاق أبي الأسود لامرأته

كان أبو الأسود الدؤلي من أبرّ الناس عند معاوية وأقربهم منه مجلساً . فبينما هو  
ذات يوم عنده ، وعنده الأشراف ووجوه الناس ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى  
حازت معاوية فقالت : سلام عليك يا أمير المؤمنين ، إن الله قد جعلك خليفة في  
البلاد ورقياً على العباد ، فكفّ بك الأهواء ، وآمن بك الخائف ، ورّق بك



الحائف، فأسأل لك النعمة في غير تغيير والعافية في غير تقدير. وقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق عليّ فيه المنهج، وتفاقم عليّ فيه المخرج، كرهت بوائقه، واثقلتني عوائقه، فلينصفني أمير المؤمنين من خصمي فيأني أعوذ بعقوته من العار الويل، والشين الجليل، الذي يبهر ذوات العقول.

فعجب الأشراف ووجوه الناس الحاضرون من بلاغة هذه المرأة وفصاحتها، وشخصوا بأبصارهم إليها، وامتدت أعناقهم نحوها وهم إليها مصغون وإلى حديثها بأسماعهم مصيخون، ينتظرون كشف الجلاء عن هذا المعنى الذي هدر به لسانها كالسيل.

إلا أن معاوية قد أدرك ما تريد، وعرف من كلامها المعنى القريب والبعيد، وشاء أن يمتنع جلساءه بمناظرة بين الزوجين فقال للمرأة: من بعلك هذا الذي تنتصفين منه؟

ف قالت: هو أبو الأسود.

فابتسم معاوية وبهت الحاضرون وندّت منهم أصوات خافتة تدل على الإستغراب فقطع معاوية هذا كله بسؤال أبي الأسود قائلاً: يا أبا الأسود! ما تقول هذه المرأة.

فقال أبو الأسود:

يا أمير المؤمنين إنها تقول من الحق بعضاً. أما ما تذكر من طلاقها فهو حق وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بصدق: والله يا أمير المؤمنين ما طلقته عن ريبة ظهرت، ولا في هفوة حضرت ولكني كرهت شئائها فقطعت عني حبائلها.

فعاد معاوية يسأل أبا الأسود: وأي شئائها كرهت؟

فقال أبو الأسود، وقد عرف ما في طوية الخليفة:

يا أمير المؤمنين، إنك مهيجها عليّ بجواب عنيد ولسان شديد.

ولكن رغبة معاوية في سماع الحوار كانت أكبر من هذا الاعتذار اللطيف فألح

على أبي الأسود وقال:

لا بد لك من محاورتها فازدد عليها قولها عند مراجعتها. فلم يسع أبا الأسود إلا

أن يستجيب إلى رغبة الخليفة فقال:

يا أمير المؤمنين، إنها لكثيرة الصّخب، دائمة الذّرب، مهينة الأهل مؤذية البعل، مسيئة إلى الجار، إن رأيت خيراً كتمته وإن رأيت شراً أذاعته. فقالت المرأة:

والله لولا أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادى كلامك بنوافذ أفرغ بها كل سهامك، وإن كان لا يجمل بالحرة أن تشتتم بعلاً ولا تظهر جهلاً.

فازداد عجب الأشراف، ورغب معاوية في استمرار حديثها فقال لها بلهجة الخلفاء: عزمت عليك إلا أجبت، فانصاعت لأمر الخليفة وقالت:

يا أمير المؤمنين! هو ما علمته سؤال جهول، ملحّ بخيل، إن قال فشرّ قائل، وإن سكت فذو دغائل، ليث حيث يأمن، ثعلب حين يخاف، شحيح حين يضاف، ذكر الجود انقمع، لما يعرف من قصور شأنه. صيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جاراً، ولا يحمي ذماراً، ولا يدرك ثاراً، أكرم الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه.

فطرب معاوية لكلامها وطمع في مزيد من اللّجاجة بينها وبين مطلّقتها، فالتفت إلى أبي الأسود وقال له: سبحان الله لما تأتي به امرأة يا أبا الأسود. فأطرق أبو الأسود وقال:

أصلح الله أمير المؤمنين إنها مطلقة ومن أكثر كلاماً من مطلقة.

ورأى معاوية أن المجلس ينبغي أن يختم فقال للزوجة: إذا كان الرواح فاحضري حتى أفصل بينك وبينه. فلما كان الرواح وخلا المجلس، جاءت وقد احتضنت ابنها، فلما رآها أبو الأسود، هاجت بين ضلوعه عواطف الأبوة. ومزقه الحنان لولده فقام لينتزعه منها. فعاودت معاوية الرغبة في الحديث الذي انقطع قبل رواح الأشراف ووجوه الناس فقال لأبي الأسود: ماذا يا أبا الأسود، لا تعجل على المرأة أن تنطق بحجّتها، فسبق أبو الأسود مطلّقتها بالكلام فقال:

يا أمير المؤمنين: أنا أحقّ بابني منها وأنا الأب واليّ ينسب.

فتبسّمت المرأة ابتسامة الساخر وأقبلت نحو الخليفة تقول: صدق يا أمير المؤمنين! حملة خفاً، وحملته ثقلاً، ووضعت شهوة، ووضعت كرهاً، لم أحمله في غير،



فقال الشعبي: ذلك نكاح ما شهدناه.

\* وتقدّم رجلان إلى شريح القاضي في خصومة، فأقرّ أحدهما بما ادّعي عليه.  
وهو لا يدري، ففضى شريح عليه فقال: أصلحك الله، أتقضي عليّ بغير بينة؟  
قال: بلى! شهد عندي ثقة.

قال: ومن هو؟

قال: ابن أخت خالتك.

\* وجاء عبد الرحمن بن عوف إلى باب عمر بن الخطاب، فوجده مستلقياً على مرفقة له، رافعاً إحدى رجله على الأخرى منشداً بصوت عالٍ:  
وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر  
فلما دخل عبد الرحمن وجلس قال عمر: يا أبا محمد، إنّا إذا خلونا قلنا كما يقول الناس.

\* وجاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام، وعيسى مبتسم، فقال يحيى: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن؟  
فقال عيسى: ما لي أراك عابساً كأنك آيس.  
فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي.  
فأوحى الله إليهما: أحبكما إليّ الطلق البسام، أحسنكم ظناً بي.

## ٤٥٥

### نواذر الشعر

\* قال المأمون لمحمد بن الجهم: أنشدني بيتاً أوله ذم وآخره مدح، أولك به كورة. فأنشده:

قبحنا مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لحسن المخبر  
فقال له: زدني. فأنشده:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبر دلاً على القبر

فولاه الدينور .

\* وقال هارون الرشيد للمفضل الضبي : أنشدنا بيتاً أوله أعرابي في شملته  
هَبَّ من نومه ، وآخره مدني رقيق ، غذي بماء العقيق .  
قال المفضل : هوَلْتُ عليَّ يا أمير المؤمنين ، فليت شعري بأي مهر نفتضَّ  
عروس هذا الخدر؟ قال هارون : هو بيت جميل حيث يقول :  
ألا أيها النيام ويحكم هَبَّوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحبَّ  
فقال له المفضل : فأخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أكثم بن صيفي في  
إصابة الرأي وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء .  
قال له هارون : ما هو؟

قال : هو بيت الحسن بن هانئ حيث يقول :  
دُعْ عنك لومي فإنَّ اللوم إغراء ودواني بالتي كانت هي الداء  
قال : صدقت .

\* وقال الربيع : خرجنا مع المنصور منصرفنا من الحج ، فنزلنا الرضمة ، ثم  
راح المنصور ورحنا معه في يوم شديد الحرِّ ، وقد قابلته الشمس ، وعليه جبة وشي ،  
فالتفت إلينا وقال : إني أقول بيتاً من شعر ، فمن أجازه منكم فله جبتي هذه ! قلنا :  
يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرة نصبتُ لها جبيني يقطع حرَّها ظهر العظاية  
فبدر بشار الأعمى فقال :

وقفت بها القلوص ففاض دمعِي على خدِّي وأقصر واعظاية  
فخرج له من الجبة .  
فلقيته بعد ذلك فقلت له :  
ما فعلت بالجبة؟  
قال : بعثتها بأربعة آلاف درهم .

## أشعب المغني

عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال:

قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له . فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أخزيه والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف . فأقبل جرير علينا وقال: من الرجل؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . قال: هذا الحبيث ابن الطيب ثم أقبل عليه فقال: قد قلت:

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها      وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرّت

فإنه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفقرّ ذلك بعينك؟

قال: وكان الأحوص يُرمى بالعيب، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عنده بالباب، فأقبل أشعب يسأله، فقال له جرير: والله إنك لأقبحهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً، وقد أبرمتني .

فقال: أنا والله أنفعهم لك . فانتبه جرير فقال: كيف؟

قال: إني لأملح شعرك واندفع يغنيه قوله:

يا أخت ناجية السلام عليكم      قبل الفراق وقبل لَوْم العُدّل  
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم      يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعل

قال: فأدناه جرير منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريباً منه ثم قال:

أجل! والله إنك لأنفعهم وأحسنهم تزييناً لشعري . أعدّ، فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلت لحيته .

ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه وكساه حلّة من حلل الملوك . وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جرير شعره فيغني فيه .

قال: وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً .

قال حماد: والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج .

## هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

روى أبو الفرج الأصفهاني القصة الطريفة التالية، قال:

حجَّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر من ازدحام الناس، فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل عليّ بن الحسين وهو أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحّى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبّة وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه فقال رجل لهشام.

- من هذا أصلح الله الأمير؟

- لا أعرفه.

وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه.

فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه حاضراً:

- أنا أعرفه، فسلي يا شامي.

- ومن هو؟

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلّم
إذا رأيته قريش قال قائلها:	إلى المكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسه عرفان راحته	رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك: من هذا؟ بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجمُ
أيّ الخلائق ليس في رقابهم	لأولية هذا أو له نعمُ
من يعرف الله يعرف أولية ذا	فالدّين من بيت هذا ناله الأُمم

وما أسرع ما وصلت الأبيات إلى هشام، فضاق بها صدرًا ولم يحتمل مديح سبط الرسول الذي بلغ ندى يديه بيوت المستورين، فحبس الفرزدق.

فقال وهو في حبسه (وكان هشام أحول):

أحسبني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيدٍ وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها  
فبعث إليه هشام، فأخرجه، ووجه إليه عليّ بن الحسين عشرة آلاف درهم  
وقال:

- إعذر يا أبا فراس؟ فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به.  
فردّها وقال:

- الذي قلت ما كان إلّا لله، وما كنت لأرزا عليه شيئاً.  
- قد رأى مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه.  
فأقسم عليه فقبلها.

#### ٤٥٨

##### أبو العتاهية إن شعر

قالوا:

أجرى هارون الرشيد الخيل، فجاءه فرس يقال له المشمّر سابقاً، وكان الرشيد  
معجباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه، فبدرهم أبو العتاهية فقال:  
جاء المشمّر والأفراسُ يقدمها هوناً على رسله منها وما انبهر  
وخلف الريح حسرى وهي جاهدةٌ ومرّ يختطف الأبصار والنظرا  
فاجزل صلته، وما جسر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً.

#### ٤٥٩

##### أجاد والله أبو العتاهية

قال حبيب بن الجهم النمري:

حضرت الفضل بن الربيع طالباً جائزتي وفرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي،  
فإذا عوّن حاجبه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم من مكة  
فقال: أعفني منه الساعة يشغلني عن ركوبي. فخرج إليه عون فقال: إنه على  
الركوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج من كمّه نعلّاً عليها شراك فقال: قل له إن أبا



العتاهية أهدها إليك جعلت فداءك .

قال : فدخل بها فقال : ما هذه ؟

فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوب كتاب .

فقال : يا حبيب اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو :

نعلٌ بعثت بها ليلبسها قرمٌ بها يمشي إلى المجد  
لو كان يصلح أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي

فقال لحاجبه عون : احملها معنا ، فحملها ، فلما دخل على الأمين قال له : يا

عباسي ، ما هذه النعل ؟

فقال : أهدها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى

بلبسها لما وصف به لابسها .

فقال : وما هما ؟

فقرأهما ، فقال : أجاد والله ! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد . هبوا له عشرة

آلاف درهم .

فأخرجت والله في بدرة وهو راكب على حماره . فقبضها وانصرف .

❦ ٤٦٠ ❦

### خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك

حدّث مصعب بن عثمان قال :

دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد فقال : لقد هممت اليوم بقتل

الوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين ووليّ

عهد المسلمين . قال : إنه لقي خيلي فنفرها وتلاعب بها . فقال له خالد : أنا أكفيكه

إن شاء الله .

فدخل خالد على عبد الملك ، وعنده الوليد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ وليّ

عهد المسلمين الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فنفرها

وتلاعب بها ، فشق ذلك على عبد الله ، فنكس عبد الملك رأسه وقرع الأرض بقضيب

في يده ، ثم رفع رأسه إليه فقال :

﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ .

فقال له خالد :

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمَرناها تدميراً﴾ .

فقال له عبد الملك : أتكلمني فيه ، وقد دخل عليَّ لا يقيم لسانه لحناً .

فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، أفعلى الوليد تعول في اللحن ؟

فقال عبد الملك : إن يكن الوليد لحناً فأخوه سليمان .

قال خالد : وإن يكن عبد الله لحناً فأخوه خالد . قال الوليد لخالد : أتكلمني

ولست في غير ولا نفير ! قال : ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا ؟ أنا والله ابن العير والنفير ، سيد العير جدي أبو سفيان ، وسيد النفير جدي عتبة بن ربيعة ، ولكن لوقلت : حُبيلات - يعني حبله العنب - وغُنيمات والطائف لقلنا : صدقت ، ورحم الله عثمان .

قال أبو الفرج الأصفهاني : يعيره بأمر مروان ، وأنها من الطائف ، ويعيره بالحكم ، وأن رسول الله (ص) طرده إلى الطائف ، وترحم على عثمان لردّه إياه .

## ٤٦١

### إياكم ومعاشرة أهل السوء

حدث عافية بن شبيب قال :

كان لمطيع بن إياس مُعامل من تجار الكوفة ، فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ وعاشر تلك الطبقة ، وأفسدوا دينه ، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون وقال كما يقولون ، وإذا صحا تهبّ ذلك وخافه ، فمرّ يوماً بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : شيعت صديقاً لي حجّ ورجعت كما ترى ميتاً من ألم الحرّ والجوع والعطش .

فدعا مطيع بغلامه وقال له : أي شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا

ومن البوادر والجار كذا ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا وقد رُشّ الخيش وفُرغ من الطعام. فقال له: كيف ترى هذا؟

فقال: هذا والله العيش وشبه الجنة.

قال: أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت.

قال: وما هي؟

قال: تشتم الملائكة وتنزل.

فنفر التاجر وقال: قَبَحَ الله عِشْرَتَكُمْ قد فضحتُموني وهتكتُموني. ومضى فلم يبعد حتّى لقيه حماد عجرد فقال له: مالي أراك نافرأ جزعاً؟ فحدّثه حديثه فقال: أساء مطيع - قَبَحَ الله - وأخطأ، وعندى والله ضعف ما وصف لك، فهل لك فيه؟ فقال: أجل، بي والله إليه أعظم فاقة.

قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبدونا بكل أمرٍ معنٍ متعب ولا ذنب للملائكة فنشتمهم.

فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً قَبَحَكَ الله، لا أدخل!

ومضى فاجتاز بيحي بن زياد الحارثي فقال له: مالي أراك يا أبا فلان مرتاعاً؟ فحدّثه بقصّته فقال: قبحهما الله لقد كلّفناك شططاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندى والله أضعاف ما عندهما وأنت الشريك فيه على خصلةٍ تنفّك ولا تضرك وهي خلاف ما كلّفناك إياه من الكفر.

قال: وما هي؟

قال: تصلي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا.

فضجر التاجر وتأنّف وقال: هذا شرٌّ من ذاك، أنا تعبٌ ميّت، تكلفني صلاة طويلة في غير برٍّ ولا لإطاعةٍ يكون ثمنها أكل سُحْتٍ وشرب خمر وعشرة فجرة وسماع مغنيات قحاب.

وسبّه وسبّهما ومضى مغضباً. فبعث خلفه غلاماً وأمره برّده، فردّه كُرْهاً وقال: انزل الآن على ألاّ تصلي اليوم بتّة. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا.

فقال: انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد. فنزل عنده. ودعا يحي مطيعاً وحامداً فعبث بالتاجر ساعةً وشتياه، ثم قدم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلى

التاجر الظهر والعصر، فلما دبت الكاس فيه قال له مطيع: أيما أحب إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتهم. فقال: له حماد: أيما أحب إليك تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتهم. فقال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلّي الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقي صلاتك اليوم أن تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف. ففعل كل ما أرادوه منه.

٤٦٢

### اشترى بها ضيعته الصالحية

حدث محمد بن أحمد قال: حدث علوية، قال: قال ابراهيم الموصلي يوماً: إني قد صنعت لحناً وما سمعه مني أحد بعد، وقد أحببت أن أنفعك وأرفع منك بأن القيّه عليه وأهبه لك، ووالله ما فعلت هذا بإسحاق الموصلي قط ولا خصصتك به فانتجله وأدّعه فلست أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالاً. فألقي عليّ قوله: إذا كان لي شيان يا أم مالك فإنّ لجاري منهما ما تحبّراً فأخذته وأدّعيته وسترته طوال أيام الرشيد خوفاً من أن أتهم فيه وطول أيام الأمين حتى حدث عليه ما حدث. وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج إلى الشامية دائماً يتنزّه، فركبت في زورق صغير وجئت أتبعه، فرأيت سفينة حربية كانت لعلي بن هشام فقلت للملاح: اطرّح زورقي على السفينة ففعل، واستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجوّاري - وما كانوا يحجبون جوارهم في ذلك الوقت ما لم يلدن - فإذا بين يديه المغنية متيّم والمغنية بذل من جواريه. فغنيته الصوت فاستحسنه جداً وطرب عليه وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صنعته واهديته لك، ولم يسمعه أحد قبلك. فازداد به عجباً وطرباً وقال لها: خُذيه عنه، فألقيته عليها حتى أخذته. فسرّ بذلك وطرب وقال لي: ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلّا أن أتحول عن هذه السفينة بما فيها وأسلمه إليك أجمع.

فتحوّل إلى أخرى، وسُلّمت السفينةُ بخزانتها وجميع آلاتها إليّ وكل شيء فيها، فبعت ذلك بمائة وخمسين ألف درهم واشترت بها ضيعتي الصالحية.

٤٦٣

### ابطحوه

عن أبي عبّاد قال حدثني أبي قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية. استخلف الوراق بسامراء، فكانت أموره كلّها كأمر أبيه، فوجه إلى الجلساء والمغنين أن يكرّوا إليه يوماً حدّدهم ووجه إلى إسحاق فحضر الجميع. فقال لهم الوراق: إني عزمّت على الصبح ولست أجلس على سرير حتى اختلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقة، وليكن كل جليس إلى جانبه مغن، فجلسوا كذلك. فقال الوراق: أنا أبدأ، فأخذ عوداً فغنى وشربوا وغنى من بعده، حتى انتهى إلى إسحاق الموصلي فأعطى العود فلم يأخذه. فقال: دعوه.

ثم غنّوا دوراً آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغنّ، وفعل هذا ثلاث مرات. فوثب الوراق فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: اجلس.

ثم قال: عليّ بإسحاق! فلما رآه قال: يا خوزي! يا كلب! أتُنزل لك وأغني وترتفع عني! أترى لو أتي قتلتك كان المعتصم يقيدني بك! ابطحوه! فبطح فضرب ثلاثين مفرقة ضرباً حفيفاً، وحلف ألا يغني سائر يومه سواه. فاعتذر وتكلّمت الجماعة فيه، فأخذ العود وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم، وعاد الوراق إلى مجلسه.

\*

## اكتبوا لها ولقومها

قال الشعبي :

قدمت سودة بنت عمارة على معاوية فلمّا دخلت عليه وسلّمت قال لها : كيف أنت يا ابنة عمارة؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال : أنسيت قولك لأخيك يوم صفّين .

قالت : وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال :

شمر كفعل أخيك يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الشجعان وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهندي وابنها بهوان

قالت : يا أمير المؤمنين، ما مثلي من رغب عن حق، واعتذر بباطل . قد كان ذلك مني يا أمير المؤمنين .

قال : فما حملك على مثل هذا؟

قالت : حب عليّ كرّم الله وجهه واتباعه الحق .

قال : فما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً .

قالت : بلى ! والله ، كانت آثاره جميلة ، وعدله شامل .

فبالله عليك يا أمير المؤمنين ، ألا صرفت عنك تذكّار ما نسي .

قال : هيهات ! ليس مثل مقام أخيك ينسى .

قالت : صدقت . فما كان خفيّ المقام ، ولا ذميم المكان ، كان والله هو كما قالت

الخنساء :

وإن صخرأ لتأتّم الهداة به كأنه علّم في رأسه نار

ثم قالت : بالله يا أمير المؤمنين ، دعني من مثل هذا .

قال : قد فعلت ، قولي حاجتك .

قالت : والله يا أمير المؤمنين ، انك أصبحت للناس سيّداً ولأمرهم مقلداً ، والله

سائلك عمّا فرضه عليك من حقّنا، وأنت مقدم من يَبوء بعزّك ويبطش بسلطانك،  
فيحصدنا حصاد السنبِل ويدرسنا درس البقر.

قال: من هو؟

قالت: ابن أَرطأة عديّ قدّم إلى أرضنا فقتل رجالي وأخذ أموالِي ولولا الطاعة  
لكانت النّعمة. فان عزّله شكركنا، وإن لم تعزله عرفناك.  
قال: أتهدّيني بقومك. والله لقد هممت أن أردّك إليه على كور قتب ينفذ فيه  
حكمه.

فقالت:

صَلَّى الاله على روح تضمّنها      قبر فأصبح فيه الحق مدفونا  
قد خالف الحقّ لا ينبغي له بدلاً      فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هو؟

قالت: علي بن أبي طالب.

قال: ما الذي جرى لك معه.

قالت: أتيت في رجل ولّاه الصدقات ولم يكن بيننا وبينه إلّا أن ترك الغنّ وأخذ  
السمين فوجدته قائماً يصليّ، فلما أحسّ بي سلّم من صلاته والتفت إليّ برحمة ورفق  
ورأفة وقال: ألك حاجة.

فأخبرته الخبر فبكى ورفع بصره ويده إلى السماء وقال: اللّهم أنت الشاهد عليّ  
وعليهم. إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك.

ثم أخذ قطعة من جلد وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءكم  
موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في  
الأرض مفسدين بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ. فإذا  
قرأت كتابي هذا فاحفظ ما في يديك من عملك حتى يردّ عليك من يقبضه منك  
والسلام.

فصرفه من عمله وولّى علينا غيره.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالعدل والانصاف.

فقالت: ألي خاصة أم لقومي عامة؟

فقال : لكِ خاصة .  
قالت : إن هذا الكرم عظيم إن كان عدلاً شاملاً ، وإلاً فأنا كسائر الناس .  
فقال معاوية : اكتبوا لها ولقومها .

٤٦٥

### هل بقيت لك من حاجة؟

حدث محمد بن الضحاك عن أبيه قال :  
استأذن عبيد الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فقالت له  
الجارية : ليس عليه إذن الآن .  
فقال : أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عني .  
قال : فدخلت الجارية على حمزة فأخبرته فقال : ينبغي أن يكون هذا ابن قيس  
الرقيات ائذني له ، فأذنت له . فقال : مرحباً بك يا ابن قيس ، هل من حاجة نزعت  
بك؟  
قال : نعم ، زوّجت بنين لي ثلاثةً بنات أخٍ لي ثلاثٍ ، وزوّجت ثلاثة من بني  
أخٍ لي ثلاث بنات لي .  
قال : فلبنيك الثلاثة أربعمئة دينار أربعمئة دينار ، ولبني أخيك الثلاثة أربعمئة  
دينار أربعمئة دينار ، ولبناتك الثلاث ثلثمئة دينار ثلثمئة دينار ، ولبنات أخيك الثلاث  
ثلثمئة دينار ثلثمئة دينار ، هل بقيت لك من حاجة يا ابن قيس؟  
قال : لا والله إلا مؤونة السفر .  
فأمر له بما يصلحه لسفره حتى رقاع أخفاف الإبل .

٤٦٦

### أعرابي يرثي ولده

قال أحد الأعراب يرثي ولده :  
هوى ابني من عُلا شرفٍ يهول عقابه صعدُهُ



هوى من رأس مرقبة فزلت رجله ويده  
فلا أم فتبكيه ولا أخت فتفتقده  
هوى عن صخرة صلد ففرت تحتها كبده  
الأم على تبكيه وألمسه فلا أجده  
وكيف يلام محزون كبير فاته ولده

٤٦٧

### أصابها ما أصاب الناس

دخل النبي محمد (ص) على زوجته عائشة فوجد عندها امرأة رثة الهيئة، فسأل  
عن أمرها، فقليل له إنها زوجة الصحابي عثمان بن مظعون، وأنها تشكو بثها وحزنها،  
فعثان مشغول عنها بالعبادة يقوم ليله ويصوم نهاره.  
وذهب الرسول حيث لقي ابن مظعون فقال له: أما لك بي أسوة؟  
قال: بآبي وأمي، وما ذاك؟  
قال الرسول الكريم: تصوم النهار وتقوم الليل؟  
قال: إني لأفعل.  
قال الرسول: لا تفعل، إن لجسدك عليك حقاً وإن لأهلك حقاً.  
وجاءت زوجته في اليوم التالي لزيارة بيت الرسول وهي عطرة نضرة، ولما قيل  
لها في ذلك قالت:  
أصابنا ما أصاب الناس.

٤٦٨

### المتزندق

رفع رجل من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له يتزندق، فسأله الوالي  
عن قوله الذي نسبته إلى الزندقة، فقال: هو مرجىء قدرى ناصبي رافضي من  
الخوارج، يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل علي بن العاص.

فقال له ذلك الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك؟ أعلى علمك بالمقالات، أم على بصرك بالأنساب؟

٤٦٩

### ما هي بحية ولا بعقرب

قال رجل لطفل: ابن كم أنت؟  
قال: ابن رجل واحد!  
قال: إنما سألتك عن عمرك.  
فقال: فقل كم عمرك؟ فقال له كذلك، قال: ثمانية أعوام.  
قال: أحية أمك؟  
قال: ما هي بحية ولا بعقرب، ولكنها امرأة.  
فقال: فكيف أقول؟  
فقال له: قل: أفي الأحياء أمك؟  
فقال له كذلك.  
فقال له: نعم.

٤٧٠

### المروءة

\* قيل لبعض حكماء الفرس:  
أي شيء للمروءة أشد تهجيناً؟  
فقال: للملوك صغر في الهمة، وللعمامة الصلف، وللفقهاء الهوى، وللنساء قلة الحياء، وللعمامة الكذب، والصبر على المروءة صعب وتحملها عبء.  
\* وقال خالد بن صفوان: لولا أن المروءة اشتدت مؤونتها وثقل حملها ما ترك اللثام للكرام منها شيئاً، ولكنه لما ثقل حملها واشتدت مؤونتها حاد عنها اللثام فاحتملها الكرام.

\* وقال بعضهم: المكارم لا تكون إلا بالمكاره، ولو كانت خفيفة لتناولها السفلة بالغبلة.

وقال ابن عمر: ما حمل رجل حملاً أثقل من المروءة، فقال له أصحابه: صف لنا ذلك، فقال: ما له عندي حد أعرفه إلا أني ما استحيت من شيء قط علانية، إلا استحيت منه سراً.

\* وقام رجل من بني مجاشع إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله ألسنتُ أفضل قومي؟

فقال: إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك دين فلك تقى، وإن كان لك تقى فلك دين.

\* وقال عمر بن الخطاب: حسبُ المرء ماله، وكرمه دينه، وأصله عقله، ومروءته خلقه.

\* وقال علي بن أبي طالب: مروءة الرجل حيث يضع نفسه.

## ٤٧١

### علامات الهوى

قالوا:

إن أول علامات الهوى على ذي الأدب: نحول الجسم، وطول السقم، واصفرار اللون، وقلة النوم، وخشوع النظر، وإدمان الفكر، وسرعة الدموع، وإظهار الخشوع، وكثرة الأنين، وإعلان الحنين، وانسكاب العبرات، وتتابع الزفرات، ولن يخفى المحب وإن تستر، ولا ينكتم هواه وإن تصبر، ولن يخفى ادعاء أنه قد قارن العشق والهوى، لأن علامات الهوى مضيئة، وآيات الادعاء ظاهرة، وقد قال الأحوص الأنصاري:

ما عالج الناس مثل الحب من سقمٍ ولا برى مثله عظماً ولا جسداً  
ما يلبث الحب أن تبدو شواهده من المحب وإن لم يُبدِه أبداً

وقال آخر:

ما يعرف الحزن إلا كل من عشقا      وليس من قال إنّي عاشق صدقا  
للعاشقين نحول يُعرفون به      من طول ما حالفوا الأحزان والأرقا

٤٧٢

### الصديق

قال عمر بن أبي ربيعة:

لا تجعلن أحداً عليك إذا      أحببته وهويته ربّا  
وصلّ الصديق إذا كلفت به      واطرّ الزيارة دونه غبّا  
فلذلك خيرٌ من مواصلة      ليست تزيدك عنده قربا  
لا بل يملّك عند دعوته      فيقول: آه، وطالما لبّي

وقال آخر:

عليك بإقلال الزيارة إنها      تكون إذا دامت إلى الهجر مسلّكا  
فإنّي رأيت القطر يُسأمُ دائباً      ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

٤٧٣

### المقلّ والمكثر

قال الجاحظ: قال أبو حسان: كان عندنا رجل مقلّ، وكان له أخ مكثّر، وكان مفرط البخل شديد النفخ كثير الافتخار بما ليس عنده. فقال له يوماً أخوه: ويحك! أنا فقير معيل وأنت غنيّ خفيف الظهر، لا تعينني على الزمان، ولا تؤاسيني ببعض مالك، ولا تنفرج لي عن شيء؟ والله ما رأيت قطّ ولا سمعت بأبخل منك! قال: ويحك! ليس الأمر كما تظن في الغنى، ولا المال كما تحسب في الانفاق، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر، والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبْتُ لك منها خمس مائة ألف درهم، يا هؤلاء، رجل يهبُّ بضربةٍ واحدة خمس مائة ألف يُقال له بخيل!

### ذكرك نور القلب والبصر

قال جمال الدين أبو الدر الكاتب البغدادي :

تُجَدِّدُ الشَّمْسُ شَوْقِي كُلَّمَا طَلَعَتْ      إِلَى مُحْيَاكِ يَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي  
وَأَسْهَرُ اللَّيْلَ ذَا أَنْسٍ بِوَحْشَتِهِ      يَا طَيْبُ ذَكَرَاكِ فِي ظِلْمَائِهِ سَمْرِي  
وَكُلَّ يَوْمٍ مَشَى لِي لَا أَرَاكَ بِهِ      فَلَسْتُ مُحْتَسِبًا مَاضِيَهُ مِنْ عُمْرِي  
لَيْلِي نَهَارٌ إِذَا مَا دَرَّتْ فِي خَلْدِي      لِأَنَّ ذَكَرَكَ نَوْرَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

### ذكاء الثعلب

ذكر الشافعي قال :

كُنَّا فِي أَرْضِ الْيَمَنِ، فَوَضَعْنَا سَفَرَتَنَا لِنَتَعَشَّى، وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْمَغْرَبِ، فَقَمْنَا  
نَصْلِي ثُمَّ نَتَعَشَّى. فَتَرَكْنَا السَّفَرَةَ كَمَا هِيَ وَقَمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، وَكَانَ فِيهَا دَجَاجَتَانِ.  
فَجَاءَ ثَعْلَبٌ فَأَخَذَ إِحْدَى الدَّجَاجَتَيْنِ.  
فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ أَسْفَنَّا عَلَيْهَا وَقَلْنَا حَرَمْنَا طَعَامَنَا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ  
الثَّعْلَبُ وَفِي فَمِهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ الدَّجَاجَةُ فَوَضَعَهُ. فَبَادَرْنَا إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، وَنَحْنُ نَحْسِبُهُ  
الدَّجَاجَةَ قَدْ رَدَّهَا. فَلَمَّا قَمْنَا، جَاءَ إِلَى الْآخَرَى وَأَخَذَهَا مِنَ السَّفَرَةِ، وَأَصْبَنَا الَّذِي  
قَمْنَا إِلَيْهِ لِنَأْخُذَهُ، فَإِذَا هُوَ لَيْفٌ قَدْ هِيَاهُ مِثْلُ الدَّجَاجَةِ.

### مسامير الحب

حدث أبو العيناء قال : حدثني الجاحظ قال :

كتب بعض الظرفاء إلى مُلْكٍ جَارِيَةٍ أَبِي جَعْفَرٍ :

يَا مُلْكُ قَدْ صَرْتُ إِلَى خَطِئَةٍ      وَكُنْتُ فِيهَا مِنْكَ ذَا ضِيمٍ  
يَلُومُنِي النَّاسُ عَلَى حَبْكُم      وَالنَّاسُ أَوْلَى فَيْكِ بِاللَّوْمِ

فكتبت إليه :

إن تكن الغلّمة هاجت بكم فسكن الغلّمة بالصوم  
ليس بك الشوق ولكنّا تدور من هذا على الكوم<sup>(١)</sup>

٤٧٧

### كذاك الهوى بعد الذهاب يعود

رُوي أن امرأة من نساء العرب تزوّجت رجلاً من خثعم، فوجد كل واحد منهما  
بصاحبه وجداً شديداً، وأنها تحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد صاحبه، فمات قبلها،  
فتزوجت، فلامها بعض أهلها، وقالوا: أين ما كنت تجدين به؟ فأنشأت تقول:

وقد كان حبيّ ذاك حباً مبرحاً      وحبيّ لذا إذ مات ذاك شديداً  
وكان هواي عند ذاك صباباً      وحبيّ لذا، طول الحياة، يزيدُ  
فلما مضى عادت لهذا مودّي      كذاك الهوى بعد الذهاب يعودُ

٤٧٨

### كرم معن بن زائدة

قالوا:

كان لمعن بن زائدة شاعر يغشى مجلسه في كل يوم فانقطع عنه أياماً، فلما دخل  
عليه قال:

ما أبطأك؟

قال: وُلِد لي مولود.

قال: فما سَمّيته؟

قال:

سَمّيت معناً بمعنٍ ثم قلت له      هذا سُمّي عقيد المجد والجود

(١) الكوم: النكاح.

قال يا غلام، أعطه ألف دينار، وقل بيتاً آخر، فقال:  
سما بجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجاويد  
قال: يا غلام، أعطه ألف دينار، وقل بيتاً آخر، فقال:  
أنت الجواد ومنك الجود أوله فإن فُقدت فما جودٌ بموجود  
فقال: يا غلام، أعطه ألف دينار، وقل بيتاً آخر، فقال:  
من نور وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في العود  
فقال: يا غلام، أعطه ألف دينار، وقل بيتاً آخر.  
فقال الغلام: لا تقل. والله، لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت.  
فانصرف.

٤٧٩

### كثير وعزة

قيل لكثير عزة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟  
قال: لا والله، إلا أنه ربما كان يشتد بي الأمر فأخذ يدها، فأضعها على جبيني  
فأجد لذلك راحة.

٤٨٠

### لا حاجة لي في هذا الديوان

بلغ من حق رجل اسمه هبنقة أنه ضلّ له بعير، فجعل ينادي: من وجد  
بعيري فهو له. فقيل له: ولم تنشده؟  
قال: وأين حلاوة الظفر والوجدان؟  
واختصمت إليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادّعى هؤلاء فيه. فقالوا: قد  
رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا، فطلع عليهم هبنقة. فلما رأوه قالوا: انظروا  
بالله من طلع علينا. فلما دنا قصّوا عليه القصة. فقال هبنقة: الحكم في هذا بين،

أذهبوا به إلى نهر البصرة فألقوه فيه، فإن كان راسباً رصب، وإن كان طفاوياً طفاً.  
فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد هذين الحين، ولا حاجة لي في هذا  
الديوان<sup>(١)</sup>.

## ٤٨١

### أبكي على كريم مثلك يواريه التراب

روي عن الأصمعي قال: لقي أعرابي «طلحة الطلحات» فقال: إن ترى أن  
تفيض عليّ ممّا أفاض الله عليك.  
قال: فقال: يا غلام، أحتُ له ممّا في خرجك.  
قال: فحثا له حتى امتلأ كمّه دنانير.  
فبكى الأعرابي.  
قال: فقال له: ما يبكيك يا أعرابي؟ لعلّك لم يكفك ما أخذته واستقلته.  
قال: لا والله ولكني أبكي على كريم مثلك، يواريه التراب.  
فقال: يا غلام، إدفن الخرج كما هو.

## ٤٨٢

### المصفوع

حكى بن بشار الطفيلي أنه قال: رحلت إلى البصرة، فلما دخلتها قيل لي: إن  
هنا عريفاً للطفيلين يبرهم ويكسوهم، ويردّهم إلى الأعمال ويقاسمهم، فسرت  
إليه، فبرّني وكساني. وأقمت معه ثلاثة أيام وله خلق يأتونه بما يأخذون، فيأخذ  
النصف ويعطيهم النصف. فوجهني معهم في اليوم الرابع، فحصلت في وليمة،  
فأكلت وأخذت شيئاً كثيراً، فجثته به، فأخذ النصف وأعطاني النصف، فبعث ما  
وقع إليّ بدراهم. فلم أزل على هذا أياماً، ثم دخلت يوماً على عرس جليل، فأكلت

(١) الديوان: المكان الذي يجتمع فيه لفصل الدعاوى بين الناس.



وخرجت بشيء كثير، فلقيني إنسان فاشتره مني بدينار، فأخذته وكتمت أمره. فأخذني عريف الطفيلين وقال: إن هذا الطفيلي البغدادي خان، وظنّ أني لا أعلم ما فعل! فأصفعوه وعرفوه ما كتمنا. فأجلسوني شتّ أم أبيت، فما زالوا يصفعونني واحداً بعد واحد، يصفعني الأول منهم ويشمّ يدي ويقول: أكلت مضيرة<sup>(١)</sup>، ويصفعني الآخر ويشمّ يدي ويقول: أكلت بريقة، حتى ذكروا كل شيء أكلته، ما غلطوا بزيادة ولا نقصان. ثم صفعني منهم شيخ صفقة عظيمة وقال: بعث ما أخذت بدينار! وصفعني آخر وقال:

هات الدينار. فدفعته إليه وجردني الثياب التي أعطانها وقال: اخرج يا خائن في غير حفظ الله.

فخرجت إلى بغداد وحلفت أن لا أقیم ببلد طفيلیوه يعلمون الغیب.

## ❖ ❖ ❖ ٤٨٣ ❖ ❖ ❖

### ما لأبي حمزة لا يأتينا؟

كان أحدهم يلقب بأبي حمزة الضبيّ، وقد ولدت له زوجته بضع بنات ولم تنجب له غلاماً يكتى به، ولما حملت قال لها: إذا وضعت أنثى فأنت طالق، ولما وضعت أنثى هجرها.

وخطر له مرّة أن يطلّ عليها وتطلّع من ثقب في الباب وإذا به يراها ترقص إحدى بناتها في حضنها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا  
يظل في البيت الذي يلينا  
غضبان أن لا نلد البنينا  
تالله ما ذلك في أيدينا  
وإنما نأخذ ما أعطينا

---

(١) مضيرة: طعام يُطبخ باللبن.

ونحن كالأرض لزارعيننا  
ننبت ما قدر زرعوه فينا

فعاد إليها واعتذر منها .

٤٨٤

### عجب من فصاحته وقضى حاجته

تظلم رجل إلى المأمون من عامل له فقال:  
يا أمير المؤمنين، ما ترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا ذهب به، ولا غلة إلا  
غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا عرضاً إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها، ولا  
جليلاً إلا أجلاه، ولا دقيقاً إلا دقه، فعجب من فصاحته، وقضى حاجته .

٤٨٥

### يا أخت خير البدو

خرج سهل بن مالك الفزاري يريد النعمان، فمر ببعض أحياء طيء، فسأل عن  
سيد الحي فقيل له: حارثة بن لأم، فأمّ رحله فلم يصبه شاهداً، فقالت له أخته:  
انزل في الرحب والسعة. فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبائها. فرأى أجمل  
أهل دهرها وأكملهم، وكانت عقيلة قومها وسيدة نساها فوقع في نفسه منها شيء،  
فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك. فجلس بفناء الخباء يوماً  
وهي تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول:

يا أخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتى فزاره؟  
أصبح يهوى حرّة معطارة إياك أعني واسمعي يا جارة  
فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني فقالت: ماذا بقول ذي عقل أريب ولا  
رأي مُصيب ولا أنف نجيب. فأقم ما أقمت مكرمًا، ثم ارتحل متى شئت مسلماً.  
ويقال أجابته نظماً فقالت:

إني أقول يا فتى فزاره لا ابتغي الزوج ولا الدعارة

ولا فراق أهل هذي الجاره فارحل إلى أهلك باستخاره  
فاستحيا الفتى وقال: ما أردت منكراً، واسوأته!  
قالت: صدقت.

فكانها استحييت من تسرعها إلى تهمته. فارتحل فأتى النعمان فحيّاه، وأكرمه. فلما  
رجع نزل على أخيها. فبينما هو مقيم عندهم تطلعت إليه نفسها وكان جميلاً،  
فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدهر، فإني سريعة إلى ما  
تريد. فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

## ٤٨٦

### مدعي النبوة

ادعى رجل النبوة في البصرة، فأتى به سليمان بن علي مقيداً، فقال له: أنت نبي  
مرسل؟

قال: أمّا الساعة، فإني نبيّ مقيد!

قال: ويلك من بعثك؟

قال: ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله لولا أنني مقيدٌ لأمرت  
جبريل يدمدمها عليكم.

قال: والمقيد لا تجاب دعوته؟

قال: نعم، الأنبياء خاصة إذا قيّدوا لا يرتفع دعاؤهم.

فضحك سليمان وقال: إني أطلقك، الآن، فأمر جبريل، فإن أطاعك آمناً بك  
وصدّقناك.

قال: صدق الله حيث يقول: ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾. فضحك  
سليمان، وسأل عنه، فشهد له محرور مغیظ، فخلّى سبيله.



### عليّ ومعاوية

ارتفع إلى قاض يشيع خصمان: اسم أحدهما عليّ واسم الآخر معاوية، فانحنى القاضي على معاوية فضربه مائة سوط من غير أن اتجهت عليه حجة. ففطن معاوية من أين أتى. فقال للقاضي:

أصلحك الله! سلّ خصمي عن كنيته، فاذا هو أبو عبد الرحمن - وكانت كنية معاوية بن أبي سفيان - فبطحه وضربه مائة سوط. فقال لصاحبه: ما أخذته مني بالاسم استرجعته منك بالكنية.

### ابشر يا أمير المؤمنين

قيل إن المنصور بن أبي عامر الأندلسي كان إذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة، ولم يسر إلى الغزاة إلا من الجامع. فاتفق أنه في بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء. فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة. فرفع حامل اللواء اللواء، فصادف ثرياً من قناديل الجامع، فانكسرت على اللواء، وتبدد عليه الزيت. فتطير<sup>(١)</sup> الحاضرون من ذلك، وتغير وجه المنصور. فقال رجل: أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هيّنة، وغنيمة سارة. فقد بلغت أعلامك الثريا، وسقاها الله من شجرة مباركة.

### أمالك الله وإياه

حكى الأصمعي قال: كان رجل من ألام الناس وأبخلهم، وكان عنده لبن كثير، فسمع به رجل ظريف، فقال: أموت أو أشرب من لبنه. فأقبل ومعه صاحب

(١) تطير: تشاءم.

له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن عُشي عليه وتماوت، ففعد صاحبه عند رأسه  
 يسترجع، فخرج إليه صاحب اللبن، فقال له: ما باله؟  
 فقال: هذا سيد بني تميم أتاه أمر الله ها هنا، وكان قال: أسقني لبناً! فقال  
 صاحب اللبن: هذا هينٌ موجود! يا غلام اثني بقدرح من لبن، فأتاه فأسنده صاحبه  
 إلى صدره، وسقاه حتى أتى عليه، وتحشأ<sup>(١)</sup> فقال صاحبه لصاحب اللبن: تقول هذه  
 راحة الموت؟  
 ففطن لهما وقال: أمانك الله وإياه!

٤٩٠

### كأنه في إيوان كسرى

قيل لأعرابي: كيف تبترد بالبادية إذا انتصف النهار، وانتقل كل شيء ظله؟  
 فقال: وهل العيش إلا هناك؟ يركض أحدنا ميلاً فيرفض عرقاً كالجمان، ثم ينصب  
 عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب، فكأنه في إيوان  
 كسرى.

٤٩١

### حبة الوطن

قال المعتمد بن عباد:

إن يسلب القوم العدى	وطني وتسلمي الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم	ألا تحصني الدروع
وبرزت ليس سوى القمي	ص على الحشاشيء دفوع

(١) تحشأ: أراد أن يتقيأ.

ما سرتُ قطَّ إلى القتا لـ وكان من أُملي الرجوعُ  
شيمُ الألى أنا منهم والأصل تتبعه الفروعُ

٤٩٢

### فضيلة زبيدة

لما حَجَّتْ زبيدة زوجة هارون الرشيد، ورأت ما يعانيه أهل مكة من المشاق للحصول على الماء الذي يشربون، أمرت خازن أموالها أن يدعو المهندسين والعمال لبدأوا الحفر وشق الطرق من كل خفض ورفع، وسهل وجبل، حتى تصل الماء إلى مكة، ولما ظهر التردّد على خازن الأموال من كثرة التكاليف قالت له: اعْمَلْ ولو كَلَفْتِكَ ضربة المعول ديناراً، فعمل وتمّ المشروع، ولا يزال يحمل اسمها إلى اليوم. وقد بلغت تكاليفه مليون و ٧٠٠ ألف دينار.

٤٩٣

### إنه بالإصلاح أحقّ من أهل الكوفة

كان بالكوفة رجل يُقال له مصلح، فبلغه أن بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه، فسار الكوفي إلى البصرة. فلما قدم عليه قال له: من أنت؟ قال: أنا مصلح جئتكَ من الكوفة لئلا بلغني خبرك. فرحّب به وأدخله موضعه، وخرج يشتري له ما يأكل. فأتى جباناً فقال له: أعندك جُبْن؟ قال: عندي جبْنُ كأنه سمن. فقال في نفسه: لمَ أشتري سمناً حين هو يُضرب به المثل؟ فذهب إلى من يبيع السمن فقال له: أعندك سمن؟ فقال: عندي سمن كأنه زيت. فقال في نفسه: لمَ لا أشتري زيتاً حين هو يُضرب به المثل؟ فذهب إلى زيّات وقال: أعندك زيت؟ قال: عندي زيت صافٍ كأنه الماء. فقال في نفسه، لمَ لا أشتري ماء حين يُضرب به المثل؟

فرجع إلى بيته، وأخذ صحيفة وملاًها ماء، وقدمها للضيف مع كسرات يابسة، وعرفه كيف جرى له. فقال الكوفي: أنا أشهد أنك بالاصلاح أحق من أهل الكوفة.

٤٩٤

### لن يعشق من يعشق نقده

كان أشعب يختلف إلى جارية في المدينة ويظهر لها التعاشق إلى أن سأله يوماً سُلْفَةً بنصف درهم، فانقطع عنها، وكان إذا لقيها في الطريق سلك طريقاً أخرى. فصنعت له نشوقاً<sup>(١)</sup> وأقبلت به إليه. فقال لها: ما هذا؟

قالت: نشوق عملته لك لهذا الفزع الذي بك، فقال: اشريه أنتٍ للطمع. فلو انقطع طمعك انقطع فزعي، وأنشأ يقول:

أخلفني ما شئت وعدي وامنحيني كلَّ صِدِّ  
قد سلا<sup>(٢)</sup> بعدك قلبي فاعشقي مَنْ شئت بعدي  
إنني آليت لا أع شقُّ مَنْ يعشق نقدي

٤٩٥

### يختصمان في رأس

قال عمر بن ميمون: مررتُ ببعض طرق الكوفة، فإذا أنا باثنين يختصمان، فقلت: ما بكما؟ فقال أحدهما: إن صديقاً زارني، فاشتبهى رأساً، فاشتريته وتغدينا، وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها، فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره ليوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس.

(١) نُشُوق: كل دواء يُشَقُّ عن طريق الأنف.

(٢) سلا: هجر.

### الحيلة الموفقة

قيل: إن جارية من جوارى الرشيد تمطت ولم تستطع أن تمد يدها، فلما أرادت أن تمد يدها لم تطق، وحصل فيها الورم، فصاحت وآلمها. فشق على الرشيد، وعجز الأطباء عن علاجها. فقال له طبيب حاذق: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل أجنبي غريب، فيخلو بها ويمرخصها<sup>(١)</sup> بدهن نعرفه. فأجابته الخليفة إلى ذلك رغبة في عافيتها. فأحضر الطبيب الرجل والداهن وقال: أريد من أمير المؤمنين أن يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن. فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل، وأضمر في نفسه قتل الرجل وقال للخادم: خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها. فعريت الجارية وأقيمت. فلما دخل عليها وقرب منها وسعى إليها وأوماً بيده إلى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التي كانت قد عطلت حركتها، ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي جسمها بانتشار الحرارة الغريزية، فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها.

فلما غطت فرجها قال لها الرجل: الحمد لله على العافية، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد وأعلمه بالخال وما اتفق. فقال الرشيد للرجل: فكيف تعمل في رجل نظر إلى حرمانا. فمد الطبيب يده إلى الحية الرجل فانتزعها فإذا هي ملصقة، وإذا الشخص جارية، وقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبذل حرمك للرجل، ولكن خشية أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية، فتبطل الحيلة، ولا يفيد العلاج، لأنني أردت أن أدخل على قلبها فزعاً شديداً ليحمي طبعها ويقودها إلى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في سائر أعضائها بهذه الوساطة، فسري<sup>(٢)</sup> عند الرشيد ما كان وقر في صدره من الرجل وأجزل عطيته.



(١) يمرخصها: يدهنها.

(٢) سري عنه: زال عنه ما كان يجده من الهم.



## مباراة في الكرم

عن عقّال بن صعصعة قال:

أجذبت بلاد تميم، وأصابني بني حنظلة سنة<sup>(١)</sup> في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب، فنحر ناقته فأطعمهم إياها، فلما وردت إبل سُحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقبل لغالب: إنما نحر سُحيم مواءمة لك - أي مساواة لك - فضحك غالب وقال:

كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف أنظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سُحيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فعقر غالب عشراً، فأطعمها بني يربوع، فعقر سُحيم عشراً، فلما بلغ غالباً فعله ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، فالكثير يقول: كانت أربعمئة، والمقل يقول كانت مائة فأمسك<sup>(٢)</sup> سُحيم حينئذ، ثم أنه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير. فخرج الناس بالزناجيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورأهم علي فقال: أيها الناس لا يحمل لكم، إنما أهل بها لغير الله عز وجل.

قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول: يا بني اردد عليّ، والفرزدق يردها عليه ويقول له: يا أبت أعقر.

قال جهم: فلم يُغن عن سُحيم فعله، ولم يجعل كغالب إذ لم يُطق فعله.

\*

(١) السنة: الجدب.

(٢) أمسك: امتنع وكفّ.

### أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم

عن يزيد بن حصين بن نمير قال:  
 أن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فناظر خالد يوماً وأراد  
 أن يقع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يا ابن الرطبة، فقال له خالد: إنك لأمي  
 مختبر، وأنت بهذا أعلم.  
 ثم أتى أمه فأخبرها، وقال: أنتِ صنعتِ بي هذا. فقالت له: دعه فإنه لا يقولها  
 لك بعد اليوم.  
 فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالد بشيء؟  
 فقالت: يا أمير المؤمنين، خالد أشدَّ تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك  
 وبينه.  
 فلما أُمسى وضعت مرفقة على وجهه وقعدت عليها وهي وجوارها حتى مات.

### ابنة عبد الملك والمحجوس

قال الوشاء:  
 خُبرت أن عبد الملك بن مروان وجد على بعض عماله فقيدته وحجسه في داره،  
 فأشرفت عليه ابنة لعبد الملك، فنظر إليها فأنشأت تقول:  
 أيها الرامي بالطرف فِ وفي الطرف الحثوفُ  
 إن تُردَّ وصلًا فقد أوَّ كُنك الظبيّ الألف  
 فأجابها الفتى، فقال:  
 إن تريني زاني العي نين فالفرجُ عفيفُ  
 ليس إلا النظر الفا تن والشعر الظريفُ

فأجابته الجارية :

قد أردناك على أن تعتنق طبيباً ألوفا  
فتأبيت فلا زدت لقيديك حليفا  
فداع الشعر، وبلغ عبد الملك، فدعا به فزوجه إياها، ودفعها إليه .



### علي بن أبي طالب والمؤذن

كان لعلي بن أبي طالب، عليه السلام، جارية تدخل وتخرج، وكان له مؤذن شاب، فكان إذا نظر إليها قال لها: أنا، والله، أحبك، فلما طال ذلك عليها أتت علياً فأخبرته فقال لها: إذا قال لك ذلك فقولي: أنا والله أحبك فماذا؟ فأعاد عليها الفتى قوله فقالت له: وأنا والله أحبك فماذا؟ فقال: تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فأعلمت علياً، فدعا به فزوجه منها ودفعها إليه .



### ما يكتب على الجبين والخذ ويطرف به ذوو الصبابة والوجد

قال الوشاء :

قرأت على جبين جارية لنخاس بالغالية، وقد أخرجها للعرض :

وشادن أحسن خلق الله في كفه سيف رسول الله  
قد كتب الحسن على وجهه سطرين بالعنبر باسم الله  
على يدي رضوان منسوجة صنعة حسن في طراز الله  
أنا غريق في بحار الهوى شبه قتيل في سبيل الله  
وقال الوشاء :

وأخبرني من رأى على جبين جارية نخّاسٍ مكتوباً في سطرين :

إذا حُجبت لم يكفك البدرُ فقدّها      وتكفيك فقد البدر إن حُجب البدرُ  
وحسبك من خمرِ تفوتك ريقها      ووالله ما من ريقها حسبك الخمرُ  
وقال علي بن الجهم : رأيت على خدّ جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران  
الكاتب مكتوباً بالمسك :

رضيتُ على رُغمي بحبك فاعدي      ولا تُسرفي إذ صار في يدك الحكمُ  
متى يظفر المظلوم منك بحقه      إذا كنتِ قاضيه وأنتِ له خصمُ  
قال المازني : كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية :

صرمتني ثم لا كلمتني أبداً      إن كنتِ ختُك في حالٍ من الحال  
ولا هممتُ ولا نفسي تحدّثني      قلبي بذاك ولا يجري على بالٍ  
وقال الجاحظ : كتبت مؤلف جارية الصخري على جبينها :

ومحسودةً بالحسن كالبدن وجهها      وأحاط عينيها تجورُ وتظلمُ  
ملكنت عليها طاعة الشوق والهوى      وعلمتها ما لم تكن منه تعلمُ

❖❖❖ ٥٠٢ ❖❖❖

### ابراهيم الموصلي في صفة سنوسج

قال ابراهيم بن الموصلي يصف سنوسج في حضرة المستكفي :

يا سائلي عن أطيّب الطعام      سألت عنه أبصر الأنام  
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر      فدقّه بالشحم غير مكثّر  
واطرح عليه بصلاً مدوراً      وكرنباً رطباً جنيّاً اخضراً  
والق السذاب بعده موفراً      وداره صيني وكفّ كزبراً  
وبعده شيء من القرنفل      وزنجبيلٍ صالح وفلفل  
وكفّ كمّونٍ وشيء من مري      وملء كفّين بملحٍ تدمر  
فدقّه يا سيّدي شديداً      ثم أوقد النار له وقوداً

واجعله في القدر وصبّ الماء  
 حتى إذا الماء فنى وقلأ  
 فلفه إن شئت في رقاق  
 أو شئت خذ جزءاً من العجين  
 فابسطه بالسويق مستديراً  
 وصبّ في الطابق زيتاً طيباً  
 وضعه في جامٍ له لطيف  
 وكله أكلاً طيباً بخردل  
 من فوقه واجعل له غطاء  
 ونشفته النار عنه كلاً  
 ثم احكم الأطراف بالإلحاق  
 معتدل التفريك مستلين  
 ثم اطفرن أطرافه تطفيرا  
 ثم أقله بالزيت قليلاً عجبا  
 ووسطه في خردلٍ حرّيف  
 فهو ألدّ المأكّل المعجل

٥٠٣

### باب ما وجد للمتظرفات والظراف مكتوباً على النعال والخفاف

قال الماردي : كتبت جارية للمارقي على نعلها بالذهب :

لم ألقَ ذا شجنٍ يبوح بحبه  
 حذراً عليك وإنني بك واثق  
 إلا حسبتك ذلك المحبوبا  
 أن لا ينال سواي منك نصيبا

وكان على نعل جارية سعيد الفارسي :

لا تأنفن من الخضوع لمن تحب  
 اخضع له فلطالما ملكت حلّ  
 وداره  
 إزاره

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خفّ لها رهاوي بذهب :

وإنني لإشفاقي عليك وصبوتي  
 تحذثني نفسي إذا غبت ساعة  
 إليك كأني في المنام أراكا  
 بأن لقاء الموت دون لقاءكا

وأهدى سعيد بن حميد نعلأ إلى صديق له وكتب عليها :

نعلٌ بعثت بها لتلبسها  
 لو كان يصلح أن أشركها  
 قدّم بها تسعى إلى المجد  
 خدّي جعلت شراكها خدّي

وأهدى بعض الكتاب نعلًا وكتب على شراكها:  
 لي فؤاد شَفَه الحزْ نَ وأُضْنَاهُ الصَّدُودُ  
 وهَوَايَ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ يَنْمِي وَيَزِيدُ  
 وأُهديت نعل من فُضَّة مكتوب عليها:  
 بأبي أنت سيّدي ومنايَ جعل الله والديّ فِداكا  
 لك خدي من الثرى لك نعلًا قَدْ لِنَعْل من فؤادي شِراكا

٥٠٤

### البلاغة

قيل ليوناني: ما البلاغة؟  
 قال: تصحيح الأقسام، واعتدال الكلام<sup>(١)</sup>.  
 وقيل لرومي: ما البلاغة؟  
 قال: حسن الاقتصاد عند البديهة والغزارة يوم الاطالة.  
 وقيل لفارسي: ما البلاغة؟  
 قال: معرفة الفصل من الوصل.  
 وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟  
 قال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خَطَل.

٥٠٥

### هذا رجل لُقِنَ حجّته

حدّث رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمرة قال: أخذ زياد رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخاً له فقال: إن جئت بأخيك عفوت عنك وإلاّ ضربت عنقك.

(١) في «البيان والتبيين» (١: ٨٨): واختيار الكلام.

قال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين، أخلي سبيله؟  
قال: نعم.

قال: أنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين: إبراهيم وموسى عليهما السلام ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى: أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup>.  
فقال زياد: خلّوا سبيله، هذا رجل لُقّن حجّته.

## ٥٠٦

### سمّوه العريان

قالوا:  
دخل مخنث على العريان بن الهيثم وهو أمير الكوفة فقال: يا عدو الله أتخنث وأنت شيخ؟  
فقال: مكذوب عليّ، كما هو مكذوب على الأمير - أعزّه الله - فاستوى الأمير جالساً.  
قال: وما قيل في؟  
قال: سمّوك العريان وأنت صاحب عشرين جُبّة.

## ٥٠٧

### من هذا يضحك

حكى أن رجلاً ضاف آخر، فانتبه صاحب الدار بالليل، فسمع ضحك الرجل من الغرفة فصاح به: فلان!!  
فقال: ليبيك.  
قال: أنت كنت في أسفل الدار فما الذي رقّاك إلى الغرفة؟

(١) سورة النجم: الآيتان ٣٧ - ٣٨.

قال: تدحرجت.

فقال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجت أنت؟  
قال: فمن هذا أضحك.

## ٥٠٨

### ما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

- من كثرت لحظاته دامت حسراته. ومن تداوى بدائه لم يصل إلى شفائه، ومن قدم هواه دام أساه.
- العقل عند الهوى أسير والشوق عليها أمير.
- إذا كثر الجفاء قلّ الوفاء.
- إذا صحّ الظفر وقعت الغيرة.
- إذا صحت القلوب اغتفرت الذنوب.
- قلّ من سلا إلا استفزه الهوى.
- من منع من النظر اقتصر على الأثر.
- من منع من الوصال قنع بالخيال.

## ٥٠٩

### محمد بن عبد الملك الزيات وبعض الجوّاري

كان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جوّاري القيّان، ثم تنكر لها فكتبت على خاتم لفظاً له تعرّض له فيه بالعتاب، فبلغه ذلك فكتب على خاتمه ضد ما كتبت، فبلغها، فمحت ما كان على خاتمها وكتبت ضد ما كتب، فبلغه ذلك فمحا ما كان على خاتمه وكتب ضد ذلك في أبيات يقول فيها:

كتبت على فصّ لخاتمها: مَنْ مَلَّ مِنْ أَحِبَّابِهِ رَقْدَا  
فكتبت في فصّي ليلغها: مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعَرْ بِمَنْ سَهْدَا  
فمحته واكتتبت ليلغني: مَا نَامَ مِنْ يَهُوى وَلَا هَجْدَا



فمحوته ثم اكتبْتُ: أنا والله أول مَيِّتٍ كمدَا  
قالت: يعارضني بخاتمه والله لا كلمته أبدا

٥١٠

### أفضل صفات المرأة

قيل لأعرابي: أحسن صفات النساء؟

قال: نعم.

قيل: فما أفضل صفات المرأة؟

قال: إذا سهل خذاها، ونهد ثديها، ولطف كفها، وعضّ ساعداها، وعرض  
وركها، والتفت فخذها، وعظم إلتها، وجدل ساقها، فتلك هي النفس  
ومناها.

٥١١

### نومي شتات وذهني تارات

قيل:

دخل عامر بن يزيد الكلابي على معاوية بن أبي سفيان بعدما أسنّ، فقال له

معاوية:

كيف أنت؟ وكيف نجدك، يا عمّ.

فقال له: يا ابن أخي: ابيضّ مني ما كنت أحبّ أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت

أحبّ أن يبيضّ. لأن مني ما كنت أحبّ أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحبّ أن

يلين. وثقلت على الأرض أقدامي، وقرب بعضي من بعض، فنومي شتات، وعيشي

رفات وذهني تارات.



### الأعرابي والعصاة

قيل:

لقي الحجاج يوماً اعرابياً فقال له: من أين أقبلت؟

قال: من البادية.

قال: وما في يدك؟

قال: عصاي أركزها لصلاتي، وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، واعتمد بها في مشيتي لتتسع خطوتي، وأثب بها النهر، وتؤمنني العثر. وألقي عليها كسائي فتقيني الحرّ، وتؤمنني القرّ، وتدني إليّ ما بُعد مني وهي محل سفرتي وعلاقة أدواتي.

أعصى بها عند الضراب، وأقرع بها الأبواب، وأتقي بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند مبارزة الأقران، ورثتها عن أبي، وأورثتها بعدي ابني، وأهشّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى كثيرة لا تحصى.

### الثقيل

قيل لجالينوس<sup>(١)</sup>: كم كان الرجل الثقيل أثقل من الجمل الميت؟

قال: لأن الجمل الميت ثقله على الأرض، والرجل الثقيل ثقله على القلب.

### إنّها ليست وثائق عليكم

ذكر أبو العباس الشيباني، قال:

لما مرض أبو دلف بالعلة التي مات فيها، أقام شهراً ملازماً الوسادة، فأفاق يوماً

(١) الخبر في «غرر الخصاص»، ص ٥٧، منسوب لارسطوطاليس.

فقال لخدمه بشر كم لي على هذا الحال؟

قال: شهراً.

فبكى وقال: أيمر علي من عمري شهر لا أبر فيه أحداً من الناس؟  
يا غلام، أخرج إلى الباب فإن قلبي يشهد أن بالباب قوماً لهم إلينا حوائج فلا تمنع أحداً من الدخول إلينا.

فخرج فإذا عشرة من آل أبي طالب، فأمرهم بالدخول فدخلوا فابتدر رجل منهم وقال: أصلحك الله! نحن قوم من بني أبي طالب، من أهل بيت رسول الله (ص) وفينا من ولده، وقد أحاطت بنا المصائب، وأجحفت بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسرنا، وتغني فقرنا فعجل.

فقال لخدمه: خذ بيدي واجلسني. ففعل.

فقال: ليأخذ كل واحد منكم ورقة ويكتب فيها بخطه أنه قبض مني مائة ألف درهم، فتحبروا عند ذلك، فلما كتبوا الرقاع، وصفوها بين يديه، فقال لخدمه: علي بالمال، فأحضره، فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم. فلما تسلموا المال قال له رجل منهم: بالآباء نفديك، وبالأمهات نقيك. والله ما لنا مال، ولا عقار، وخطوطنا عندك ما تصنع بها؟

فبكى وقال:

أتظنون أنها وثائق عليكم، لا، والله.

ثم قال لخدمه: إذا أنا مت فاجعل هذه الرقاع في ألفافي ألقى بها محمداً (ص) في عَرَصات القيامة.

ثم قال له: أوصل لكل واحد منهم ألف دينار لنفقة طريقه. انصرفوا ببارك الله فيكم.

٥١٥

### الحسن والعجوز

حدث أبو الحسن المدائني قال:

خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجاً فسبقتهم

القافلة، وفاتهم أثقالهم فجاعوا، فمروا بعجوز في خباتها فقالوا لها: هل من شراب؟  
فقلت: نعم، فأناخوا بها، وليس لها إلا شوية واحدة، فقامت وحلبت الشاة،  
وأنتهم بلبنها فشربوا فقالوا: هل من طعام تحيينا به؟

فقلت: أذنتُ لكم أن تذبحوا هذه الشاة، فما عندي سواها، فقام إليها  
أحدهم فذبحها وقطعها، فهيات لهم العجوز منها طعاماً، فأكلوا وأقاموا حتى  
أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: إنا قوم من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا لمي بنا  
فإننا صانعون لك خيراً - إن شاء الله - ثم ارتحلوا.

وجاء زوج المرأة فأخبرته خبر القوم وما قالوا لها، فغضب وقال: ويحك!  
أتذبحين شاة ما لنا سواها لقوم لم نعرفهم؟

ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجعل يبيعان البعر  
ويعيشان بثمنه، فمرت العجوز في بعض طرق المدينة وإذا الحسن على باب داره  
فعرف العجوز ولم تعرفه، فبعث إليها غلامه فدعاها إليه فقال لها: يا أمة الله هل  
تعرفيني؟

قالت: لا.

قال: أنا أحد ضيوفك يوم صنعت الشاة.

قالت: بأبي أنت وأمي.

فأمر أن يشتري لها من غنم الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها مع  
غلامه إلى أخيه الحسين فدفع لها ألف شاة وألف دينار ثم بعث بها إلى عبد الله بن  
جعفر فقال: بكم وصلك الحسن والحسين؟

قالت: بألفي شاة وألفي دينار.

قال: لو بدأت بي لأتبعتهما ثم دفع لها ألفي دينار فرجعت العجوز لزوجها بالمال  
والأغنام.



## أخبار الكرم

\* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): إذا كان امرؤكم خياركم، واغنياؤكم سمحاءكم. وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أمرؤكم شراركم، واغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها.

\* وقال ابن عباس رضي الله عنهما: شيب الرجل من مقدم رأسه من الكرم، وفي قفاه من اللؤم.

\* وقال عبد الله بن عمير: اللئيم لا تنفع عنده معرفة إلا عن رغبة أو رهبة.

\* وقال ابراهيم بن أدهم:

بخلت بالدنيا على أصدقائك، وسخوت بآخرتك على أعدائك فلا أنت بما  
بخلت به معذور، ولا بما سمحت به محمود، وأنشد شعراً:

من أظهر الاحسان من فعله      وعمّ بالفضل جميع الأنام  
ازدحم الناس على بابه      والمنهل العذب كثير الزحام

قال: وورث عبد الملك بن الجَزّ خمسين ألفاً فبعث بها إلى إخوانه صُراً وقال:  
كنت أسأل لآخواني في صلاتي الجنة، أفأبخل عليهم اليوم بالدنيا؟

\* وقال ابن سيرين: كان أصحابنا يتهادون الدراهم في الجوالقات وعلى  
الأطباق.

\* وقيل: كانت خالة حاتم الطائي سخية لا تترك شيئاً إلا جادت به. فحضر  
عليها أخوتها حتى ضاقت طعم الفقر والجوع، فظنوا أنها قد وجدت ألم الضيق  
فأطلقوها، ودفعوا لها صرة فيها مال، فأتتها سائلة فقالت: دونك الصرة، لقد عطني  
الجوع فلا أمنع بعده سائلاً أبداً.

\*

### تَحَبُّ مُحَمَّدَ بْنِ الْقَاسِمِ

يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، مرَّ طائفاً بالمدينة في خلافته، وإذا بجارية تبكي وتقول:

وهويته من قبل قطع ثائمي متناسباً مثل القضيب الناعم  
وكأن نور البدر يشبه وجهه يمشي ويصعد في ذؤابة هاشم  
ففرع أبو بكر رضي الله عنه الباب، فخرجت إليه، فقال: أحرّة أنت أم أمة؟  
قالت: أمة.

قالت: مَنْ هويت؟  
فبكت وقالت: سألتك بالله إلا انصرفت عني.  
قال: لا بدّ.

فقالت:

وأنا الذي قدح الفراق بقلبيها فبكت لحبّ محمد بن القاسم  
فسار أبو بكر رضي الله عنه إلى المسجد، وبعث إلى مولاه فاشتراها منه وبعث  
بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

### رَأْيُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِالزَّوْاجِ

قال رجل للإمام الحسن بن علي عليه السلام:

إن لي بنتاً فمن ترى أزوّجها؟

فأجابه:

زوّجها لمن يتقي الله، فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقيل له:

فلان خطب إلينا فلانة. فسألهم:

أهو موسر من عقل ودين؟

قالوا: نعم.

قال: إذن فزوجه.

٥١٩

### بكاء وكأس كيف يتفقان؟

قال مسلم بن الوليد يرثي زوجته، وقد حاول بعضهم أن يسليه، فقدّم له الشراب فامتنع وقال:

سبيلهما في القلب مختلفان	بكاء وكأس كيف يتفقان
أرى اليوم فيه غير ما تريان	دعاني وافراط البكاء فإنني
وتصطفق الأحشاء بالخفقان	فما الحزن حتى تنزف العين ماءها
وسهما في القلب يعتلجان	وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- ١ - ابن خلكان: «وفيات الأعيان»، دار صادر، بيروت.
- ٢ - الثعالبي: «اليتيمة».
- ٣ - ابن طيفور: «تاريخ بغداد»، سويسرا، ١٩٠٨.
- ٤ - الجاحظ: «كتاب الحيوان».
- ٥ - الجاحظ: «كتاب البخل».
- ٦ - أبو الفرج الأصبهاني: «الأغاني»، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧ - المقري: «المختار من نوادر الأخبار».
- ٨ - الكتبي: «فوات الأفيات».
- ٩ - «تاريخ الطبري».
- ١٠ - «كنايات الجرجاني».
- ١١ - «الهفوات النادرة».
- ١٢ - «الكامل».
- ١٣ - التبريزي: «شرح التبريزي».
- ١٤ - «المعارف».
- ١٥ - «ابن رسته».
- ١٦ - «الروض الأنف».
- ١٧ - «تاريخ ابن عساكر».
- ١٨ - الصفدي: «الوافي بالوفيات».
- ١٩ - «أخبار الوزراء».
- ٢٠ - «الغيث المنسجم».
- ٢١ - المسعودي: «مروج الذهب».
- ٢٢ - «شروح السقت».
- ٢٣ - «الجزوة».
- ٢٤ - «طبقات ابن المعتز».
- ٢٥ - عبد الأمير مهنا: «ديوان ابن الرومي»، دار الهلال، بيروت.
- ٢٦ - التيفاشي: «سرور النفس».
- ٢٧ - «الهدايا والتحف».
- ٢٨ - «سيرة عمر».
- ٢٩ - الأبيهي: «المستطرف».
- ٣٠ - «بلاغات النساء».
- ٣١ - «سيرة ابن هشام».
- ٣٢ - «شعراء عباسيون».
- ٣٣ - «درة الغواص».
- ٣٤ - الزوزني: «شرح المعلقات السبع».
- ٣٥ - الميداني: «مجمع الأمثال».
- ٣٦ - ياقوت الحموي: «معجم البلدان».
- ٣٧ - ابن عبد ربه: «العقد الفريد».
- ٣٨ - «إعلام الناس بما وقع للبرامكة».
- ٣٩ - «طبقات السبكي».
- ٤٠ - «عيون الأخبار»، دار الكتب.
- ٤١ - ابن الجوزي: «ذم الهوى».
- ٤٢ - ابن قيم الجوزية: «أخبار النساء».
- ٤٣ - ابن عبد البر: «بهجة المجالس».
- ٤٤ - عيسى: «لطائف النساء».
- ٤٥ - «حدائق الأزاهر».
- ٤٦ - التنوخي: «المستجد».



- |                                   |                                  |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ٤٧ - ابن منقذ: «لباب الآداب».     | ٥٦ - ابن حجة: «ثمرات الأوراق».   |
| ٤٨ - الدميري: «حياة الحيوان».     | ٥٧ - المحاسن والأضداد».          |
| ٤٩ - الشهابي: «الغرر».            | ٥٨ - الميداني: «مجمع الأمثال».   |
| ٥٠ - ابن الجوزي: «أنخبار الحمقى». | ٥٩ - «شرح ديوان ابن أبي الحديد». |
| ٥١ - ابن عاصم: «الحدائق».         | ٦٠ - عبد النبي: «المختار».       |
| ٥٢ - العاملي: «المخلاة».          | ٦١ - الخطيب: «متعة الأديب».      |
| ٥٣ - محمد قره علي: «سنابل الزمن». | ٦٢ - التيفاشي: «سرور النفس».     |
| ٥٤ - «الموشى».                    | ٦٣ - «ديوان الصنوبري».           |
| ٥٥ - محمد قره علي: «الضاحكون».    | ٦٤ - ابن سريرة: «التحفة السنية». |

\* \* \*

## فهرس الطرائف ومصا درها

١	ذات الحمار الأسود (وفيات الأعيان، ٤ : ١٦١) ..... صفحة ٧
٢	الملوك والخلفاء لا يؤاكلها خدمها (تاريخ بغداد، ٣٢١) .....
٣	لا يكبر الرجل عن ثلاث: تواضعه لسلطانه ووالده ومعلمه العلم (وفيات الأعيان، ٦ : ١٧٩) .....
٤	نوادير جاحظية (كتاب الحيوان) .....
٥	من شعر الرجال أم النساء؟ .....
٦	بين عمر وعلي .....
٧	عثرة القول وعثرة الرجل (وفيات الأعيان، ٦ : ٣٩٩) .....
٨	بشار إن حكى (الأغاني: ٣ : ١٥٢ - ١٥٣) .....
٩	قامت القيامة (الأغاني) .....
١٠	ما أكثر أسئلته (الأغاني، ٣ : ١٥٧) .....
١١	بشار إذا تغزل (الأغاني، ٣ : ١٥٩) .....
١٢	أغزل بيت قاله المولدون (الأغاني، ١ : ١٩٧) .....
١٣	أفحمته (الأغاني، ١ : ١٩٧) .....
١٤	كيف مات بشار؟ (الأغاني، ١ : ٢٤١) .....
١٥	لا مرحباً بكما (وفيات الأعيان، ٢ : ٢١٣) .....
١٦	لماذا مرّ تسنيم في تلك اللحظة؟ (الأغاني، ٣ : ١٦٧) .....
١٧	أعطيتك العامرة والغامرة (الأغاني، ١٠ : ٢٨٣) .....
١٨	أيقاتله دون ثار؟! (الأغاني، ١٠ : ٢٩٠) .....
١٩	تخلص ببلاغته وحسن اعتذاره (المختار من نوادر الأخبار، ١٢٧) .....
٢٠	هي التي فعلتها (فوات الوفيات، ١ : ٣٩٧) .....
٢١	سيبويه والكسائي (وفيات الأعيان، ٣ : ٤٦٤) .....
٢٢	بشار المرهف الإحساس (وفيات الأعيان، ١ : ٤٢١) .....
٢٣	أتراهم سرقوها؟! (وفيات الأعيان، ١ : ٤٢٤) .....
٢٤	لا يريد تفسير الثلاثة (وفيات الأعيان، ١ : ٤٢٥) .....

٢٥	خير له من الرّفص	٢٨	صفحة
٢٦	لا تصلّق حتى ترى (وفيات الأعيان، ١ : ٤٢٦)	٢٨	
٢٧	باع داره وأعطى ثمنها للبحري (وفيات الأعيان، ٦ : ٢٦)	٢٨	
٢٨	وكما تراني يا جميل أراك (فوات الوفيات، ١ : ٤٠٣)	٢٩	
٢٩	أخرجت أصعب ما في الجراب (الأغاني، ٦ : ٣٥٢)	٣١	
٣٠	أبو معشر المنجم (وفيات الأعيان، ١ : ٣٥٨)	٣٢	
٣١	الضحّاك يهوى الضرب (فوات الوفيات، ١ : ٣٥٣)	٣٣	
٣٢	أهم أكرم وأعجب فعلاً؟! (الأغاني)	٣٤	
٣٣	المال لا يؤكل بعينه (فوات الوفيات، ١ : ٣٠٧)	٣٦	
٣٤	زواج بوران (فوات الوفيات، ١ : ٢٨٧)	٣٧	
٣٥	لكل جواد كبة (وفيات الأعيان، ١ : ٢٥١)	٣٨	
٣٦	الأعرابي والامام (التحفة السنية، ٩)	٤٥	
٣٧	عليّ بن أبي طالب وشريح واليهودي (الأغاني، ١٧ : ٢١٩)	٤٥	
٣٨	ردّوا إليه عشرين ألف درهم (فوات الوفيات، ٤ : ١٧٧)	٤٦	
٣٩	تضعيف رقعة الشطرنج (وفيات الأعيان، ٤ : ١٧٧)	٤٨	
٤٠	ابن السراج ينظم وابن طاهر يقبض (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٤٠)	٤٩	
٤١	المودة وبطلان التكاليف (وفيات الأعيان، ١ : ٤٨)	٤٩	
٤٢	افتدى نفسه منه على ١٠٠ ألف درهم (وفيات الأعيان، ٦ : ١٨٥)	٥٠	
٤٣	عمر أول من دعي أمير المؤمنين (وفيات الأعيان، ٦ : ١٠٤)	٥١	
٤٤	بين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم	٥٢	
٤٥	نتيجة الأمر والإكراه (وفيات الأعيان، ١ : ٥٢)	٥٢	
٤٦	أريجّة ابن أبي دؤاد (وفيات الأعيان، ١ : ٨٣)	٥٣	
٤٧	حيلة أبي دلامة وأم دلامة (الأغاني، ١٠ : ٣٠٣)	٥٥	
٤٨	أبو دلامة يهجو نفسه (الأغاني، ١٠ : ٣٠٦)	٥٦	
٤٩	جمع بين المصلحتين وتحمل الغرم (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٢٥)	٥٦	
٥٠	بيت من الشعر بـ ٣٠٠ ألف درهم (الأغاني)	٥٧	
٥١	أعطاه شراحيل قنطاراً من الذهب (وفيات الأعيان، ٥ : ١٩١)	٥٨	
٥٢	الأب كريم والابن أكرم (وفيات الأعيان، ٥ : ١٩٢)	٥٨	
٥٣	نصيب اليتامى في وصية الخطيئة (الأغاني، ٢ : ١٨٨)	٥٩	

٥٤	مرهباً بك مرهباً (شرح التبريزي، ٢ : ١٥١، الحماسة) ..... صفحة ٦٠
٥٥	ظننتك تستفهم (الأغاني، ٤ : ٢٧٨) ..... ٦١
٥٦	خلقه ليذل به الجبابرة (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٥٥) ..... ٦٢
٥٧	يا قصر ..... ٦٢
٥٨	كثرة الشموس وشدة الظلمة (وفيات الأعيان، ٧ : ٤٥) ..... ٦٤
٥٩	صحيفة المتلمس (وفيات الأعيان : ٦ : ٩٢) ..... ٦٤
٦٠	المحمدون الثلاثة (وفيات الأعيان، ٦ : ٩٨) ..... ٦٥
٦١	كرم يزيد بن المهلب وسخاؤه (تاريخ ابن عساكر / وفيات الأعيان، ٦ : ٢٧٩) ..... ٦٥
٦٢	إشتر نفسك ثم عُد إلينا (الوفاي بالوفيات، ٤ : ١٩٧) ..... ٦٧
٦٣	عشرون سنة من الحب العفيف (فوات الوفيات، ١ : ٣٧٠) ..... ٦٩
٦٤	لم يسلم من لسان شريف (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٤٠) ..... ٦٩
٦٥	بقيت «الطاء» وبقي «لوط» (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٤٢) ..... ٧٠
٦٦	كان من أمرهم ما قد ذكر (وفيات الأعيان، ١ : ٤٠٥) ..... ٧٠
٦٧	كذا فلتكن مفاكهة الأدباء (وفيات الأعيان، ١ : ٤١٣) ..... ٧٢
٦٨	إذا قُم ..... ٧٢
٦٩	خجل وانقطع عن المجلس ..... ٧٢
٧٠	أخجله ثلاثة فقط (وفيات الأعيان، ١ : ٤١٦) ..... ٧٣
٧١	هديته أملح من كل الهدايا (وفيات الأعيان، ١ : ٤١٠) ..... ٧٣
٧٢	٣٦٠ يوماً على ٣٦٠ جارية (وفيات الأعيان، ١ : ١٧٧) ..... ٧٤
٧٣	القاضي إياس الفطن الذكي (وفيات الأعيان، ١ : ٢٤٨) ..... ٧٥
٧٤	من أجل هذا نكب الرشيد البرامكة؟؟ ..... ٧٦
٧٥	كيف مات جعفر البرمكي؟ ..... ٧٨
٧٦	كيف مات الفضل بن يحيى البرمكي؟ (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٣) ..... ٨٢
٧٧	الفضل كثير البر بابيه (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٦) ..... ٨٤
٧٨	يا يزيد بن مزيد (الأغاني. وفيات الأعيان، ٦ : ٣٣٧) ..... ٨٤
٧٩	أحقيقة أم نسج خيال؟ (المختار من نوادر الأخبار) ..... ٨٥
٨٠	كذب عليه فحبسه في المطبق (وفيات الأعيان، ٧ : ٢٣) ..... ٨٧
٨١	هو أجود منه وقد ابتلعت الأرض (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٤٥) ..... ٨٩

٨٢	ما ترك لربّه شيئاً (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٤٧) ..... صفحة ٩٠
٨٣	أول مائة ألف أعطيها شاعر (الأغاني، ١٠ : ٩١) ..... ٩١
٨٤	لنقل كتبه يحتاج إلى أربعمئة جمل (وفيات الأعيان، ١ : ٢٣٠ - ٢٣٢) ... ٩٢
٨٥	هل طار الخليفة عن عرشه؟ (وفيات الأعيان، ١ : ٢٢٢) ..... ٩٢
٨٦	حبسه المنصور مع الدجاج (الأغاني، ١٠ : ٢٩٩) ..... ٩٤
٨٧	الذية أو التشهير (الأغاني، ١٩ : ١٥٤) ..... ٩٦
٨٨	أشعب يرضع جدياً لبن زوجته (الأغاني، ١٩ : ١٥٩) ..... ٩٦
٨٩	أراد أن يسلم عليه فأخذه القولنج (الأغاني، ١٩ : ١٦٣) ..... ٩٧
٩٠	تقويم أشعب (الأغاني، ١٩ : ١٩٤) ..... ٩٧
٩١	اشتبهى كبده (الأغاني، ١٩ : ١٩٤) ..... ٩٩
٩٢	كن في زيارته كالشمس (وفيات الأعيان، ١ : ٢١٦) ..... ١٠٠
٩٣	قطعوا رجله والوليد غير مكترث (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٥٥) ..... ١٠١
٩٤	المستحمة ..... ١٠٢
٩٥	سبق السيف العذل ..... ١٠٣
٩٦	نظنّه لم يقتنع (الأغاني، ٣ : ٢٢٨) ..... ١٠٣
٩٧	الفصاحة عند العرب ..... ١٠٤
٩٨	هكذا عطاسه (الأغاني، ٣ : ٤٩) ..... ١٠٥
٩٩	وَلَوْ... (الأغاني، ٣ : ١٥٥) ..... ١٠٦
١٠٠	الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب (الأغاني، ٣ : ٢٨٨) ..... ١٠٦
١٠١	كان المنع لفضالة المعروف (تاريخ بغداد، ٣ : ٤ / وفيات الأعيان، ٦ : ٢٢٤) ..... ١٠٦
١٠٢	المناقب لذي المنقبتين (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٣٢) ..... ١٠٨
١٠٣	أحلى ما قرأت من شعر (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٣٤) ..... ١٠٩
١٠٤	إن كان سَلَمَةً وصيفاً فهذا مُهر (الأغاني، ١٠ : ٣٢٠) ..... ١١٠
١٠٥	قال كلٌ منهما: أنا (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٣١) ..... ١١٠
١٠٦	استبقى اثنين وقتل الثالث (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٣٠) ..... ١١١
١٠٧	من أخبار ديك الجنّ (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٣٠) ..... ١١٢
١٠٨	سليمان بن عبد الملك الأكل (وفيات الأعيان، ٣ : ١٧٤) ..... ١١٣
١٠٩	أرادت زيارته في الليل (وفيات الأعيان، ٣ : ١٦١) ..... ١١٣

١١٠	هدمه لأنه موضع شؤم (وفيات الأعيان، ٣ : ١٦٥) ..... صفحة ١١٤
١١١	لغز ابن الجوزي (وفيات الأعيان، ٣ : ١٤١) ..... ١١٤
١١٢	«تدمر» سبب زوال ملكه (وفيات الأعيان، ٣ : ١٥٢) ..... ١١٥
١١٣	اعتبروا (وفيات الأعيان، ٣ : ٦٥) ..... ١١٦
١١٤	عنقاء مغرب (وفيات الأعيان، ٣ : ١٠١) ..... ١١٦
١١٥	الفرق شاسع بين عطاء اليقين وعطاء التجربة (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٧) ..... ١١٧
١١٦	أربعة لا أقدر على مكافأتهم (وفيات الأعيان، ٣ : ٦٣) ..... ١١٧
١١٧	لا يرضاه لها (وفيات الأعيان، ٣ : ٦٤) ..... ١١٨
١١٨	لم يأذن له بأكله (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٢) ..... ١١٨
١١٩	سألوا حاجتهم فأجيب (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٠) ..... ١١٩
١٢٠	الرسول (ص) إذا مزح (فوات الوفيات، ٣ : ١٦) ..... ١٢٠
١٢١	ألا يكفي يوم الحمل؟ (فوات الوفيات، ٣ : ١٦) ..... ١٢٠
١٢٢	ما أراد الأمثلة (وفيات الأعيان، ٣ : ١٤) ..... ١٢٠
١٢٣	أمنت عندنا يا شعبي ..... ١٢١
١٢٤	أيلحن الأمير ويعرب هو؟! ..... ١٢٤
١٢٥	ابرزها ترَ قمرا (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٢) ..... ١٢٥
١٢٦	قدمه لبنتين قاهما ولشاعريته (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٥) ..... ١٢٣
١٢٧	كلنا يبكي على سكنه (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٦) ..... ١٢٤
١٢٨	استظرف رسالته فأجازه (وفيات الأعيان، ٦ : ٢٢٦) ..... ١٢٥
١٢٩	في الكنيف (وفيات الأعيان، ١ : ٢٠٦) ..... ١٢٦
١٣٠	يا قاطعي : لمن نويت بعدي أن تصل (الأغاني، ١٠ : ٢١١) ..... ١٢٧
١٣١	مكرمة أحمد بن أبي دؤاد (المختار من نوادر الأخبار، ١٠٠) ..... ١٢٨
١٣٢	أنت في غيره دون سائر أهله (وفيات الأعيان، ١ : ٢٠٢ - ٢٠٣) ..... ١٣٠
١٣٣	يشكو تلون أهل ودّه (وفيات الأعيان، ١ : ١٩٧ - ١٩٨) ..... ١٣١
١٣٤	يا هذا دعائي غير مُستجاب (وفيات الأعيان، ١ : ١٩٤) ..... ١٣١
١٣٥	أتقته من دمٍ بدمٍ (وفيات الأعيان، ١ : ٥٠) ..... ١٣٢
١٣٦	الخفاف بدل الجعاب (وفيات الأعيان، ١ : ٣٥١) ..... ١٣٣
١٣٧	إنقطع حسّه ومات (وفيات الأعيان، ١ : ٣١٧) ..... ١٣٦
١٣٨	المقنع الخراساني (وفيات الأعيان، ٤ : ٢٥٧) ..... ١٣٧

١٣٨	أبو الحسن العسكري (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٧٢) ..... صفحة	١٣٩
١٣٩	الكسائي (وفيات الأعيان، ٣ : ٢٩٥) .....	١٤٠
١٤٠	إرادة الله أقوى (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٣٨) .....	١٤١
١٤١	نعرف من عفا عن عمه (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٢٩) .....	١٤٢
١٤١	العكوك الذي أخرجوا لسانه من قفاه (وفيات الأعيان، ٣ : ٣٥١) .....	١٤٣
١٤٣	تطير ابن الرومي (وفيات الأعيان ٣ : ٣٦١) .....	١٤٤
١٤٤	ما طريقه على النار (مقدمتنا في «ديوان ابن الرومي») .....	١٤٥
١٤٥	قواتل الأحداق (وفيات الأعيان، ٤ : ٢٦١) .....	١٤٦
١٤٥	العاذل الجائر (وفيات الأعيان ٣ : ٤١٧) .....	١٤٧
١٤٦	الجاحظ ومحمد بن ابراهيم (وفيات الأعيان، ٣ : ٤٧٣) .....	١٤٨
١٤٨	خلع له يده وتحير في أمره (وفيات الأعيان، ٦ : ٢٦٩) .....	١٤٩
١٤٨	أمر للجند وللكتاب معاً (وفيات الأعيان، ٣ : ٤٧٨) .....	١٥٠
١٤٩	من عجائب الاتفاقات (وفيات الأعيان، ٣ : ٥٠٦) .....	١٥١
١٥٠	اسمه غازي (وفيات الأعيان، ٤ : ٦) .....	١٥٢
١٥٠	تذوق الموت قبل أن تذوقه (وفيات الأعيان، ٤ : ١٢) .....	١٥٣
١٥١	يحيى البرمكي وابنه الفضل (وفيات الأعيان، ٤ : ٢٨) .....	١٥٤
١٥٢	تعلم من عبارة الكرم والتيه (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٠) .....	١٥٥
١٥٤	من فضائل الفضل بن يحيى (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٢) .....	١٥٦
١٥٥	لو طابت لأولئك لطابت لي (وفيات الأعيان، ٤ : ١٠٨) .....	١٥٧
١٥٦	ام البنين وعزة الميلاء (وفيات الأعيان، ٤ : ١٠٨) .....	١٥٨
١٥٦	العتابي والمأمون وإسحاق الموصلي (وفيات الأعيان، ٤ : ١٢٣) .....	١٥٩
١٥٧	القليل محمود (وفيات الأعيان، ٤ : ١٢٤) .....	١٦٠
١٥٨	اشترينا لسانه وقبلنا هديته (فوات الوفيات، ٣ : ٢٠١) .....	١٦١
١٥٨	باعه عرضه برغيف (فوات الوفيات، ٤ : ١٤١) .....	١٦٢
١٥٩	المعتصم ذلك المثلث القوي (فوات الوفيات، ٤ : ٤٨) .....	١٦٣
١٥٩	لم تنزل بالرُّها (فوات الوفيات، ٤ : ٤٨) .....	١٦٤
١٦٠	ما وجدت تاريخاً غيره؟! (فوات الوفيات، ٣ : ٦٢) .....	١٦٥
١٦٠	أتوب ولا أعود (فوات الوفيات، ٣ : ٦٢) .....	١٦٦
١٦١	كافور الأخشيدي وابن جبار (وفيات الأعيان، ٤ : ١٠٣) .....	١٦٧

١٦٨	أتريد أن يكون عسكريك العشرين؟! (الأغاني، ١٠ : ٢٨٨) ..... صفحة	١٦٣
١٦٩	يريد أن يلقي بها رسول الله (ص) (وفيات الأعيان، ٤ : ٧٧) .....	١٦٥
١٧٠	سلي أخاك حماداً (وفيات الأعيان، ٤ : ١٨٠) .....	١٦٥
١٧١	البخاري العالم بالحديث (وفيات الأعيان، ٤ : ١٨٩) .....	١٦٧
١٧٢	وقف حمار الشيخ في العقبة (وفيات الأعيان، ٤ : ٢٦٧) .....	١٦٨
١٧٣	هل الرشيد من أهل الجنة؟ (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٠٢) .....	١٦٩
١٧٤	إجعل حماري في ضيافة مهرك (وفيات الأعيان، ٥ : ٣٨١) .....	١٦٩
١٧٥	الأبله (وفيات الأعيان، ٥ : ٣٨٠) .....	١٧٠
١٧٦	هذا من معرفة علم النجوم (وفيات الأعيان، ٥ : ٣٤٣) .....	١٧١
١٧٧	تفل على رجل عبد الملك فشفي (الأغاني، ١٥ : ١٦٩) .....	١٧٢
١٧٨	الانتحار ولا العار (الأغاني، ١٧ : ١٨٧) .....	١٧٣
١٧٩	طلبت عائشة ناراً فجاءها بها بعد سنة (الأغاني، ١٧ : ٢٨٠) .....	١٧٤
١٨٠	الحارث المتشدد في أمر الدين (الأغاني، ٣ : ٣١٤) .....	١٧٤
١٨١	لغز (وفيات الأعيان، ٦ : ٢٥٥) .....	١٧٥
١٨٢	قضى حاجته بعد توقيع الغدير (وفيات الأعيان، ٦ : ١٠٢) .....	١٧٨
١٨٣	تمأ أوصي به عمر بن عبد العزيز (المختار من نوادر الأخبار، ٢٤٥ / سيرة	
	عمر، ٩٧) .....	١٧٩
١٨٤	ما أخطأ من جعلك سيداً (المختار من نوادر الأخبار، ١٢٢) .....	١٨٠
١٨٥	أعطاه البعير بما عليه (المختار من نوادر الأخبار، ٦٩) .....	١٨٠
١٨٦	إدخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (المختار من نوادر الأخبار، ١٢٣) .....	١٨١
١٨٧	حديث الكرم والمروءة (المختار من نوادر الأخبار، ٧٧) .....	١٨١
١٨٨	إنّ مثلك لا يؤذي (المختار من نوادر الأخبار، ١٢٠) .....	١٨٣
١٨٩	الأرض والعبيد ملكك (المختار من نوادر الأخبار، ١٢١) .....	١٨٣
١٩٠	اعتقه ووهب له النخيل (المستطرف، ٢ : ٣٦) .....	١٨٤
١٩١	أعلمهم أنّ المال والدار لهم (المختار من نوادر الأخبار، ٧٢) .....	١٨٥
١٩٢	من معجزات النبي (ص) (بلاغات النساء، ٤٣ / المختار، ٤٩ / سيرة ابن	
	هشام، ٣ : ٨٧) .....	١٨٥
١٩٣	أشدّ البلاء أمر اللؤماء على الكرماء (المختار من نوادر الأخبار، ٥٧) .....	١٨٦
١٩٤	لا تظلمهم أيها الأمير (الأغاني، ٣ : ٣٠٤) .....	١٨٦



١٩٥	كانت أشد ذكاء من بشار (الأغاني، ٣ : ٢٣١) ..... صفحة ١٨٧
١٩٦	لو سمع بالشعر ما قطعها (وفيات الوفيات، ٤ : ١٤٧) ..... ١٨٨
١٩٧	ما ذنبي أنا؟ (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٤٤) ..... ١٨٨
١٩٨	تطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم ..... ١٨٩
١٩٩	نبشوا القبور وأحرقوا بقاياها (مروج الذهب، ٣ : ٢١٩ / وفيات الأعيان، ١٠٩ : ٦) ..... ١٩٠
٢٠٠	بات ليلته متعجباً (وفيات الأعيان، ٦ : ١٠٧) ..... ١٩١
٢٠١	إنهم يقولون ما لا يفعلون (وفيات الأعيان، ٦ : ١١٢) ..... ١٩٣
٢٠٢	الحرف بـ ٨٠ ألف درهم (وفيات الأعيان، ٥ : ٣٩٨) ..... ١٩٤
٢٠٣	أضاعه فوجده فردّه (وفيات الأعيان، ٥ : ٤١٠) ..... ١٩٦
٢٠٤	خلّصه وخلّص نفسه (وفيات الأعيان، ٥ : ٤١١) ..... ١٩٧
٢٠٥	هذا أبو حنيفة (وفيات الأعيان، ٥ : ٤١٣) ..... ١٩٧
٢٠٦	الدهاء والفطنة (وفيات الأعيان، ٦ : ١٥١) ..... ١٩٨
٢٠٧	لماذا يسمى الروم «بنو الأصفر» (وفيات الأعيان، ٦ : ١٢٦) ..... ١٩٨
٢٠٨	المذاكرة أعجب من الصلة (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٤٩) ..... ١٩٩
٢٠٩	أريحية أهل الخير والمعروف (وفيات الأعيان، ٤ : ٣٤٩) ..... ٢٠٠
٢١٠	لقمان ولبد (وفيات الأعيان) ..... ٢٠٠
٢١١	المستنصر وأيام الغلاء (وفيات الأعيان، ٥ : ٢٣٠) ..... ٢٠١
٢١٢	العجب وحسن الإتفاق (وفيات الأعيان، ٤ : ١٨٠) ..... ٢٠١
٢١٣	يريد فروة من صفاتها: كذا... (وفيات الأعيان، ٤ : ٤٧٢) ..... ٢٠٣
٢١٤	الدنيا تنتقل من قوم إلى قوم (وفيات الأعيان، ٥ : ١٠٠) ..... ٢٠٤
٢١٥	قتلوه ودفنوا أعضائه في كل اتجاه (وفيات الأعيان، ٥ : ١٥٨) ..... ٢٠٦
٢١٦	الرازي ذلك الطبيب الماهر (وفيات الأعيان، ٥ : ١٥٨) ..... ٢٠٦
٢١٧	هل هذه صلاة أبي حنيفة؟ (وفيات الأعيان، ٥ : ١٨٠) ..... ٢٠٧
٢١٨	معذور بما صنع (وفيات الأعيان، ٦ : ١٩٩) ..... ٢٠٨
٢١٩	قطع الله يديك ورجليك (كتاب الحيوان / وفيات الأعيان) ..... ٢٠٩
٢٢٠	عنيزة صاحبة امرئ القيس (شرح المعلقات السبع) ..... ٢١٠
٢٢١	معاوية أدهى (وفيات الأعيان) ..... ٢١١
٢٢٢	ليلي الأخيلية وتوبة (الأغاني) ..... ٢١١

٢٢٣	ما معنى أن نقول: رجع بخفي حنين؟ (مجمع الأمثال) ..... صفحة ٢١٢
٢٢٤	ما معنى أن نقول: إن وراء الأكمة ما وراءها؟ (مجمع الأمثال) ..... ٢١٣
٢٢٥	ما معنى أن نقول: جزاء سيّار؟ (مجمع الأمثال / معجم البلدان) ..... ٢١٣
٢٢٦	لقد أخرجتني (الأغاني) ..... ٢١٣
٢٢٧	سرّ دموع التماسيح (مروج الذهب) ..... ٢١٤
٢٢٨	بخلاء العرب وأعربة العرب وصعاليك العرب (كتاب البخلاء / الأغاني) ..... ٢١٤
٢٢٩	لن الجائزة؟ ..... ٢١٥
٢٣٠	الإيثار ..... ٢١٥
٢٣١	مع تفاحة (العقد الفريد) ..... ٢١٦
٢٣٢	أبلغ الكلام ..... ٢١٦
٢٣٣	الشاعر والبراغيث ..... ٢١٧
٢٣٤	المتنبّي وبائع البطيخ ..... ٢١٧
٢٣٥	هذه الخرافات... كيف بدأت؟ ..... ٢١٨
٢٣٦	إن من لا يرحم لا يرحم (الأغاني، ١٤ : ٧٠) ..... ٢١٩
٢٣٧	من نوادر المعلمين ..... ٢٢٠
٢٣٨	قصة زرقاء اليمامة وهند بنت النعمان ..... ٢٢١
٢٣٩	الجاحظ... ورسالة التبريع والتدوير ..... ٢٢١
٢٤٠	الرقص المقنّع ..... ٢٢٢
٢٤١	أقدم قصيدة غرام تنظمها امرأة في زوجها ..... ٢٢٣
٢٤٢	إله عمر يعلم!... (العقد الفريد) ..... ٢٢٦
٢٤٣	زواج حاتم وقوة شخصية المرأة العربية الجاهلية (الأغاني) ..... ٢٢٧
٢٤٤	أعرابي لا يحسن القسمة (الأغاني / كتاب البخلاء) ..... ٢٢٨
٢٤٥	لن يبيت في داره (فوات الوفيات، ١ : ٢٩٤) ..... ٢٢٩
٢٤٦	الفطنة وشدة الذكاء (فوات الوفيات، ٢ : ٢٢٠) ..... ٢٣٠
٢٤٧	لكل واحد ديناران ولك دينار واحد (فوات الوفيات، ٢ : ٢٣٦) ..... ٢٣٢
٢٤٨	أتفرح بموافقة هؤلاء؟! (فوات الوفيات) ..... ٢٣٢
٢٤٩	لم يلتقوا وهم في موضع واحد (فوات الوفيات، ٣ : ١٧٠) ..... ٢٣٣
٢٥٠	بعد الشرب يرجو حسن المغفرة (فوات الوفيات، ٣ : ١٧١) ..... ٢٣٣
٢٥١	عفا عنه لقوة بلاغته (المختار من نوادر الأخبار، ١٤٠) ..... ٢٣٤

٢٥٢	أخذ المال والخيل والجارية (المختار من نواذر الأخبار، ١٩١) ... صفحة ٢٣٤
٢٥٣	عرفها من رائحة طيبها (فوات الوفيات) ..... ٢٣٥
٢٥٤	ومن الغباوة ما يضحك (الأغاني، ٢ : ٤٠٦) ..... ٢٣٦
٢٥٥	أفحمه (الأغاني، ٢ : ٤١٢) ..... ٢٣٧
٢٥٦	اليوم الذي غاب عنه عذّاله (الأغاني، ١ : ٣٨٠) ..... ٢٣٧
٢٥٧	أريحية عمر بن عبد العزيز والعرجي (الأغاني، ١ : ٣٨١) ..... ٢٣٨
٢٥٨	بخل الحطيفة (الأغاني، ٢ : ١٦٤) ..... ٢٣٨
٢٥٩	لو كان خراباً لوجدت ما أتقوت به (إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ص ٩٧) ..... ٢٣٩
٢٦٠	استحالت القصيدة جوهراً (الأغاني، ١ : ٣٥٥) ..... ٢٤٠
٢٦١	أهل العشق صحيح مساكين (الأغاني، ١ : ٣٦٠) ..... ٢٤٠
٢٦٢	نتحاب... فهمنا، لكن ما دخل الدراهم؟! (الأغاني، ٣ : ٤٨) ..... ٢٤١
٢٦٣	الأمين يركب ظهره (الأغاني، ٧ : ٢٢٧) ..... ٢٤٢
٢٦٤	ليسمع الأمير حُجّه ولده دُلّامة!! (الأغاني، ١٠ : ٣١٠) ..... ٢٤٢
٢٦٥	اسمه شؤم (الأغاني، ١٠ : ١٦٣) ..... ٢٤٥
٢٦٦	ولدي بين رجلين: مطيع لله وعاصٍ له (الأغاني، ٩ : ٣٠٣) ..... ٢٤٦
٢٦٧	طرب فرمى بنفسه في الفرات (الأغاني، ٩ : ٣٣٣) ..... ٢٤٧
٢٦٨	من أجوبة الأذكياء (العقد الفريد) ..... ٢٤٨
٢٦٩	الإبل الأدم ورعاؤها (المختار من نواذر الأخبار، ١٦٥ / الأغاني، ١١ : ١٩٨) ..... ٢٤٩
٢٧٠	إنهم بقر (الأغاني، ١٣ : ١٢٨) ..... ٢٥٠
٢٧١	فضيلة عبيد الله بن زياد (الأغاني، ٨ : ٢٢٤) ..... ٢٥٠
٢٧٢	لم يَنَم من فزع «بَوَزَع» (الأغاني، ٨ : ٢٦١) ..... ٢٥١
٢٧٣	وقتها كان مريضاً (الأغاني، ٤ : ١٦٩) ..... ٢٥٢
٢٧٤	الفرق كبير جداً ولا يقاس (الأغاني، ١٢ : ٣٠٥) ..... ٢٥٢
٢٧٥	فضيلة ابنة الدؤلي (الأغاني، ١٢ : ٣٤٧) ..... ٢٥٣
٢٧٦	ذكاء الامام مالك (المختار من نواذر الأخبار، ٢٠١) ..... ٢٥٤
٢٧٧	الفرض وتوابعه (المختار من نواذر الأخبار) ..... ٢٥٤
٢٧٨	حُسن التبعل يعدل كل شيء (المختار من نواذر الأخبار، ١٦٦) ..... ٢٥٥

٢٧٩	كُنَّا أَسْرَاكَ فَصَرْنَا ضَيُوفَكَ (المختار من نوادر الأخبار، ١٢٩) ... صفحة	٢٥٥
٢٨٠	وزراء فرعون كانوا خيراً من وزرائه (المختار من نوادر الأخبار، ١٣٢) ...	٢٥٦
٢٨١	هل بقي أحد (الأغاني، ١٨ : ٣٥٧) .....	٢٥٦
٢٨٢	هَبُودَ وَعَبُودَ (الأغاني، ١٨ : ١٨٦) .....	٢٥٧
٢٨٣	ذو النون المصري ويوسف بن الحسين (وفيات الأعيان، ١ : ٤٢٦) .....	٢٥٨
٢٨٤	العبد يهدي كنه قدرته (وفيات الأعيان، ١ : ٤٦٠) .....	٢٥٩
٢٨٥	القاضي إياس بن معاوية وأمينه (وفيات الأعيان، ١ : ٤٦٦) .....	٢٥٩
٢٨٦	إِتَى اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَا تَقْسُ (وفيات الأعيان، الجزء الأول) .....	٢٥٩
٢٨٧	قتلهما بما اعتزما به عليه (وفيات الأعيان، ١ : ٤٧٨) .....	٢٦٠
٢٨٨	أَذَابَ عَنْهُ الشَّحْمُ فَأَجَازَهُ (وفيات الأعيان، ١ : ٤٧٩) .....	٢٦١
٢٨٩	هن الحمام فإن كسرت عيافة (وفيات الأعيان، ٢ : ١٩) .....	٢٦٢
٢٩٠	من أخبار أبي تمام (وفيات الأعيان، ٢ : ٢١) .....	٢٦٣
٢٩١	إنها لشديدة (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٧) .....	٢٦٤
٢٩٢	نعم الزاد زادك (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٧) .....	٢٦٤
٢٩٣	يا حجاج (وفيات الأعيان، ٢ : ٣١) .....	٢٦٤
٢٩٤	خطبة الحجاج في أهل العراق (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٣) .....	٢٦٥
٢٩٥	أخطأ في استعمالك على رقاب المسلمين (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٧) .....	٢٦٦
٢٩٦	ليبلغ الشاهد الغائب (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٨) .....	٣٦٨
٢٩٧	لعنة الله المبيد الحقود (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٩) .....	٢٦٨
٢٩٨	تاب عن شرب الخمر أم لم يتب؟؟ (وفيات الأعيان، ٢ : ١٠٢) .....	٢٦٩
٢٩٩	ألا موت يباع فأشتره (وفيات الأعيان وفات الأعيان، ٢ : ١٢٤) .....	٢٧٠
٣٠٠	المحتالان : الحلاج وصاحبه (وفيات الأعيان، ٢ : ١٤٢) .....	٢٧١
٣٠١	نهاية الحلاج (وفيات الأعيان، ٢ : ١٤٥) .....	٢٧١
٣٠٢	نهاية ابن المقفع (وفيات الأعيان، ٢ : ١٥٣) .....	٢٧٢
٣٠٣	كأنه من حسنه عصعص (وفيات الأعيان، ١ : ١٦٥) .....	٢٧٣
٣٠٤	هجاها فكسرت (وفيات الأعيان، ٢ : ١٦٦) .....	٢٧٤
٣٠٥	عصاه أدهى وأعجب (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٠١) .....	٢٧٤
٣٠٦	دولة العرجان (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٠٢) .....	٢٧٥
٣٠٧	أعطوه إياها قبحه الله (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٠٣) .....	٢٧٥

٢٧٦	أبهذا غلبتم؟؟ (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٠٤) .....	٣٠٨
٢٧٦	شقّ وسطيح الكاهنان (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٣١) .....	٣٠٩
٢٧٦	لا يصيبه برطب وهريسة غير هذا (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٣٦) .....	٣١٠
٢٧٧	أنت الندى وابن الندى وأبو الندى (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٢٧) .....	٣١١
٢٧٧	أعطه يا غلام (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٢٨) .....	٣١٢
٢٧٨	الكوكب النحاس يسقي الأرض أحياناً (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٤٦) .....	٣١٣
٢٧٩	داود الطائي المتعبّد (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٦١) .....	٣١٤
٢٧٩	أبا سليمان سبحان من لا ينسى لأحد صنيعاً (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٦٩) ..	٣١٥
٢٨٠	فائدة الرأس (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٦٩) .....	٣١٦
٢٨١	وفاء دعلج بن أحمد السجستاني (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٧١) .....	٣١٧
٢٨٢	أخبار رابعة العدوية (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٨٥) .....	٣١٨
	أخبار ربيعة الرأي، أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ (وفيات الأعيان، ٢ : ٢٨٩) .....	٣١٩
٢٨٣	كلّهم على حقّ فيما أفتى به (وفيات الأعيان، ٢ : ٣١٨) .....	٣٢٠
٢٨٥	بشار وسالم (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٥٢) .....	٣٢١
٢٨٦	كان كأنه قابض على الجمر (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٧٠) .....	٣٢٢
٢٨٧	سعيد بن جبير (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٧١) .....	٣٢٣
٢٨٨	أخبار سفيان الثوري (وفيات الأعيان، ٢ : ٣٨٦) .....	٣٢٤
٢٨٩	أخبار الأعمش (وفيات الأعيان، الجزء الثاني) .....	٣٢٥
٢٩٠	قضاها مع الإمكان (وفيات الأعيان، الجزء الثاني) .....	٣٢٦
٢٩١	لو سئل الكسائي لأجاب (وفيات الأعيان، الجزء الثاني) .....	٣٢٧
٢٩١	القاضي شريح المزاح (وفيات الأعيان، ٢ : ٤٦١) .....	٣٢٨
٢٩٢	القاضي شريك النخعي (وفيات الأعيان، ٢ : ٤٦٦) .....	٣٢٩
٢٩٢	بعض طرائف أشعب (وفيات الأعيان، ٢ : ٤٧٢) .....	٣٣٠
٢٩٣	صاعد البغدادي اللّغوي وبشار (وفيات الأعيان، ٢ : ٤٨٩) .....	٣٣١
٢٩٤	ذعرتم الفتي؟! (وفيات الأعيان، ٢ : ٥٠١) .....	٣٣٢
٢٩٤	طاوس بن كيسان والمرأة الماجنة (وفيات الأعيان، ٢ : ٥١٠) .....	٣٣٣
٢٩٤	أبو الأسود الدؤلي واضح علم النحو (وفيات الأعيان، ٢ : ٥٣٧) .....	٣٣٤
٢٩٥	جلمُ معن بن زائدة (الأغاني) .....	٣٣٥

٢٩٦	الحجاج والشيخ (وفيات الأعيان) ..... صفحة	٣٣٦
٢٩٧	ربابة ربة البيت (العقد الفريد / الأغاني) .....	٣٣٧
٢٩٧	إن شاء الله (وفيات الأعيان) .....	٣٣٨
٢٩٨	أشعر الناس (العقد الفريد) .....	٣٣٩
٢٩٨	الحجاج وهند (العقد الفريد) .....	٣٤٠
٢٩٨	كن ابن من شئت (العقد الفريد) .....	٣٤١
٢٩٩	الشفيع إلى معن (العقد الفريد) .....	٣٤٢
٣٠٠	لا تنس الكامخ (العقد الفريد) .....	٣٤٣
٣٠٠	خشونة البادية (العقد الفريد) .....	٣٤٤
٣٠١	ليس على الأعمى حرج (العقد الفريد) .....	٣٤٥
٣٠١	بلادة وفطنة (العقد الفريد) .....	٣٤٦
٣٠٢	هاته يا أحول (العقد الفريد) .....	٣٤٧
٣٠٢	وليمة أشعب (العقد الفريد / الأغاني) .....	٣٤٨
٣٠٣	أخطب الناس (العقد الفريد) .....	٣٤٩
٣٠٣	أقع الحمار (العقد الفريد) .....	٣٥٠
٣٠٤	الخنساء وحسان بن ثابت (العقد الفريد / الأغاني) .....	٣٥١
٣٠٥	دمامة الحريري (العقد الفريد) .....	٣٥٢
٣٠٥	لثغة ابن مقله (العقد الفريد) .....	٣٥٣
٣٠٥	إن لم يكن باللين كان بغيره (العقد الفريد) .....	٣٥٤
٣٠٦	ابن عاق (العقد الفريد) .....	٣٥٥
٣٠٧	مروءة حاتم (العقد الفريد) .....	٣٥٦
٣٠٧	الفأر للصنوبري (ديوان الصنوبري) .....	٣٥٧
٣٠٧	هذا ولا ذاك (الأغاني) .....	٣٥٨
٣٠٨	ليت عينيه سواء (العقد الفريد) .....	٣٥٩
٣٠٨	أقاويل العرب في الغيلان والتغول (مروج الذهب، ٢ : ١٥٥) .....	٣٦٠
٣٠٩	أقاويل العرب في الهواتف والجنان (مروج الذهب، ٢ : ١٦٠) .....	٣٦١
٣١٠	الحكماء على حدث الاسكندر (مروج الذهب، ١ : ٢٨٩) .....	٣٦٢
٣١٣	وصية الاسكندر لأمه (مروج الذهب، ١ : ٢٨٩) .....	٣٦٣
٣١٤	الملكان أزور وخننجاس والخمرة (مروج الذهب، ١ : ٢١٢) .....	٣٦٤

٣١٥	بين قيصر وكسرى (مروج الذهب، ١ : ١٩١) ..... صفحة	٣٦٥
٣١٦	الملك في عادات الهنود (مروج الذهب، ١ : ٨٣) .....	٣٦٦
٣١٧	البيوت السبعة المعظمة (مروج الذهب، ٢ : ٢٣٩) .....	٣٦٧
٣١٨	عبد العزيز بن مروان ودفائن أرض مصر (مروج الذهب، ١ : ٣٦٦) ...	٣٦٨
٣١٩	قريش تبني الكعبة والنبي (ص) يضع الحجر الأسود (مروج الذهب، ٢ : ٢٧٨) .....	٣٦٩
٣٢٠	بين السماك وجارية له (العقد الفريد، ٢ : ١١٦) .....	٣٧٠
٣٢٠	أهداه جلاً ثم نزل عليه (العقد الفريد، ٢ : ١٣٥) .....	٣٧١
٣٢١	سليمان وحديث النسر والقصر (العقد الفريد، ٢ : ١٥٧) .....	٣٧٢
٣٢٢	حبّ الولد عند الوالد (العقد الفريد، ٢ : ٢٤٦) .....	٣٧٣
٣٢٢	جود عبيد الله بن عباس (العقد الفريد، ١ : ٢٠٢) .....	٣٧٤
٣٢٤	فخ الإسرائيلي والعصفورة (العقد الفريد، ٣ : ١٥٢) .....	٣٧٥
٣٢٤	عمرو بن العاص في احتضاره (العقد الفريد، ٣ : ١٦٦) .....	٣٧٦
٣٢٥	الحجاج وأعرابي (العقد الفريد، ٣ : ٢٨) .....	٣٧٧
٣٢٦	زياد وشريف بصري (العقد الفريد، ٢ : ٢٦٤) .....	٣٧٨
٣٢٦	ابن جعفر وأعرابية (العقد الفريد، ٣ : ٥٩) .....	٣٧٩
٣٢٦	إعرابية وابنها (العقد الفريد، ٣ : ٦٢) .....	٣٨٠
٣٢٧	ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان (العقد الفريد، ٣ : ٩٤) .....	٣٨١
٣٢٧	جواب في تفحّش (العقد الفريد، ٣ : ١١٨) .....	٣٨٢
٣٢٨	الفرزدق والمرأة التي أعتته والصبيّ والنبطيّ (العقد الفريد، ٣ : ١٢٠) ..	٣٨٣
٣٢٩	مسببة حرب الفجار الثاني (العقد الفريد، ٦ : ٨٨) .....	٣٨٤
٣٢٩	الحيل في الحروب (عيون الأخبار، ١ : ١٩٤) .....	٣٨٥
٣٣٠	المتعاديات (عيون الأخبار، ٢ : ٧١) .....	٣٨٦
٣٣٠	السباع وما شاكلها (عيون الأخبار، ٢ : ٧٢) .....	٣٨٧
٣٣٢	من ارتجّ عليه في الكلام (عيون الأخبار، ٢ : ٢٥٦) .....	٣٨٨
٣٣٣	الحجاج وقارئ (العقد الفريد، ٥ : ٢٧٢) .....	٣٨٩
٣٣٤	ما رأى إلا شهياً (عيون الأخبار، ٣ : ١٣١) .....	٣٩٠
٣٣٤	يستخير الله (عيون الأخبار، ٤ : ٧) .....	٣٩١
٣٣٥	انصرف رحمك الله (عيون الأخبار، ٤ : ١٤٠) .....	٣٩٢

٣٩٣	وصايا الأولياء للبنات عند الزفاف (عيون الأخبار، ٤ : ٧٧) ... صفحة	٣٣٥
٣٩٤	هذا طالب ولد (عيون الأخبار، ٤ : ٩٢) .....	٣٣٦
٣٩٥	ليلة الدَّير (عيون الأخبار، ٤ : ٩٢) .....	٣٣٦
٣٩٦	لم يخطيء قلب حبيته (عيون الأخبار، ٤ : ١٣٥) .....	٣٣٧
٣٩٧	القَسَّ وسَلَامَة (عيون الأخبار، ٤ : ١٣٤ / الأغاني) .....	٣٣٨
٣٩٨	الصمت وصون اللسان (المستطرف، ١ : ١٨٦) .....	٣٣٩
٣٩٩	النساء يطلقن الرجال في الجاهلية (المستطرف، ١ : ٣٦٩) .....	٣٣٩
٤٠٠	ابن عبيد الله سئل فأحسن وأجاد (المستطرف، ٢ : ١١٣) .....	٣٣٩
٤٠١	وصية أم لابنتها ليلة زفافها (المستطرف، ٢ : ٢٧٩) .....	٣٤٠
٤٠٢	من نواذر النحاة (المستطرف، ٢ : ٥١٩) .....	٣٤١
٤٠٣	الجاحظ ونواذر المعلمين (المستطرف) .....	٣٤١
٤٠٤	هموم العاشق (ذم الهوى، ٣١٥) .....	٣٤١
٤٠٥	العبرى المؤلمة (أخبار النساء) .....	٣٤٢
٤٠٦	لغز (المستطرف) .....	٣٤٣
٤٠٧	الخنساء الأم المثالية (الوافي بالوفيات، ١٠ : ٣٩٤) .....	٣٤٣
٤٠٨	الشوق يمنعه (بهجة المجالس، ٢ : ٨٨) .....	٣٤٤
٤٠٩	حسن المرأة (بهجة المجالس، ٢ : ١٣) .....	٣٤٤
٤١٠	من أنباك أن أباك ذيبٌ (لطائف النساء، ٦٥) .....	٣٤٥
٤١١	احتفظي بالذيك (بهجة المجالس، ١ : ٥٥٤) .....	٣٤٥
٤١٢	فَكَّرَ وأَحْسَب (طبقات السبكي، ٧ : ٢٥) .....	٣٤٦
٤١٣	التسابق في الجود (نواذر المقرئ، ٦٨) .....	٣٤٦
٤١٤	أوصيك بالصبيّة خيراً (حدائق الأزاهر، ٢٤٧) .....	٣٤٨
٤١٥	أَيكون أكرم من حاتم؟! (المستجد، ٢٠٣) .....	٣٤٨
٤١٦	غداً تفرغي للدمع والسهر (لباب الآداب، ٤١٨) .....	٣٤٩
٤١٧	ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه (حياة الحيوان، ٢ : ٤٩) .....	٣٤٩
٤١٨	القليل الخبرة بالمساحة (الغرر، ٥٧) .....	٣٤٩
٤١٩	البخل (أخبار الحمقى، ١٦٠) .....	٣٥٠
٤٢٠	يأخذ بالإحتياط (أخبار الحمقى، ٧١) .....	٣٥٠
٤٢١	الرجال أربعة (الحدائق، ٢٨٨) .....	٣٥٠



٤٢٢	قسم قلبه رياضياً (طبقات السبكي، ٥ : ٢٧٥) .....	٣٥١	صفحة
٤٢٣	مروان بن الحكم وحويطب (العقد الفريد، ٤ : ٣٣) .....	٣٥١	
٤٢٤	في الألغاز .....	٣٥٢	
٤٢٥	بذل الدراهم يرضي كل إنسان (المخلاة، ٥٥) .....	٣٥٤	
٤٢٦	في نواذر العرب (المستطرف، ٢ : ٥١١) .....	٣٥٤	
٤٢٧	الرشيد وعود زرياب .....	٣٥٦	
٤٢٨	كتاب الشكوك .....	٣٥٧	
٤٢٩	الله يحب مكارم الأخلاق .....	٣٥٨	
٤٣٠	الفقر في النفس لا في المال .....	٣٥٨	
٤٣١	الإمام علي والأعرابي .....	٣٥٩	
٤٣٢	رغبتها كلها في عبادة الله .....	٣٥٩	
٤٣٣	الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح .....	٣٥٩	
٤٣٤	رزقها على الله .....	٣٦٠	
٤٣٥	اصنع ما أحب الله .....	٣٦٠	
٤٣٦	الخنساء تصف أخوها .....	٣٦١	
٤٣٧	من أقوال الخلفاء .....	٣٦١	
٤٣٨	معاوية والأحنف .....	٣٦١	
٤٣٩	عمر بن الخطاب والمستعطي .....	٣٦٢	
٤٤٠	استيقظ وأنصف الناس .....	٣٦٢	
٤٤١	حدود الله .....	٣٦٣	
٤٤٢	زفرات المظلومين .....	٣٦٣	
٤٤٣	أمر الدنيا والآخرة .....	٣٦٣	
٤٤٤	بين المنصور وجعفر الصادق .....	٣٦٤	
٤٤٥	الثائر خليل مطران .....	٣٦٤	
٤٤٦	سواي خالك .....	٣٦٤	
٤٤٧	وداع الحياة .....	٣٦٥	
٤٤٨	أهمية السفر .....	٣٦٦	
٤٤٩	أطلقه وفاء لوعده .....	٣٦٦	
٤٥٠	أكلت الفأرة عينه (سنان الزمن، ١٩) .....	٣٦٦	

٤٥١	أكلت الهرة لسانه (سنابل الزمن، ١٩) . . . . .	٣٦٧	صفحة
٤٥٢	ليتك تسلم (سنابل الزمان، ٢٦) . . . . .	٣٦٧	
٤٥٣	طلاق أبي الأسود لامرأته ( . . . ) . . . . .	٣٦٧	
٤٥٤	الفكاهة (الحياة الاجتماعية عند العرب) . . . . .	٣٧٠	
٤٥٥	نواذر الشعر (العقد الفريد، ٦ : ١٩٦) . . . . .	٣٧١	
٤٥٦	أشعب المغنى (الأغاني، ٨ : ٨) . . . . .	٣٧٣	
٤٥٧	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته (الأغاني) . . . . .	٣٧٤	
٤٥٨	أبو العتاهية إن شعر (الأغاني، ٤ : ٤٧) . . . . .	٣٧٥	
٤٥٩	أجاد والله أبو العتاهية (الأغاني، ٤ : ٨٣) . . . . .	٣٧٥	
٤٦٠	خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك (الأغاني، ١٧ : ٣٤٩) . . . . .	٣٧٦	
٤٦١	إياكم ومعاشرة أهل السوء (الأغاني، ١٣ : ٣٤١) . . . . .	٣٧٧	
٤٦٢	اشترى بها ضيعته الصالحية (الأغاني، ١٢١ : ٣٥١) . . . . .	٣٧٩	
٤٦٣	ابطحوه (الأغاني، ٩ : ٣٣٩) . . . . .	٣٨٠	
٤٦٤	اكتبوا لها ولقوها (المختار، ١٥٥) . . . . .	٣٨١	
٤٦٥	هل بقيت لك من حاجة؟ (الأغاني، ٥ : ١٠٣) . . . . .	٣٨٣	
٤٦٦	أعرابي يرثي ولده . . . . .	٣٨٣	
٤٦٧	أصابها ما أصاب الناس . . . . .	٣٨٤	
٤٦٨	المتزندق (بهجة المجالس، ١ : ٥٤٩) . . . . .	٣٨٤	
٤٦٩	ما هي بحية ولا بعقرب (الحدائق، ٩١) . . . . .	٣٨٥	
٤٧٠	المروءة (الموشى، ٥١) . . . . .	٣٨٥	
٤٧١	علامات الهوى (الموشى، ٧٦) . . . . .	٣٨٦	
٤٧٢	الصديق (الموشى، ٤٧) . . . . .	٣٨٧	
٤٧٣	المقل والمكثر (الضاحكون، ٤٦) . . . . .	٣٨٧	
٤٧٤	ذكرك نور القلب والبصر (الصقاعي، ١٧٥) . . . . .	٣٨٨	
٤٧٥	ذكاء الثعلب (حياة الحيوان، ١ : ٢٢٣) . . . . .	٣٨٨	
٤٧٦	مسامير الحب (الموشى، ١١٤) . . . . .	٣٨٨	
٤٧٧	كذاك الهوى بعد الذهاب يعود (الموشى، ١٢٢) . . . . .	٣٨٩	
٤٧٨	كرم معن بن زائرة (المختار من نواذر الأخبار، ٨٤) . . . . .	٣٨٩	
٤٧٩	كثير وعزة (الموشى، ٧٢) . . . . .	٣٩٠	

٤٨٠	لا حاجة لي في هذا الديوان (المحاسن والأضداد، ٦٧) ..... صفحة ٣٩٠
٤٨١	أبكي على كريم مثلك يواريه التراب (المختار من نوادر الأخبار، ٨٢) ... ٣٩١
٤٨٢	المصفوع (الحدائق، ٣٧٠) ..... ٣٩١
٤٨٣	ما لأبي حمزة لا يأتينا؟ ..... ٣٩٢
٤٨٤	عجب من فصاحته وقضى حاجته ..... ٣٩٣
٤٨٥	يا أخت خير البدو (مجمع الأمثال، ١ : ٣٢) ..... ٣٩٣
٤٨٦	مدعي النبوة (الحدائق، ٢٥٢) ..... ٣٩٤
٤٨٧	علي ومعاوية (شرح ابن أبي الحديد، ١٩ : ٣٧) ..... ٣٩٥
٤٨٨	ابشر يا أمير المؤمنين (المختار، ١٩) ..... ٣٩٥
٤٨٩	أمانك الله وإياه (الحدائق، ٢٣٢) ..... ٣٩٥
٤٩٠	كانه في إيوان كسرى ..... ٣٩٦
٤٩١	محبة الوطن ..... ٣٩٦
٤٩٢	فضيلة زبيدة ..... ٣٩٧
٤٩٣	إنه بالإصلاح أحق من أهل الكوفة (الحدائق، ١٨٦) ..... ٣٩٧
٤٩٤	لن يعشق من يعشق نغده (متعة الأديب، ٩٦) ..... ٣٩٨
٤٩٥	يختصمان في رأس (الضاحكون، ٢٠٧) ..... ٣٩٨
٤٩٦	الحيلة الموفقة (ثمرات الأوراق، ١٢٥) ..... ٣٩٩
٤٩٧	مباراة في الكرم (الأغاني، ٢١ : ٢٨٥) ..... ٤٠٠
٤٩٨	أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم (الأغاني، ١٧ : ٣٤٧) ..... ٤٠١
٤٩٩	ابنة عبد الملك والمحبوس (الموشى، ٦٧) ..... ٤٠١
٥٠٠	علي بن أبي طالب والمؤذن (الموشى، ٦٨) ..... ٤٠٢
٥٠١	ما يكتب على الجبين والخذّ ويطرف به ذوو الصباية والوجد (الموشى، ٢٧٨) ..... ٤٠٢
٥٠٢	لابراهيم الموصلي في صفة سنبلوسج (مروج الذهب، ٤ : ٣٦٥) ..... ٤٠٣
٥٠٣	باب ما وجد للمتطرفات والظرفاء مكتوباً على النعال والخفاف (الموشى، ٢٧٣) ..... ٤٠٤
٥٠٤	البلاغة (المختار من نوادر الأخبار، ٢٦٠) ..... ٤٠٥
٥٠٥	هذا رجل لُقن حجته (المختار من نوادر الأخبار، ٢٦١) ..... ٤٠٥
٥٠٦	سموه العريان (المختار من نوادر الأخبار، ٢٦٢) ..... ٤٠٦
٥٠٧	من هذا يضحك (المختار من نوادر الأخبار، ٢٦٢) ..... ٤٠٦

٤٠٧	.....	٢٤٧	(الموشى،	٥٠٨	ما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم
٤٠٧	.....	٢٤٨	(الموشى،	٥٠٩	محمد بن عبد الملك الزييات وبعض الجوارى
٤٠٨	.....	٢٥٦	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٠	أفضل صفات المرأة
٤٠٨	.....	٢٥٦	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١١	نومي شتات وذهني تارات
٤٠٩	.....	٢٥٦	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٢	الأعرابي والعصاة
٤٠٩	.....	٢٥٨	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٣	الثقيل
٤٠٩	.....	٧٢	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٤	إنها ليست وثائق عليكم
٤١٠	.....	٦٤	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٥	الحسن والعجوز
٤١٢	.....	٦١	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٦	أخبار الكرم
٤١٣	.....	١٨٦	(المختار من نوادر الأخبار،	٥١٧	تجب محمد بن القاسم
٤١٣	.....	٣٣	(سنابل الزمن،	٥١٨	رأي الحسن بن علي بالزواج
٤١٤	.....		(سنابل الزمن)	٥١٩	بكاء وكاس كيف يتفقان؟

\* \* \*